

تحرير العقل من النقل

وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم



سامر إسلامبولي

تحرير العقل من النقل

وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم

تحرير العقل من النقل

سامر إسلامبولي

الطبعة الثالثة: 2019 م

البريد الإلكتروني: s.islambouli@gmail.com
السويد: 0046734233031

تصميم الغلاف والتصميم الداخلي:
كمال يوسف
ky.design.a2@gmail.com



مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر

الإسكندرية - مصر

د3، بناء 44، ش سوتر، أمام كلية حقوق الإسكندرية، مصر
موبايل: 01114391600 هاتف: 4830903 / 03
بريد إلكتروني: levant.egsy@gmail.com
موقع إلكتروني: www.levantcenter.net

رقم الإيداع: 5702/ 2019 م
الترقيم الدولى: 978-977-6651-29-6

سامر إسلامبولي

تحرير العقل من النقل

وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم



بِسْمِ اللّهِ الرّحْمـَنِ الرّحِيمِ

﴿يَأَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوَاْ إِنّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(الحجرات 13)



الإهــداء

إلـى الشـباب المعاصـر والجيـل اللاحـق الـذي بـدأ يتملمـل مـن عمليـة اجتـرار التـراث الثقـافي، واغتيـال العقـل، والفصـل بـين القـرءان والعلـم.

إلى الشباب الذي يتوق إلى الحرية والتفكير المبدع.

إلى الشباب الذي يريد أن يخرج من تحت عباءة أبيه.

إلى الشباب الذي يريد التحرر من الكهنوت الديني

أقدِّم هـذه الدراسـة الموضوعيـة لمفاهيـم ثقافيـة بعـد فرزهـا مـن الاسـتبداد الفكـري والاسـتعباد الثقـافي لإرجـاع ثقـة الأمـة بثقافتهـا، وحمايتهـا مـن الاضمحلال والاختـراق والغـزو الثقـافي العولمـي.

لا يخاف المستبدُّ من العلوم الدِّينية المتعلِّقة بالمَعاد لاعتقاده أنَّها لا ترفعُ غباوةً ولا تزيل غشاوةً، وإنما يتلهَّى بها المتهوِّسون للعلم.

فإذا نبغ فيهم البعضُ، ونالوا شهرة بين العوام لا يعدم وسيلةً لاستخدامهم في تأييد أمره بنحو سدِّ أفواههم بلُقيماتٍ من فُتاتِ مائدة الاستبدادِ.

عبد الرحمن الكواكبي

طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد

الفهرس

المقدِّمة

لقد نُشر كتابي «تحرير العقل من النقل» في طبعته الأولى في دمشق 1998م، ولاقى رواجًا شديدًا بين الشباب خاصةً، وانتشر في معظم البلاد العربية عن طريق معرض الكتاب السنوي، وليس لأنهم اقتنعوا بما فيه، وإنما لأنه خاطب العقلَ عندهم، واحترم حريَّتَهم، وشاركهم في التفكير وحفَّزهم، وجعل لهم مساحة لمشاركة المؤلِّف في نقاش الأفكار، ومن خلال ذلك تدرَّبوا على منهج التفكير القرءاني وتعلَّموا كثيرًا من القواعد المنهجية الأصولية لتدبُّر القرءان والقواعد اللِّسانية.

فسرعان ما نفدت الطبعة الأولى، وما زال الطلب على الكتاب، فأعيد طبعه مرة ثانية، وكذلك تم نفادها بسرعة، ولم يعد يُطبع فيما بعد نظرًا للظروف التي حصلت، فقررت أن أعدِّل في الكتاب وأزيد فيه أمورًا استجدت، فأضفت له كثيرًا من المفاهيم التي تم نقاشها في الإنترنت وخارج الإنترنت مع القراء، وكتبت حينئذ مقالات ونشرتها في صفحتي بالفيسبوك، ولاقتْ أيضًا رواجًا وتأثر بها كثيرٌ من القراء، فأحببت أن أضمها للكتاب كما هي.

وهذا أدَّى إلى أن يظهر الكتاب كمجموعة أبحاث أو مقالات أكثر من كونه كتابًا صيغ على وتيرة واحدة، وأدَّى إلى أن تتكرر بعض الأفكار التي تناولتها في عدَّة مقالات، ولكن تكرار غير ممل ولا حشو بقدر ما هو نافع للقارئ؛ لأن الفكرة أعيدت في غير ظروف ومعطيات الفكرة الأولى.

ونظرًا لعدم وجود نسخة الكتاب الأصلية (word) عندي على جهازي، ولم أستطع الحصول عليها من دار النشر تأخرت كثيرًا ريثما أعدت تنضيده وكتابته

من جديد، وكان انتهائي منه أخيرًا في القاهرة بعد أن سافرت إليها 2012م نتيجة الأحداث الدامية التي تجري في سورية.

وأقدِّم هذا الكتاب في طبعته الثالثة للقراء الأعزاء ليتفاعلوا معه، ويمارسوا التفكير الحر، ويتجاوزوا الخطوط الحمراء التي وضعها الكهنوت بكل مِلَلِه، وليتابعوا البحث ويرتقوا فكريًّا ويتعاملوا مع القرءان فقط دون المَثناة؛ ليرجعوا إلى عالم الشهادة، ويصنعوا حاضرهم بأنفسهم، ويقودوه ليتسلَّموا زمام أمور مستقبلهم.

القاهرة

10/ 8/ 2015م

مدخل إلى البحث

صدرت كتبٌ كثيرة تناولت علاقة العقل مع النقل، ومن مؤلِّفيها من جعل العقل خادمًا للنقل، ومنهم من ألغى النقل كلَّه لحساب العقل، وآخرون قاموا بعملية التوفيق والتلفيق بينهما.

والذي يجب أن نعرفه أولًا، ونبدأ منه الحوار والدراسة، أن العقل موجود في الواقع قبل النقل، فقد كان العقل قبل أن يولد النقل، والنقل نتاج لتفاعل العقل مع الواقع؛ مما يؤكِّد هيمنة العقل وسيادته على النقل، ولا يمكن أن يتعاكس الوضع، فيصير النتاج سيدًا للمنتج؛ لأن ذلك لو حصل في الواقع لصار الأمر مهزلة، فتخيَّل أن العقل مُقاد لنتاجه والنتاج هو السيد، فتصير حركة هذا الإنسان في الواقع حركة لا واعية، حركة الإنسان الذي يمشي في منامه بتوجيهٍ لا شعوريٍّ.

وبمعنى آخر:

إن الإنسان الذي يعطي السيادة للنقل يكون بهذا العمل قد أعطى السيادة للعقل، ولكن ليس لعقله، وإنما لعقل من سبق؛ لأن النقل نتاج للعقل لا محالة، ويكون بهذا العمل قد أعطى لمن سبقه في الوجود - السلف- قيادة زمام أموره والتفكير عنه لحل مشكلاته وتحقيق مصالحه، ولا أدري كيف يقوم الأموات في الواقع المعاصر بالتفكير والتخطيط عوضًا عنا؟.

وهذا الذي ذكرته هو ما جرى في الواقع، فالمسلمون لا يعيشون واقعهم إلا من الجانب الجسدي فقط، مع تجميد الجانب العقلي؛ مما أدَّى إلى توقُّف التطور الفكري والعلمي على الأصعدة كلها، ودبَّت الحياة في الآباء وعادوا إلى الحياة من خلال

تقمُّص الأبناء لعقل الآباء، فلذلك نرى في حياتنا المعيشية رجال السلف يتحرَّكون بيننا من خلال نمط التفكير والنظام الذي تقمَّصه الأبناء، وقديمًا قيل: (**مَنْ خلَّف مَا مَاتَ**)، وهذا معنى المثل في الواقع المشاهد.

فالعقل أساس للنقل، كما أنه أساس للمسؤولية والتكليف، فمَنْ لا عقل له لا حياة له، وصدق من قال:

ليسَ مَنْ ماتَ فاستراح بمَيْتٍ... إنَّما من الميِّت ميِّتُ الأحياء

وذلك لأن غياب التفكير والعقل عن الإنسان هو غياب لجانب الحياة الواعي فيه مع بقاء الحياة الغريزية، وبالتالي يصير كالأنعام تمامًا:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179].

فالأنعام لهم آذان وأعين، ولكن لا يسمعون ولا يبصرون؛ لأن وظيفة السمع ووظيفة البصر من وظائف الكائن العاقل، بينما للأنعام جهاز لاقط للأصوات الذي اسمه الأذن، فهي تلتقط الموجات الصوتية وترسلها إلى الدماغ الذي يتفاعل مع الموجات المبرمج عليها فقط ويهمل الباقي.

وهذا التفاعل هو غريزي مرتبط بحالة الجوع والخطر وما شابه ذلك، دون وعي وإدراك لهذه العملية، فالأنعام لا تشعر بحياتها ولا تفرِّق بين شقاء وسعادة، لـذا؛ فحياتهـا غير محترمـة ولا مقدسـة بخلاف حياة الإنسان، فإنها محترمة ومقدسة؛ لأنها حياة واعية، وما ينطبق على الأذن بالنسبة للأنعام ينطبق على العين، حيث إنها جهاز يلتقط الصور ويرسلها إلى الدماغ، والدماغ هو الذي يقوم بالتفاعل معها بشكلٍ غريزيٍّ.

وهذا التفاعل محصور بالصور المبرمج عليها سلفًا، فدماغ الأنعام يعمل بشكل غريزي دون وعي لما يعمل بخلاف دماغ الإنسان، فإن الإنسان يعي هذه الوظائف بقوته الإدراكية الواعية النفسية، ويقوم بقراءة الموجات الصوتية والمرئية، ويميز بينها ويصدر حكمَه عليها.

فوظيفة السمع والبصر محلها الدماغ الذي يقوده الفؤاد وهو جهاز نفسي واعٍ، فمن تعطل دماغه يترتَّب عليه فصل العلاقة بين الفؤاد والدماغ، وبالتالي يفقد السمع والبصر كوظائف واعية رغم سلامة الأذن والعين كأدوات.

فالإنسان الذي يعطِّل وظيفة السمع والبصر عمدًا يعطِّل الجانب الواعي عنده، وبالتالي يصير كالأنعام من حيث امتلاكه لعضوي الأذن والعين، ومن حيث فقدانه للسمع والبصر، بل هو أضل من الأنعام، وذلك لأن الأنعام لا تملك وظيفة السمع والبصر أصلًا لفقدانها الجهاز النفسي الفؤاد بخلاف الإنسان فهو يملكها، وقد قام بنفسه بتعطيلها عن العمل، قال تعالى وصفًا لحال الذين يدخلون النار يوم القيامة: **﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾** [الملك: 10].

فلا شك أن هؤلاء الناس كانوا يملكون آذانًا وأدمغة صالحة لقراءة الموجات الصوتية والمرئية، ولكنهم فصلوا عن هذه الأعضاء طاقةَ التفكير والسمع والإحساس الواعي بالواقع، فأرداهم ذلك إلى خسارة حياتهم في الدنيا؛ إذ عاشوها كالأنعام وخسارة آخرتهم؛ إذ أخفقوا في الامتحان، فكانت النار مأوى لهم، فالإنسان محترم ما دام يقوم بوظيفة السمع والبصر، وهو مسؤول عن أعماله؛ كونه يملك الجهاز الثلاثي الذي هو السمع والبصر والفؤاد، قال تعالى: **﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾** [الإسراء: 36].

فعندما أرسل الله عز وجل رسالة إلى الناس أنزلها على رسوله بلسان عربي مبين كي يقوم الناس بقراءتها من خلال السمع والبصر والفؤاد، وهذه الرسالة صدرت

من عالم خبير حكيم إلى الكائن العاقل الحر، فمن الطبيعي أن يخاطب المرسِل المرسَل إليه حسب ما يفهم، وما يملك من أدوات معرفية وإلا كان الخطاب عبثًا وهزلًا، والإنسان السميع البصير لا يمكن في واقع الحال أن يفهم أي شي أو يحكم عليه إلا إذا تم عن طريق السمع والبصر والفؤاد حصرًا،

وكل خطاب يتجاوز ذلك لا يستطيع الإنسان أن يفهمه أو يتفاعل معه أو يحكم عليه.

فجاء الخطاب الإلهي للإنسان يخاطب السمع والبصر يعلِّمه ويجادله ويناقشه ويحاوره اعتمادًا عليها، وبناء على ذلك الخطاب قامت الحجة على الناس وعُدَّ الخبر الإلهي بمثابة الإنذار والإعلام للناس بما ينتظرهم بعد موتهم بناء على سيرتهم في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾[الحج: 49].

والإنذار تم من خلال خطاب العقل وحكمه على الخبر بأنه حقٌّ من جراء المصداقية التي تمت للخبر من عملية إسقاط الدال على المدلول عليه من الواقع والوصول إلى دلالة الخبر والحكم عليها بأنها حقٌّ وصدق.

انظر إلى حوار الله عز وجل لمن أنكر البعث والنشور كيف خاطبه من خلال السمع والبصر، وربط ذلك بالواقع المعني بالخطاب ليصل إلى الحق، وهو أنه يوجد بعث وحساب وأن الدنيا دار ابتلاء ومرور، وأن عملية الإحياء للأموات هي حالة تجري أمام الأعين كل يوم آلاف المرات بشكل مستمر.

فما عليكم إلا أن تبصروا ذلك، وتعلموا أن وعد الله حق لا ريب فيه ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء**

اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: 5 : 7].

إذن؛ الخطاب الإلهي موجه إلى العقل (السمع والبصر والفؤاد) كي يقوم بدوره من التفاعل معه، وإسقاط الدال على المدلول عليه للوصول إلى فهم الدلالة والحكم عليها بالحق أو الباطل، وذلك راجع لمصداقيتها في الواقع أو عدم ذلك، انظر قوله تعالى: **﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾** [الطور: 35-36].

﴿اعْلَموا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: 17].

﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43].

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون﴾ [النور: 61].

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 230].

فالإيمان بالله ووحدانيته واليوم الآخر والرسالة التي أنزل إلى رسوله، ذلك كله كان بالعقل، فهو الذي حكم عليهم بصفة الحق من جراء المصداقية التي قامت عنده من تطابق الدال مع المدلول عليه في الواقع فوصل إلى الدلالة الحق، وليس حكمًا خُلَّبيًّا فراغيًّا، وبعد هذه العملية يأتي دور الانقياد للحق أو الكفر به، قال تعالى: **﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾** [النمل: 14].

﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33].

وينبغي أن نفرق في هذه المسألة بين شيئين:

الأول: أن الوجود الموضوعي الحق خارج الذهن الإنساني لا يستمِدُّ وجوده من حكم الإنسان عليه بالوجود أو عدمه، ولا يتأثر به أبدًا نحو وجود الشمس ساطعة في كبد السماء، فهي لا تستمِدُّ وجودها من علم الناس بها أو الإيمان بوجودها، كما أنها لا تتأثر إذا لم يعلم بها أحد؛ لأن وجودها حقيقة موضوعية لا علاقة للعقل بوجودها أو عدمها في الواقع.

الثاني: حكم العقل على وجود الشيء أو صفته إنما هو بالنسبة إليه، وعدم العلم بالشيء يخرجه من دائرة التفكير، وبالتالي لا يكون محلًّا للتفكير أو الإيمان أو الكفر، وهذا لا يعني أن الشيء موجود أو معدوم، فهذا أمر آخر يرجع إلى قاعدة المستحيل والممكن والواجب، فحكم العقل على الشيء إنما هو ليتخذ موقفًا تجاهه علمًا أو عدمًا إيمانًا أو كفرًا، وليس موجَّهًا إلى حقيقة الشيء ولا يؤثر به.

فالرسالة الإلهية تستمِدُّ مصداقيتها بالنسبة للعقل من خلال تطابق الدال مع المدلول عليه والوصول إلى الدلالة الحق.

﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت: 53].

فإذا لم يتبين للعقل أن الشيء المعني بالخطاب هو حق، يكون بالنسبة إليه ليس حقًا رغم أنه حق في ذاته، فالأعمى الذي لا يرى يكون الشيء بالنسبة إليه بحكم العدم رغم أن الشيء المعني موجود في الواقع، وعدم رؤيته من قبل الأعمى لا يؤثِّر على وجود الشيء بذاته، ولكن عدم الرؤية له تؤثر على علم وحكم الأعمى عليه بالوجود أو العدم، بالصواب أو الخطأ.

فمن هذا المنطلق أنزل اللهُ رسالته يخاطب بها الناسَ حسب تفكيرهم فجعل خطابه كلَّه تحت متناول السمع والبصر ليستطيع الإنسان أن يعلمه، ويتبين له أنه الحق، ومن ثم يتخذ موقفًا من ذلك إما الإيمان أو الكفر.

وكون الرسالة الإلهية موجَّهة إلى الناس كافة عبر الزمان والمكان اقتضى أن تكون الرسالة متصفة بصفة الدوام والثبات وتضمن الحركة والتطور لتواكب مستجدات الحياة عند الناس، فيوجد في الرسالة محور ثابت يحقق التواصل بين المجتمعات ويوجد محور متغيِّر يتحرك وفق المحور الثابت يضمن التطور والارتقاء للمجتمعات.

ومن الطبيعي أن لا يوجد مجتمع يفكر عن مجتمع آخر، خاصة إن كان المجتمع من التاريخ، فلا يصح وصاية الأموات على الأحياء؛ لأن الرسالة الإلهية هي خطاب لمجتمعات متصفة بالحياة، وكل مجتمع له تفاعله مع الخطاب الإلهي حسب موارده وأدواته المعرفية وثقافته واحتياجاته.

وهذا يعني أن كل مجتمع معني بالخطاب الإلهي ويجب أن يتفاعل معه بشكل عمودي وليس أفقيًّا ماضويًّا يستجلب مشاكل المجتمعات السابقة وحلولها، فلكل مجتمع معاناته ومشاكله الخاصة به وفق معطيات زمانه.

فالعقل لا يرفض كل ماجاء به السلف، وإنما يقوم بفرزه من جديد حسب الأدوات المعرفية المعاصرة، ويحتفظ بالصواب ويستبعد ما يراه خطأً أو غير مناسب له ويتركه في التاريخ كمادة معرفية للدراسة الاجتماعية والعبرة والعظة، ولا يجعله مصدرًا دينيًّا تشريعيًّا؛ لأن التاريخ ليس مصدرًا دينيًّا ولا يؤسس تشريعًا، وكل مجتمع لاحق هو وريث ثقافي لمجتمع سابق.

وكل مجتمع يضيف تفاعله إلى عجلة الحياة ويضع لبناته في محلها لتكون تراثًا لمجتمع لاحق، وتقوم المجتمعات بفرز التراث والتحديث المستمر قبل تبنِّيه واستبعاد الأوهام والأخطاء ونفي القداسة عن التراث صدر من أي كائن كان في التاريخ على صعيد الأصول أو الفروع أو سائر العلوم.

فكل شيء يخضع لعملية الفرز، وما قام عليه البرهان أنه صواب يستمر بالتواصل، ويبقى كتاب الله ثابتًا مستمرًا، ولا يخضع لعملية الفرز؛ لأنه ليس تراثًا، وإنما هو من عند الله العزيز الحكيم، فيكون المحور والأساس لعملية فرز التراث بجانب الواقع

الذي هو محل الخطاب الإلهي، وذلك بالنسبة للتراث الذي يتعلَّق بفهم كتاب الله عز وجل، أما التراث الآخر من العلوم فمحوره الواقع وما يصل إليه الإنسان من حقائق أو أقرب للحقيقة.

إذن؛ يجب على المجتمع المعاصر أن لا يكون نسخة عما سبقه من المجتمعات، وإنما يجب أن يكون له وجود حرٌّ يحقق السيرورة مع المجتمعات السابقة من جراء عملية الفرز للتراث، وبذلك يكون قد تواصل مع السلف وبالوقت ذاته حقق التطور على الأصعده كلها، وسار في ركب الحضارة محافظًا على هويته وثقافته وأصالته وحقق الصيرورة، فيستخدم التقنية الحضارية ولا يسمح لها باستخدامه، ويوجهها حسب ما يخدم به مصلحته من الحفاظ على الهوية والثقافة، ولا يدع الذين يصدرون التقنية أن يجعلوه مستهلكًا لإنتاجهم، ويفرضون عليه قيمًا تقنية من خلال حضارتهم التي تفرض ذاتها بالقوة، وذلك بعملية الاستيعاب للتقنيات جميعها وتوظيفها حسب ثقافتنا.

والويل كل الويل إذا أعرضنا عن هذه الحضارة وتراكمت تطورًا، فإن الجيل اللاحق سرعان ما سوف يستجيب لها ويتأثر بها ويتبناها حيث إنها واقع موجود يفرض ذاته على كل ثقافة نظرية موروثة لا واقع لها ولا تأثير، وعندئذ لن ينفع المنطق والجدال والصواب والخطأ؛ لأن المجتمع يرى هذه التقنيات قد وفرت له المتعة، وحققت له المصالح، وذلك لأنه عديم الثقافة الجادة الفاعلة، فمن الطبيعي جدًّا أن يستجيب للموجات الإعلامية الغربية التي تبث التقنيات واستخدامها لنمط الحياة الذي يريدون، فيصير مجتمعًا مستهلكًا لمنتوجاتهم ومجتمعًا تابعًا لهم ليس له من الأمر شيء.

لذا؛ يجب على المجتمع أن يحرر عقله من النقل الأجوف، ويقوم بعملية الفرز له حسب أدواته المعرفية؛ لأن لكل زمان أدواته المعرفية الخاصة به التي تؤثر في فهمه وحكمه على الأشياء، وبالوقت ذاته يقوم بتعلم الحضارة المادية وجلب أكبر قدر ممكن من التقنيات، ويحاول في أسرع وقت أن يحصل على العقل المنتج ويبدأ

رحلته المادية الحضارية من حيث انتهى الغرب إليه، فيشارك بصنعها قدر استطاعته ويفرض نفسه ويكون المثيل لهم في ذلك، وعندئذ يستطيع أن يحمي نفسه من الاندثار والتفسخ والانحلال، ويحمي المجتمع من الذوبان في ثقافة الغرب التقنية الحتمية كونها الأقوى.

فالتقنية المادية هي شيء عام للإنسانية جميعًا، فيجب على كل مجتمع أن يقوم بصنعها وتعلمها وتبادل ذلك مع المجتمعات الأخرى، وأي مجتمع يعرض عن تعلمها وصنعها فهو لا محالة سائر في طريق الاندثار أو الذوبان مع المجتمع الذي يصدر له هذه التقنية، ولن تحميه ثقافته مهما بلغت قوتها الروحانية أو الفلسفية، ولن تصمد الأعراف أو المفاهيم أو الآداب والملاحم البطولية للسلف تحت مطارق التقنية المفروضة على المجتمع.

لذا؛ يجب أن تدخل هذه التقنية من أبواب المجتمع بإذنه ورعايته، ويقوم بنشرها علمًا وعملًا ويوظِّفها لما يخدم ثقافته المفروزة، ويحقق أهدافه من الخير والعدل والحرية والتقدُّم والتطور مع الحفاظ على التواصل مع المجتمع السابق (السلف) وفق محور الثابت والمتغير.

إن تحرر العقل من النقل يجب أن يستمر حتى في المجتمع الواحد، فلا يخضع المجتمع لفئة من الناس لمجرد أنها الأقوى، أو لأن لها سلطة علمية وما شابه ذلك من الأكثرية، فيجب أن تستمر عملية الفرز للأفكار واستبعاد الخطأ والوهم منها، وهذا يقتضي وجود الحرية الفكرية في المجتمع الواحد ذاته، وهذا الاختلاف في المجتمع الواحد الذي يقوم على مفهوم السلام والتعايش والتعارف بين أفراد المجتمع وفئاته الذين تجمعهم الثقافة الواحدة ذات الرؤى المتعدِّدة يكون دافعًا للإبداع والبحث العلمي الجاد والتطور.

وبعد هذا المدخل المختصر إلى أهمية العقل، وأنه الأساس والسيِّد المهيمن على النقل وهو مناط التكليف والمسؤولية والخطاب، نأتي إلى العقل ذاته نحاول أن نعرض تعريفه بشكل مختصر.

العقل ليس أداة عضوية موجودة في الإنسان

العقل ليس أداة عضوية موجودة في الإنسان مثل الأذن والعين، وإنما هو تفاعل مجموعة من الأعضاء والوظائف التي هي السمع والبصر والدماغ مع المحيط الخارجي حولها، فإذا عزلنا الإنسان عن الواقع بشكل كلي، فإنه لا يستطيع التفكير والانسجام مع الواقع إذا عاد إليه رغم امتلاكه للأذن والعين والدماغ، وذلك راجع إلى عزلته وعدم سماعه ورؤيته للأحداث والتطور المعرفي والثقافي، نحو السجين الذي يستمر سجنه مدة طويلة.

فالعقل: هو وظيفة يقوم بها الإنسان، وهي وظيفة اكتسابية ومهارة مثلها مثل أي مهارة يتقنها الإنسان، نحو الكتابة والسباحة، فالإنسان مستعد بفطرته لاكتساب هذه الأشياء، فنقول: الإنسان كاتب بالقوة الكامنة في نفسه ولو لم يتعلم الكتابة بعد.

لأن قوة الكتابة والسباحة كامنة في نفس الإنسان تريد من يخرجها، وذلك بالعلم والتعلم والتدريب، وإعطائه الوقود الذي يشعله ويشحنه، والتي هي المعلومات عن الواقع المحسوس، وذلك من خلال إحساسه بها عن طريق حواسه أو أحدها.

فيقوم بعملية الإسقاط للمعلومات على الواقع والوصول إلى مصداقية الفكرة المعنية، فيشتعل وينشحن العقل وينير للإنسان ما حوله فيجتنب الحُفر والمطبات والمهالك الفكرية، ويسير بشكل سليم ويقوم ببناء حضارة قوية على الصعيد الإنساني والمادي، وذلك من خلال الإشعاع العقلي الذي يقوم بشكل دائم على استهلاك الوقود المعلوماتي، كما أن كتاب الله نور يرى العقل من خلاله.

فإذا توقف العقل عن استهلاك الوقود انطفأ النور واختفى الإشعاع وحلت

محله الظلمة، ولا يملك هذا الإنسان إلا أن يسير مضطرًا بنور غيره وشعاعه، فيصير كالأعمى الذي هو بحاجة إلى من يقوده، ولكن عماه ليس عمى العين، وإنما عمى البصيرة.

قال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: 46].

﴿**وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ**﴾ [فاطر: 19–20].

والقرءان لم يستخدم كلمة العقل بصيغة الاسم أبدًا بخلاف السمع والبصر والفؤاد فقد استخدمهم بصيغة الاسم؛ مما يدل على أن العقل في الاستخدام القرءاني هو وظيفة وعمل وليس أداة.

قال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَرُ وَلَكِن تَعْمى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: 46].

وقال: ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [الملك: 10].

وقال: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [الرعد: 4].

وقال: ﴿**وَهوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [المؤمنون: 80].

لاحظ أن كلمة (العقل) قد جاءت بصيغة فعل ووظيفة للقلب الذي هو الدماغ الذي يتموضع فيه الفؤاد، وهو مركز لحواسه التي تلتقط المعلومات من المحيط الخارجي.

والقرءان خاطب هذا الإنسان من هذا المنطلق، فأمره بالتفكير والتدبر ودلَّه كيف

يتم ذلك بقوله تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [العنكبوت: 20].

فالتفكير في الشيء لا يمكن أن يتم إلا من خلال معرفة كيف بدأ الشيء واستمر وما آل إليه (كان، سار، صار)، فيتم عندئذ اكتشاف القانون الذي يحكم سير الشيء، وبعد الاكتشاف للقانون يأتي دور التوظيف والتسخير لهذا الأمر من خلال توجيهه أو تسريعه أو إبطائه أو استغلاله أو استنساخه أو استخدامه مع قانون غيره لتوليد شيء لم يكن له وجود مسبقًا، وهذه المراحل مجتمعة: السير والدراسة، والاكتشاف للقانون، والتسخير له تُسَمَّى العلم.

فعقل الإنسان في أصله منحة من الله للناس دون سائر المخلوقات الأرضية، وهو القوة الكامنة المستعدة لتلقي العلوم والمعارف، وليس ذلك إلا القدرة على التمييز، فهذه القوة تلد مع الإنسان ابتداء، وهي ليست علمًا أو معرفة إنما هي قوة كامنة. قال تعالى: ﴿**وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [النحل: 78].

وبعد الإخراج إلى الحياة الدنيا يسير الإنسان في الأرض دراسة وتدبرًا واكتشافًا وتسخيرًا مستخدمًا قوته التي ولدت معه، وهي التمييز، فيقوم بفرز المعلومات وتصنيفها وجدولتها وترتيبها (التقليم) وتحليلها وتركيبها والاستنساخ منها والاستقراء لها، فيصل إلى معلومات تصير عنده قوانين يستخدمها كأدوات معرفية لتحصيل معلومات جديدة.

وهكذا، كلما امتدت به الحياة وسار في الأرض دراسة زاد علمه وتجددت أدواته المعرفية، وزادت دقته وملاحظته واستيعابه لمعلومات أخرى.

إذن؛ العقل أول ما يتفاعل مع الواقع يأخذ مجموعة من القوانين الكلية من جراء مشاهدة الأمور وتكرارها على منوال واحد لا تتخلف أبدًا نحو:

لا بُدَّ لكل سبب من مسبب، واستحالة جمع النقيضين من الصفات لشيء واحد مثل الحق والباطل، العدل والظلم، والنور والظلام...إلخ، فيحصل على مجموعة قوانين كلية اصطلح عليها اسم قوانين العقل الكلية.

وهذه القوانين هي بديهية لا تحتاج إلى برهان ليعطيها المصداقية؛ لأنها مشاهدةٌ في الواقع الاجتماعي، وهي من الأعمال التي يقوم بها الإنسان وحده من خلال تفاعله مع الواقع.

وهذه القوانين الكلية للعقل هي قاسم مشترك بين الناس جميعًا وهي التي تشكل عند الإنسان البرنامج النظامي الذي تكون قاعدته التمييز الموجود أصلًا، وهذا البرنامج بقاعدته يكون محلًّا لسائر العلوم كلها.

وهذا البرنامج تختلف سعته وقدرته من إنسان إلى آخر، فالإنسان الذي يحصل على العلوم ويصل إلى مجموعة من قوانين أخرى مرتبطة بالواقع تصير بالنسبة إليه مثلها مثل قوانين العقل الكلية؛ مما يؤدِّي عنده إلى اتساع البرنامج الذي يضع به المعلومات وزادت قوانين العقل لديه، فيستطيع أن يفهم ويحلل ويضع في برنامجه الكبير ما يعجز عنه صاحب البرنامج الصغير الذي اكتفى بالقوانين الكلية الأساسية، ولذلك يقال بالمثل: الوعاء الكبير يسع الوعاء الصغير.

قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: 9].

والإنسان بجانب اكتسابه قوانين العقل الكلية من التفاعل مع المحيط الخارجي، فإنه يكتسب من خلال تفاعله مع المجتمع وانتمائه له مفاهيم ثقافية، مثل مفهوم الحرام والحلال، الممنوع والمسموح، الجمال والقبح، الآداب والعادات والتقاليد وموقفه من الخرافات والأساطير، وحسه القومي والوطني...إلخ.

ويكتسب أيضًا من خلال دراسته لمظاهر الطبيعة معلومات مفصلة متعلقة بالمادة المدروسة، فيحصل على العقل العلمي.

أنواع العقل النظامي

إذن؛ يوجد العقل الفطري: وهو القوة الكامنة التي تلد مع الإنسان، وهي التمييز.

ويوجد العقل الفردي المجرد الاكتسابي: والذي هو مجموعة قوانين العقل الكلية الأساسية التي هي قاسم مشترك بين الناس جميعًا على الغالب.

ويوجد العقل الثقافي: والذي هو اكتساب مفاهيم المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، وهذا ما يميز مجتمع عن آخر (الشخصية).

ويوجد العقل العلمي: وهو الحصول على مجموعة من القوانين من خلال مظاهر الطبيعة وأحداثها، كيف بدأت واستمرت وإلى ماذا تؤول، وتسخير ذلك لتحقيق المصلحة للناس، وهذا العقل: هو علاقة الإنسان مع الكون من حوله (آفاقًا وأنفسًا).

إذن؛ العقل عند الدراسة لا يقصد به التمييز مجردًا؛ لأن ذلك هو فطرة في الناس وتحصيل حاصل، وإنما يقصد به هذه الشبكة من العلاقات الممثلة بالتمييز والعقل الفردي والعقل الثقافي والعقل العلمي، وكما هو ملاحظ أن هذه الأنواع من العقل إنما هي مجموعة أنظمة؛ لأنها قواعد تحكم وتسيطر على سلوك الإنسان.

فعندما يريد الإنسان أن يفكر ينبغي عليه ألا يجزئ هذه الأنظمة عن بعضها؛ لأن عملية تجزئتها تسبب عند الإنسان انفصامًا في تفكيره، وبالتالي يصدر منه سلوك أو حكم يكون مضطربًا ومتناقضًا مع نظام العقل الآخر نحو اكتساب الإنسان من مجتمعه بعض الأساطير والمفاهيم، وإمكانية حدوث شيء دون سبب أو دون قانون يحكم هذا الشيء، ويصدق ذلك لمجرد أنه فتح عينيه على الدنيا فسمع آباءه يتحدثون بذلك فاكتسب هذه الثقافة من المجتمع.

فإذا تعرض لمثل هذا الموقف في المستقبل نجده يسارع في استخدام النظام الثقافي فقط، ويصدر حكمه بناء عليه متغافلًا نظام العقل الكلي ومعطلًا لأساس العقل التمييز، وهذا ما نلاحظه في إنسان يملك نظامًا عقليًّا علميًّا، فيصدر منه سلوك ينتج عن استخدام النظام الثقافي فقط دون فرز له، فيتوجه بالتقديس والتعظيم لبقرة أو ميت أو زعيم... إلخ.

فلو استخدم نظام العقل الفردي الكلي بجانب نظام العقل الثقافي المفروز لاستطاع أن يحكم على الفكرة بشكل صحيح متطابق مع الواقع بعيد عن الخرافات والأوهام، وإذا لم يستطع الحكم على هذه الظاهرة، فإنه يلجأ إلى نظام العقل العلمي ويستنطقه في تفسير هذه الظاهرة على ما هي عليه في الواقع بعيدًا عن الأوهام والخرافات والأساطير، فإذا لم يستطع العقل بأنظمته تفسير هذه الظاهرة، فيبقى تفسيرها من الثقافة الشعبية، ولا يبني عليها أي شيء ولا يعول عليها وتبقى مجرد قصة في الخيال الشعبي لا ينبثق منها سلوك، وتنتفي صفة المفهوم عنها.

فالعقل هو مجموعة أنظمة معرفية معقدة متشابكة مع بعضها، وهكذا الموجودات كلها،فلا يوجد شيء دون نظام يحكمه، وإذا أردت التعامل مع هذه الأشياء فيجب معرفة النظام الذي يحكم هذا الشيء، فمن خلاله ممكن أن تتعامل معه.

وبناء على ما ذكرت يكون فرز العقل الثقافي يتم من خلال نظام العقل الكلي الفردي ونظام العقل العلمي القائمين أساسًا على نظام التمييز، فنحافظ على ثقافتنا منسجمة كل الانسجام مع أنظمة العقل الأخرى، ويكون جلب واستحضار نتاج العقل العلمي من المجتمعات الأخرى بهيمنة وسيطرة العقل الثقافي المفروز.

وإذا أردنا أن ننهض بالمجتمع العربي والإسلامي على حد سواء فلا بُدَّ من استخدام أنظمة العقل المعرفية كلها، وعدم إهمال أي نظام منها؛ لأن استخدام النظام الثقافي مجردًا يجمِّد المجتمعات على ما هو عليه ويصير نسخة عن السلف ويصير مجتمعًا جامدًا غير قابل للتطور، وبالتالي فإنه سوف يضمحل مع الزمن ويتفكك؛ لأن نظام

الحياة قائم على التطور وسوف يركم خلفه كل من يخرج عن هذا النظام ويتجاوزه ليصير المجتمع في ذمة التاريخ، والمسألة مسألة وقت لا أكثر، وهذه سنة الله في الحياة.

والذي يستخدم النظام العقلي العلمي فقط فإنه يحكم على مجتمعه أيضًا بالزوال، وذلك من خلال ذوبان مجتمعه في المجتمع الأقوى الذي يصدر التقنية العلمية؛ مما يؤدي مع الزمن لانهيار ثقافته وعدم قدرتها على استيعاب التطور الهائل القادم من المجتمع الأقوى الذي يصدر مع التقنية نمط الحياة الاجتماعية والفكرية،وذلك بفرض استخدام التقنية كما يريد هو، وليس كما نريد نحن.

وكذلك عندما يستخدم المجتمع أنظمة العقل كلها،ولكن بشكل مفكك عن بعضها ومجزأ؛ وكل نظام عقلي له فئة تتبناه بشكل مستقل عن الآخر يؤدي لظهور مجتمع مضطرب متناحر يقوم على الصراع فيما بين فئاته التي تمثل كل واحدة نظامًا عقليًّا خاصًّا بها.

فهذا الوضع هو على درجة من الخطورة، فيمكن أن يصل إلى قيادة المجتمع فئة تمثل العقل الثقافي مجردًا فتقوم بهدم كل ما كان من العقل العلمي، وممكن أن يصل إلى قيادة المجتمع فئة تمثل العقل العلمي فتقوم بهدم أنظمة العقل المعرفية، ويصير المجتمع كلوحة فسيفسائية غير معلومة الملامح، وتبقى حركة المجتمع في حالة صراع اجتماعي ثقافي دائري لا يتقدم للأمام، ولا يتطور أبدًا ومآله الى الاضمحلال والزوال عاجلًا أو آجلًا، خاصة بوجود السرعة الهائلة للتطور والمعلوماتية على الصعيد العالمي، والتأثر بها شيء حتمي مهما وقفت في وجهها السدود والموانع فسوف يتحطم ذلك كله أمام التطور، خاصة أن الأرض الآن أشبه بالمدينة الواحدة الكبيرة.

فاستخدام أي نظام عقلي مجردًا عن الأنظمة الأخرى يؤدي في النهاية لدمار وتفكك المجتمع من الوجود.

لذا؛ يجب الحذر من تجزيء الأنظمة العقلية في عملية النهضة لإنشاء حضارة،

وهذه المهمة يجب أن تحملها الطبقة الواعية في المجتمع الذي يطلق عليها اسم النخبة فتقف موقف القيادة وولي الأمر للمجتمع تأخذ بيده وتدربه على استخدام الأنظمة العقلية مجتمعة مع عملية فرز النظام الثقافي باستمرار، وذلك كله تحت شعار: الحرية للجميع ولا إكراه لأحد، والتطور شيء لا بُدَّ منه.

بقيت مسألة لا بُدَّ من التعرض لها؛ لأنها محل الصراع بين فئات المجتمع، ألا وهي:

هل العقل مصدرٌ شرعيٌّ، أم لا؟

إن كلمة مصدر من صَدَرَ، التي تعني: ورود الشيء، ثم الشخوص عنه وهي تدل في دلالتها على صدور شيء من شيء آخر بعد الورود إليه.

فنقول: أصدرت دار النشر كتاب العلم والمعرفة.

قال تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ**﴾ **[الزلزلة: 6]**.

فالمصدر: هو ما نرد إليه، ثم نشخص منه بمعرفة وعلم.

والعقل لا نرد إليه وإنما نرد به إلى المصدر، فنشخص منه بالمعرفة والعلم بواسطة العقل الذي يقوم بعملية الترتيب والتصنيف والتمييز (التقليم) والاستنتاج والاستقراء والقياس للأشياء المتماثلة بالعلة... إلخ.

لذا؛ العقل ليس مصدرًا يرد إليه الإنسان، وإنما هو دليل يرد به إلى المصدر ليحصل على حكم ما يريد أو معرفة ما يجهل.

والمصدر للشرع الإلهي الدائم المقدس للإنسان هو كتاب الله عز وجل الذي أنزله إلى رسوله ليتلوه على الناس، ومحل هذا الشرع الإلهي هو الواقع المعني بالخطاب من أنظمة المجتمع التي تنظم حياة الناس لتحقق له السعادة والمصلحة من منطلق الرحمة واليسر، فأنزل الله شرعًا متصفًا بالحدودية والكلية قائمًا على المقاصد وأعطى الإنسانَ

حريةَ الحركة بين حدود الله؛ ليختار ما يراه يحقق مصلحته مع الانسجام مع الواقع الذي يعيشه حسب الأدوات المعرفية التي حصل عليها.

وهذه الحركة بين حدود الله عز وجل هي شيء لازم لطبيعة الشرع الحاكم الدائم، وإلا انتفت صفة الدوام والصلاحية والإنسانية عنه، وصار شرعًا عينيًّا قوميًّا مرتبطًا بالزمان والمكان الذي نزل فيه.

وإضافة للمصدر الإلهي المنزل، يوجد مصدر آخر لا يقل أهمية عن المصدر الأول، ولا يُستغنى عنه، وهو بالمستوى ذاته من حيث المصدرية، أي: كلاهما من عند الله العزيز الحميد، ألا وهو الآفاق والأنفس، فهو محل للخطاب الإلهي، وهو مصدر علمي ومحل للتفكير والدراسة بالوقت ذاته من خلال السير في الأرض، ومعرفة كيف بدأ الخلق.

ويكون- في الواقع- هو السكة التي يمشي عليها العقل ليحصل على المعرفة والعلم، وإذا خرج الإنسان عن هذه السكة هلك وضل؛ لأن السكة هي الأمان له من الهلاك والزلل والخطأ.

لذا؛ على العقل أن يدور معها حيث تدور، ويقف حيث تقف، ولا دراسة أو تفكير دون واقع يكون محلًّا للتفكير والدراسة.

فشرع الله عز وجل الدائم هو الحدود التي يجب عدم تجاوزها صعودًا في العقوبات، أو نزولًا في الأحكام الاجتماعية حسب طبيعة الحكم وتعلُّقه، والواقع -آفاقًا وأنفسًا- هو السكة التي يمشي عليها العقل ليفهم ما أنزل الله من رسالة، وتطبيق لشرعه حسب المصلحة العامة ضمن حدود الله ومقاصده في التشريع.

حاكمية الله عز وجل وحاكمية الإنسان

الحكم الدائم للجنس الإنساني يضعه الله عز وجل العليم الحكيم الخبير بما خلق، لا محاباة فيه لأحد ﴿**مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف: 40]، ﴿**قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**﴾ [الأنعام: 57]، ويقوم على الرحمة واليسر، توخَّى فيه جانب الضعف الإنساني وقدرته المحدودة ونظم حركته في الحياة الاجتماعية لإشباع شهواته ورغباته وغرائزه بوضع شرع حدودي كلي للإنسان، وجعل الإنسان كجنس خليفة في الأرض ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: 30].

يحمل هذا الشرع الحدودي وأعطاه الصلاحية في التصرف والتحرك ضمن حدود الشرع لإيجاد حكم للأشياء المستجدة حسب ما يراه صوابًا، ويحقق المصلحة بشرط ألا يتجاوز حدود الله، وهذا مفهوم صلاحية مقام الخلافة للإنسان ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا**﴾ [النساء: 105]،

﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا**﴾ [النساء: 35].

فالله يقوم بالحكم، والإنسان يقوم بالحكم، ولكل منهما مجال غير الآخر. فحكم الله هو الحدود الثابتة للانسان كجنس، التي تضمن التواصل مع المجتمعات، وحكم الإنسان هو لمجتمعه حسب أدواته المعرفية مرتبطًا بزمانه لا يتجاوز حكم الله، وإنما يتحرك بين حدوده بالصلاحية التي أعطاها الله إياها التي هي منصب الخلافة، وبذلك يضمن التطور في الحياة الاجتماعية من خلال السيرورة مع المجتمعات السابقة والصيروة في حركته.

فالعقل يقوم بالحكم اعتمادًا على المصدر الإلهي الشرعي وتفاعله مع الواقع -آفاقًا وأنفسًا- فيختار ما يراه صوابًا ومحققًا لمصلحته، ويحصل على العلم والمعرفة والتسخير وبناء حضارة عظيمة.

فالواقع هو موضع للتفكير ومصدر للمعلومات بالوقت ذاته، والعقل هو دليل للعلم والمعرفة، وليس مصدرًا بينما التفكير يصير مصدرًا لإنشاء أفكار جديدة من خلال استنباتها من أفكار قديمة عنده.

نقد قاعدة (لا اجتهاد في مورد النص)

هذه القاعدة استُخْدِمَت كحجر أساس في مادة أصول الفقه، وعدّت من المسلَّمات، فما إن يبدأ نقاش أو اختلاف، إلا ويشهرون هذه القاعدة في وجه من يحاول الدراسة والاجتهاد، سيفًا مسلَّطًا على الفكر يقطع عنقه، ويمنع الحرية من أن تمارَس في الواقع.

ويتم استخدام هذه القاعدة من قبل أصحابها بشكل تدليسي ليغتالوا عقل من يحاول الاجتهاد، ويجعلوه يظهر أمام الناس بموقف ضعيف انهزامي، وأنه تجرَّأ على مخالفة النص المقدس، وإيجاد مفهوم آخر يحل محله، وهذا عمل بالنسبة إليهم على درجة من الخطورة، إذ يعدّونه تشريعًا مع الله، وبالتالي يصير هذا الإنسان مشركًا بالألوهية - الحاكمية -!

وبالتالي تقوم تلك الفئة بإثارة الرأي الشعبي عليه، وهم من أكثر الناس تأثيرًا به بحكم اتصالهم المباشر معهم وخبرتهم في ذلك، ويقومون بحبك شبكة من الأفكار وربطها في العقيدة حول التراث، حتى يمنعوا أية جهة من أن تفهم غير ما هو مطروح في الموروث الثقافي.

وقد نجحوا بذلك نجاحًا منقطع النظير، واغتالوا العقل الحرَّ المبدع منذ قرون مضت، واستمر هذا الاغتيال إلى الوقت الحالي حتى صارت القاعدة: (لا اجتهاد في مورد النص)، هي من مقومات العقل العربي والإسلامي، فرجال القانون يعدّون هذه القاعدة أصلًا قانونيًّا يلتزمون به، ويستخدمونه في مرافعاتهم لكسب المعركة وحسم الجدال بينهم، فيشهرون هذه القاعدة في وجه بعضهم ليستمر عملها في قتل وخنق كل فكر حرٍّ.

ولنعرض التساؤل التالي: ماذا يقصد رجال القانون بهذا الإشهار؟

وأيّ نص يقصدون التقيد به وعدم الخروج عنه؟

والجواب عن السؤال هو: إن الإشهار للقاعدة هو للمناورة، وجولة لكسب المعركة وإظهار الخصم في موقف الضعف، موقف الذي يخالف ما هو معلوم بالضرورة، ولو تبادل الفريقان مكانهما لقام كل واحد منهما بالدور ذاته، أي: من كان خصمًا يُشهر في وجهة قاعدة: (لا اجتهاد في مورد النص)، نجده يقوم الآن لتغير الظروف والقضية بإشهار هذه القاعدة في وجه خصمه الذي كان يشهرها سابقًا في وجهه، وهكذا دواليك، تُستخدم هذه القاعدة في القانون بشكل تدليسي وأجوف لكسب المعركة، فهي بالنتيجة سلاح يستخدمه الفريقان بحسب موقعهما ومصلحتهما.

أما الجواب عن السؤال الثاني: فهو أن مقصد رجال القانون بكلمة النص هو مادة القانون، التي تم وضعها من قبلهم، أو من قبل زملائهم وتم تصديقها من جهة معينة بشكل ساذج لعدم علمهم بهذا المجال، وبالتالي أخذت الجانب الشرعي المدعوم بالسلطة التنفيذية.

إذن؛ النص القانوني هو نص وضعه رجال القانون، وكون الأمر كذلك ينبغي على أمثالهم أن ينقضوه أو يعدلوه؛ لأنه صدر من أمثالهم، ولا تُعطى له صفة القداسة والتعظيم، ولكن الملاحظ أن النص القانوني له القداسة والتعظيم وصار فوق النقد والنقض، ولحمايته وعدم المساس به اخترعوا قاعدة: (لا اجتهاد في مورد النص)، فصار رجال القانون مجرد جهاز تنفيذي للقانون الموجود يقومون بتلاوته على الناس، ولا يحق لأي واحد منهم أن يجتهد لتحقيق المصلحة العامة للناس.

فلذا؛ نرى كثيرًا من المسائل الموجودة ضد مصلحة الناس بشكل مباشر، ومع ذلك هي مستمرة في الوجود والتطبيق من قبل مجالس القضاء كلها، وأي اعتراض يوجَّه لهم يتعلق بها يعتذرون ويشهرون قاعدة: (لا اجتهاد في مورد النص)، ولا

نملك صلاحية التعديل أو إيجاد البديل، وبهذا العمل انتفى دور القاضي، إذ صار مجرد موظف يتلو مواد القانون واحدة تلو الأخرى حسب ما يعرض عليه من مسائل.

وهذا عمل يقوم به أبسط الناس ثقافة وعلمًا، ولا حاجة لدراسة القانون مدة أربع سنوات، ولا حاجة لوجود الخبرة الطويلة في مجال الممارسة حتى يصير الإنسان قاضيًا؛ لأن ذلك كله لن يستخدمه ولن ينفعه ولن يسأله أحد عن رأيه أصلًا، وإنما المطلوب منه مجرد تلاوة لمواد القانون دون تدخل منه لا من قريب ولا من بعيد، فهو مجرد حافظ لمواد القانون يكررها تلاوة في المناسبات التي وضعت لها.

وكون القانون يستحيل أن يستوعب الحالات المستجدة في الواقع للتطور الدائم فإن القاضي يقف عاجزًا كل العجز أمام حالات كهذه، لعدم وجود نص قانوني يتناول هذه الحالة المستجدة ليقوم بتلاوته على مسمع من الناس؛ مما يدفع القاضي إلى الحيرة والتخبط إزاء هذه الأمور، فيضطر إلى عدم الحكم بها ويتركها دون حل وتتراكم هذه المستجدات دون حل في المجتمع حتى تصيبه بالفساد والهلاك وينتشر الظلم والتعسف والاحتيال، وتظهر الرشوة للحصول على الحق أو لاستمرار الباطل.

وذلك كله بعلم مجلس القضاء ورضاه، ولكنه يتحجج بالقاعدة المذكورة آنفًا، وأنه ليس له صلاحية الاجتهاد، ويلزم التعديل للقانون اجتماع المجلس الأعلى للقضاء ليقوم بسن مادة قانونية لهذه المشكلة واجتماع المجلس الأعلى للقضاء لا يمكن أن يُسفر عن أي أمر ما دام مربوطًا بالسلطة التنفيذية ويتلقى الأوامر منها.

فالقاضي لا علاقة له بالأمر والمواطن مغلوب على أمره، ولن ينعقد المجلس التشريعي من أجله هو وأمثاله، خاصة أن المشكلة قائمة في الواقع لا تنتظر اجتماعات ومؤتمرات وسوف تتفاقم أكثر وأكثر، ولن يصدر أمر من السلطة التنفيذية بذلك ؛لأن الأمر في أصله خارج عن اهتمامها واختصاصها، ولا وجود لجهة ما تطالب بذلك وتسلط الضوء عليه نحو مؤسسة الصحافة الحرة التي تمثل الشعب.

فليس للمواطن إلا أن يبلع الموس على الحدين، ويغادر مجلس القضاء مظلومًا محكومًا مسلوب الحق بهتانًا وإفكًا، وذلك كله يتم من جراء قاعدة: (لا اجتهاد في مورد النص)، وتابعية سلطة القضاء للسلطة التنفيذية، وهنا تظهر قاعدة أخرى أغرب وأدهى من الأولى ألا وهي: القانون لا يحمي المغفلين، فإذا كان القانون لا يحمي الإنسان الضعيف فاقد الحيلة، فمن يحمي القانون؟ لا شك أنه يحمي الأقوياء والأذكياء، وممن يحميهم؟ إنه يحميهم من الضعفاء فاقدي الحيلة، وبالتالي لن تطولهم يد العدالة.

فالقانون إذن وضع في أصله لتسهيل معاملة الأقوياء فيما بينهم ولحمايتهم من الضعفاء، فالقانون بهذه الحالة لا يطبق إلا على الضعفاء المغلوبين على أمرهم، أما الأقوياء فهم فوق القانون، بل إنهم هم القانون ذاته، وهذا هو الإجرام بحد ذاته، وهذا هو الفساد الاجتماعي الكبير، وهذا هو الاستعباد للناس؛ لأن الأصل في القانون هو لحماية الضعيف من القوي الظالم، ونصرة المظلوم من المستبد الطاغية.

فالمحور الذي يدور عليه القانون هو حقوق الإنسان لينشر الأمن والأمان والعدل والسلام بين الناس، ويلبي احتياجاتهم ويحقق مصالحهم وينظم ماذا لهم وماذا عليهم، فقاعدة: (لا اجتهاد في مورد النص)، ليست خاصة في أصول الفقه الإسلامي، فكما لاحظنا هي قاعدة أيضًا في العقل القانوني، وهي موجودة أيضًا في العقل المسيحي، فلقد قرأت في إحدى المجلات عن خلاف جرى بين مسؤول الكنيسة الأكبر في مصر وأحد رجال الكنيسة حول مصارف أموال الكنيسة، فأجاب المسؤول الأكبر: إن ذلك منصوص عليه بلائحة نظام الكنيسة الإداري، ولا اجتهاد في مورد النص، وتم حسم الخلاف بإشهار هذه القاعدة.

فمن خلال ما عرضنا من أمثلة، وما هو موجود في الواقع، يتبين لنا بشكل واضح أن القاعدة المذكورة صارت من مقومات العقل الإنساني غير قابلة للنقاش، لأنها هي نص بحد ذاتها، وينطبق عليها مدلولها ذاته.

والملاحظ من خلال تحليل استخدام القاعدة عند الفئات المختلفة أن لكل منهم مقصدًا بكلمة النص يختلف عن الآخر مما يقتضي لو اجتمعت تلك الفئات لنقاش مسألة فيما بينهم لاختلفوا ضرورة لإشهارهم قاعدة (لا اجتهاد في مورد النص) بوجه بعضهم بعضًا، وكل جهة لها مرجعيتها من النصوص التي تحكمها وتقيد تفكيرها، مما يعني أن هذه القاعدة موضوعة لحماية العقل الثقافي لكل منهم من عملية التجديد والاجتهاد.

وبالتالي تكون القاعدة المذكورة هي لترسيخ الاستبداد الفكري والاستعباد، ولمحاربة التطور والاجتهاد والابتكار للحفاظ على الوضع حسب ما كان.

وهذا الوضع للقاعدة ينفي عنها الصفة العلمية؛ لأن الأمر حتى يصير قاعدة للبناء والمرجعية يجب أن يكون صوابًا في ذاته، ومحل ثقة وتسليم من قبل الناس.

والذي يهمنا من دراستنا هو رأي علماء أصول الفقه الإسلامي، فقولهم: (لا اجتهاد في مورد النص) غامض، فيجب تحديد المقصد من كلمة النص عندهم، فما هو النص؟

مفهوم النص

هل هو نص القرءان؟ هل هو نص الحديث النبوي؟ هل هو الإجماع؟

هل هو فهم الصحابة وأهل بيت النبوة منهم؟ هل هو النص القطعي الثبوت أم يضاف إليه الظني الثبوت؟ هل هو النص ذو الدلالة القطعية، أم يضاف إليه ظني الدلالة؟

وهذه التساؤلات هي صدى لما هو موجود في التراث الإسلامي، وما زال مستمرًا إلى وقتنا المعاصر، وهي بدورها دليل على ما ذهبنا إليه من أن القاعدة المذكورة إنما تستخدم بشكل تدليسي غير محدد المعالم، والمقصد منها منع الخصم من الاجتهاد ومنعه من الخروج عن الموروث الثقافي، فهي إذن ليست أكثر من مناورة فكرية لاغتيال العقل.

فينبغي للمسألة حتى تصير قاعدة أن تكون صوابًا في ذاتها، أي: ثابتة وليست ظنًا وتخمينًا، وهذا الثبات هو أمر لا يتجزأ، مما يعني أنه يفيد التسليم له والثقة به من قبل من يعتقد به، وفي مسألتنا المعنية بالدراسة (النص) يكون الثبات على وجوه:

الأول: أن يكون النص مقدسًا بمعنى نسبته للخالق؛ لأن نص الناس لا قيمة له وغير ملزم لأحد.

الثاني: ثبوت النص قطعًا لمصدره الرباني، وذلك من خلال البرهان عليه.

الثالث: قطعية الدلالة، وذلك من وضوح المقصد بشكل لا لبس فيه.

وما سوى نص الخالق فلا قداسة له ولا تعظيم ولا تسليم، وينبغي نقده وتعديله

حسب المستجدات من التطور، وبناء على هذه الأمور الثلاثة المذكورة نناقش المقصد بكلمة النص من قاعدة: (لا اجتهاد في مورد النص).

1- حديث النبي: هو كلام صدر من إنسان ومادته في معظمها ظنية الثبوت كما أنها محل للاختلاف من كونها مصدرًا شرعيًّا أم لا، ناهيك عن التحريف الذي أصابها من زيادة ونقصان، وغير ذلك من الأمور الإشكالية المتعلقة بمادة الحديث التي في النهاية تنفي عن مادة الحديث المقصد من كلمة النص لعدم تحقق الشروط الثلاثة المذكورة بها آنفًا.

2- فهم الصحابة وأهل البيت: هو فهم بشري زمكاني متعلق بمعطيات واقع، وهي مسألة محل اختلاف كبير جدًّا بين المسلمين، فمنهم من عدَّها مصدرًا شرعيًّا، ومنهم من عدّها وسيلة لازمة لفهم الدِّين، ومنهم لم يعدّها إلاّ فهمًا تاريخيًّا لا يسحب إلى غيره من المجتمعات، ناهيك عن عدم حفظ فهمهم من التحريف، والتوظيف السياسي أثناء تطبيق أمور الدِّين، إلى غير ذلك من الإشكاليات المطروحة، وما ينطبق عليهما ينطبق على كل من أتى بعدهم من العلماء إلى يومنا المعاصر من باب أولى.

وبالتالي ليسوا هم المقصودين – أي: الصحابة وأهل البيت- بكلمة النص من القاعدة المعنية بالدراسة لعدم تحقق الشروط الثلاثة.

3- الإجماع: إن عدّ الإجماع بمثابة النص باطل، وهو أمر مستحدث في الدِّين لم يكن له وجود في حياة النبي والقرءان ينزل، غير أن ذاته ليس عليه إجماع فهو ظني الثبوت ناهيك عن الاختلاف الكبير في محل تحديد انعقاد الإجماع، فالإجماع عند طائفة ليس هو عند الآخرين، مما يسحب منه صفة المصدرية، وعدم تحقق الشروط الثلاثة به ينفي عنه المقصد بكلمة النص من القاعدة.

4- كتاب الله عز وجل: (القرءان) إن آيات الكتاب المتعلقة بالأحكام لا شك بأنها قطعية الثبوت وقطعية الدلالة (محكمات)، مما يعني أن كلمة النص في سياق القاعدة

لا تتناول إلا الآيات المتعلقة بالأحكام؛ لأن الآيات المتعلقة بالكونيات أو القصص يمكن أن تأتي ظنية الدلالة (متشابهات) وهي محل للاختلاف في الفهم والتدبر بين الناس حسب أدواتهم المعرفية وقدراتهم الفهمية، وهي تقبل التعدد بالفهم والتنوع.

فيكون المقصد من كلمة (النص) في القاعدة على افتراض صحة القاعدة يجب أن يحصر في آيات الأحكام المحكمة ذات الدلالة القطعية كون القرءان كله قطعي الثبوت لقيام البرهان عليه وتتابع وجوده في الأمة، وهو محل تسليم من معظم المسلمين من حيث أنه تنزيل من الله العزيز الحكيم.

من هذا المنطلق الإيماني عدَّ كتاب الله المصدر الشرعي الإلهي الوحيد الذي ليس فيه محاباة ولا مداهنة لأي مجتمع على آخر، وإنما هو شرع إنساني عالمي.

لذا، يكون الحرام ما حرَّمه الله في كتابه، والحلال ما أحلَّه الله في كتابه، والواجب ما أوجبه الله في كتابه، وذلك كله بدلالة قطعية لا لبس فيها، ولا غموض، وذلك لتمام الحكمة والرحمة الإلهية لأن هذه النصوص محل حساب ومسؤولية.

لنرَ بعد ذلك النقاش مدى صحة هذه القاعدة المتعلقة بالشرع الإلهي حصرًا، وهذا يوجب علينا معرفة أهم **خصائص الشرع الإلهي** وهي:

خاصية الكمال: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾ [المائدة: 3]، **فكلمة (أكملت) تعني: أن الأمر قد بدأ سابقًا والآن انتهى كمالًا، فالشرع الإلهي** القرءاني هو شرع جامع ومكمل لما قبله، وهذا يقتضي استمرار مجموعة من الأحكام السابقة أعطاها المصداقية من خلال إعادة تشريعها مرة أخرى، ووجود مجموعة أخرى قام الشرع بنسخها عندما سكت عنها وأتى بغيرها لتحل محلها، وذلك كله ضمن محور التواصل الذي هو وحدانية الله واليوم الآخر والنظام الأخلاقي الإنساني، فكانت صفة الإكمال مؤشرًا لوصول الإنسانية إلى مستوى تستطيع فيه أن تقف على قدميها، وتعتمد على ذاتها في مواكبة التطورات

والمستجدات وإيجاد الأحكام لها من الشرع الكامل.

وهذا يقتضي بالضرورة اختلاف صفة بنية الشرع عن الشرائع السابقة، فلقد كانت الشرائع السابقة متصفة بالعينية والقومية قائمة على الآصار والأغلال بينما الشرع الكامل ليس عينيًّا ولا قوميًّا، وإنما هو قائم على الرحمة واليسر، وموجَّه إلى الإنسانية ككل عبر الزمان والمكان، وهذه الصفات لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كانت بُنية الشرع بنية حدودية، وهي عكس صفة العينية في الشرائع السابقة مع مراعاة استمرار التشريع للمجتمعات كلها عبر الزمان والمكان وفق محور الثابت والمتغير.

والتشريع الحدودي هو أن يأتي بتشريع لأنظمة المجتمع بالحد الأدنى، ويترك الأعلى مفتوحًا ليتحرك الإنسان صعودًا ضمن الاحتمالات اللا متناهية في اختيار شكل الحياة الذي يحقق مصلحته وسعادته بشرط أن لا يتجاوز حدود الله عز وجل نزولًا، وفي العقوبات يأتي بمضمون دون صورة محددة، ويترك تحديد الصورة أو نوع العقوبة للمجتمع حسب مستوى ثقافته ونوع الجرم، وبشرط أن لا يتجاوز حدود التشريع الإلهي ويكون حد العقوبة أعلى وترك صلاحية للمجتمع بالنزول نحو الرحمة والإنسانية.

وقال العلماء صياغة لهذا الكلام: الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما ورد النص القرءاني به أو ما دل عليه النص استنباطًا أوليًّا قطعيًّا.

فالشرع أطلق المباح ونص على الحرام، **إذن**؛ الشرع يكون للحرام، وليس للحلال؛ لأن الحلال أمر يستحيل حصره فهو بحركة دائمة نحو التطور ويستجد مع التقدم بالعلوم والمعارف.

لذا؛ ينبغي على رجال القانون أن يتعلموا ذلك من التشريع الإلهي ويضعوا تشريعًا ينص على الممنوع ويطلق المباح، فعدم وجود مادة قانونية تمنع شيئًا يدل على السماح بها،وليس على التوقف أو المنع، أو تطبيق مادة قانونية أخرى قريبة منها في الشبه، وهذا

يقتضي إعطاء الصلاحية للقاضي أو المسؤول ليتصرف حسب ما تقتضي المصلحة أو يحل المشكلة بما يراه مناسبًا لها حسب ظروفها بشرط أن لا يتجاوز الحدود القانونية.

أما بالنسبة للعقوبات فلقد جاء الشرع الإلهي بالحد الأعلى وترك الأدنى مفتوحًا ليختار المجتمع ما يراه مناسبًا ومحققًا للمصلحة، وهذا ما ينبغي أن يفعله رجال القانون، أي: ينبغي أن يضعوا عقوبات حدية بشكل أعلى فيما لم ينص عليه الشارع ويتركوا الحرية للقاضي ليختار ما يراه مناسبًا للظرف الراهن من ردع وزجر وعقوبة بشرط أن لا يتجاوز القانون الحد الأعلى.

وبهذا العمل يصير القاضي أو المسؤول عن عمل ما، يملك الصلاحية للتحرك ضمن الحدود ليحل المشكلة المعروضة عليه ولا يقف مكتوف اليدين بحجة (لا اجتهاد في مورد النص) ولا يملك صلاحية التحرك اجتهادًا وتعديلًا لمادة القانون.

فالتشريع الإلهي هو تشريع حدودي، والمطلوب ليس هو الوقوف عليه، وإنما التحرك ضمن الاحتمالات اللامتناهية بشرط عدم التجاوز لحدود الله عز وجل **﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾** [البقرة: 229].

فشرع الله ثابت، وبالتالي لا يخضع لعملية النقاش أو التصويت، وإنما يخضع لعملية الاجتهاد والدراسة لمعرفة كيف يمكن أن نسقطه على الواقع لنحقق من خلاله المصلحة المرجوة من جراء التفاعل معه واختيار الحل الأحسن.

﴿وَاتَّبِعوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: 55].

فقاعدة (لا اجتهاد في مورد النص) باطلة من هذا الوجه الذي ذكرناه؛ لأن الاجتهاد يكون بورود النص، وإذا غاب النص غاب الاجتهاد وحل محله الابتكار والإبداع والتفتق الذهني لحل المشكلة المعروضة، فالاجتهاد مرتبط بوجود النص ارتباط اللازم بالملزوم، وذلك من خلال فهمه وإسقاطه على محل الخطاب ومعرفة

الحكم الحدودي الذي جاء به القرءان، ومعرفة القصد الذي انطلق منه الحكم وآلَ إليه، ومن ثم اختيار الحل الأحسن والأمثل للظرف الراهن.

فشرع الله الثابت الحدودي يضمن التطور من خلال إعطاء الإنسان منصب الخلافة، فيتفاعل مع شرع الله ويختار الاحتمال الأحسن ليحقق مصلحته ويواكب المستجدات والتطور.

لذا؛ يجب استبعاد هذه القاعدة المشؤومة من ثقافة المجتمع العربي والإسلامي؛ لأنها قاعدة ترسخ الاستبداد الفكري والسياسي وتبارك الاستعباد، وتقف سدًا منيعًا في وجه التقدم والتطور، وليست هي في النهاية إلا لمصلحة الظالمين المستبدين بسلطاتهم الثلاث الدِّينية والسياسية والاقتصادية.

مفهوم أهل السنة والجماعة
مصطلح سياسي تاريخي

لم يكن لمفهوم (أهل السنة والجماعة) في المجتمع الأول الذي عاصر النبي أيُّ معنى، وإنما كان المتداول مفهوم السنة لسانًا فقط، ولاعلاقة لها بالحديث، ويقصد بها طريقة النبي في تفاعله مع القرءان، ويقابلها البدعة، التي تدل على الأمر المستحدث في الدِّين الذي يخالف سنة النبي، وكل المسلمين بعد وفاة النبي يتمسكون بسنته ويحترمونها رغم وجود اختلاف بينهم في فقههم في بعض المسائل؛ حتى الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي لم يخرجوا على سنة النبي، وإنما تمسكوا بها مثلهم مثل أي مسلم آخر، وسموا خوارجَ؛ لأنهم خرجوا على سلطة علي سياسيًّا، فهم معارضة سياسية أوجدت لنفسها نظرة معينة في السلطة وحاولت دعمها ثقافيًّا من القرءان لتُعطي مشروعية لخروجها، ولم يكن موضوع سنة النبي محل اختلاف أو نقاش، وعندما قُتل «علي» ظهرت مجموعات من المسلمين تدعو كل واحدة منهم إلى أحقيتها في السلطة، وكان الدافع لمعظمهم امتلاك كرسي السلطة؛ ابتداء من الخوارج إلى عبد الله بن الزبير، ومعاوية بن أبي سفيان، واستغلت جماعة مُغرضة هذا الاضطراب في الأمة المسلمة، واخترعت مفهوم أهل البيت، ونشرت مفهوم أحقّية السلطة لهم فقط من دون الناس، وأسّست لهذه الثقافة، وتم اختراع نصوص نبوية وتَقويل نصوص قرءانية، وتحميلها ما لا يَحتمل النص، وكل ذلك للوصول إلى كرسي السلطة وتقويض المجتمع الإسلامي، واستطاعوا أن يُقنعوا الحسن بن علي بالخروج والمطالبة بالسلطة لنفسه، وجرى ما جرى من أحداث معروفة في التاريخ، حيث خذله معظم أنصاره، وفطن الحسن لهذا الأمر فقام بالتنازل عن السلطة لمعاوية حقنًا

للدماء، وتفاديًا لخسارة سوف تصيبه لا محالة، وسُمِّي هذا العام بعام الجماعة، رغم وجود الفِرَقِ المعارضة لسلطة معاوية!.

وبعد موت الحسن التفَّ أنصار أهل البيت وشيعتهم على الحسين بن علي وشجعوه على الخروج على السلطة والدعوة لنفسه حاكمًا، ووعده أهل العراق بالحماية والنصرة، ولكن الذي حصل أنهم خذلوه وباعوه، ومنعوه من دخول الكوفة بعد أن دعوه إليها؛ مما أدى إلى قتله ومن معه عن بكرة أبيهم في كربلاء، وحزن المسلمون عليه كثيرًا لتورطه بهذه المؤامرة؛ حتى قيل: إن الذي قتله هم الذين شجّعوه على طلب السلطة، وأقنعوه بالخروج وهم يعلمون ضعفهم وقُوة الأمويين.

وبعد ذلك الحدث المُشين استمرت المعارضة المتمثلة بأتباع أهل البيت رغم أنهم خذلوهم!، وقوي مصطلح شيعة أهل البيت، ونزلت إلى السراديب تعمل على حشد الناس من خلال استغلال مفهوم أهل البيت، واستمرت بتأسيس ثقافة تدعم حقهم السياسي في استلام كرسي السلطة.

وظهرت عشرات النصوص التي أسندوها إلى النبي كذبًا وزورًا لدعم ثقافتهم، مما أدى كرد فعل من الأمويين إلى اختراع عشرات النصوص وأسندوها إلى النبي افتراء وزورًا لحماية حقهم في كرسي السلطة، وفشا الكذب في الحديث على لسان النبي من قبل كل مجموعة تريد السلطة، وظهر مصطلح أهل السنة مقابل مصطلح أهل البيت، وانضم إلى مصطلح الجماعة، ليصير أهل السنة والجماعة مقابل شيعة أهل البيت، واختصر في الاستخدام مع الزمن بعد القضاء على الأمويين إلى مصطلح سنة وشيعة فقط، وأحيانًا يُقَيِّدون مفهوم أهل السنة والجماعة بالأشعرية أو الماتريدية أو كلاهما لإخراج المعتزلة وغيرهم من شمولهم بالمفهوم، وأحيانًا بأتباع الإمام أحمد بن حنبل الذي أطلقوا عليه إمام أهل السنة والجماعة، وبذلك يكون المفهوم قد غلب عليه الناحية الثقافية، وتقلّص الجانب السياسي، ولا علاقة لذلك بمفهوم سنة النبي لا من قريب ولا من بعيد.

وتم القضاء على دولة عبد الله بن الزبير التي بسطت نفوذها على العراق والحجاز ومصر لعدة سنوات، واستتب الأمر سياسيًّا للأمويين فقط، ولم يكن لدولة عبد الله بن الزبير أي ثقافة خاصة بها، فكانت حركته ظاهرة سياسية صريحة في طلب السلطة، ولم يُكتب لها الاستمرار مثلها مثل الخوارج على علي بن أبي طالب.

إذا؛ لم يبق جماعة قوية في الساحة السياسية إلا الأمويّون وهم أصحاب السلطة، وأخذوا اسم «أهل السنة والجماعة»، بينما المعارضة لهم أخذوا اسم «الشيعة».

واستمر الصراع بينهما ثقافيًّا، وسياسيًّا، وتمّ ملاحقة الشيعة واعتقالهم في السجون، وورّط الشيعة معهم رجال من أهل بيت النبوة، بل وكَذَبوا على لسانهم لدعم معارضتهم فطالهم الأذى، وذلك لأن الحاكم يعمل أي شيء للحفاظ على كرسي السلطة ولا يحترم أحد مهما كان الشخص ولو كان أباه، فهو أشبه بنار مستعرة تحرق كل من تُسوّل له نفسه بالاقتراب منه.

فمصطلح الشيعة مفهوم سياسي ثقافي تاريخي خاص بالمعارضة ضد الأمويين ابتداء، واستمر بعدهم إلى العباسيين؛ لأنهم استخدموا المعارضة الشيعية للإطاحة بالأمويين، وخذلوهم بعد ذلك، وكذلك مصطلح أهل السنة والجماعة فهو مفهوم سياسي ثقافي تاريخي خاص بالأمويين ابتداء، واستخدمه العباسيون ثقافيًّا فيما بعد لضرب الشيعة.

المهم؛ إن مصطلح السنة والشيعة مصطلحان سياسيان تاريخيان يدلان على صراع على السلطة في حقبة زمانية معينة، الشيعة مَثّلت المعارضة، وأهل السنة والجماعة مَثّلت السلطة الحاكمة حينئذ، وهي الأمويون.

ولكن؛ الذي حصل أنَّ هذين المصطلحين انسلخا من سبب ولادتهما السياسي التاريخي، واستمرا بعد انتهاء الحدث نتيجة غفلة المسلمين، ومؤامرة بعض الوافدين إلى الثقافة الإسلامية داخليًّا، ومكر الأعداء خارجيًّا الذين لهم مصلحة في شرذمة

الأمة وزرع فيها بذرة الشقاق والعداء، واقتنع الشيعة أن هؤلاء المسلمين المعاصرين هم امتداد للأمويين!.

وبالتالي هم المسؤولون عن إرهاب الأمويين، ومقتل الحسين، وخَدعت المسلمين بأن جعلتهم يحافظون على اسم أهل السنة والجماعة، ويطلقونه على أنفسهم دون معرفة بتاريخية هذا الاسم أو دَمويّته، مما أدى إلى أن يصيروا هدفًا للشيعة الحالية الذين يعيشون مأساة تاريخية!، واستمرت بنفخ النار في ثقافة الشيعة من خلال إقامة مجالس العويل، واللطم، والتطبير، والرثاء، والنواح، والتمرغ بالوحل، والزحف على الركب والمرافق...

وصارت في الآونة الأخيرة تُجسد تمثيلًا أحداث مقتل الحسين وفاطمة وغيرها لتجييش الشيعة وتحقنهم بالكراهية لأهل السنة وتربطهم بالمأساة صوت وصورة، واخترعت عشرات المفاهيم التي ترسخ الاختلاف والفرقة مع الثقافة الأخرى؛ التي حافظت على مفهوم أهل السنة والجماعة، ابتداء من اتهام أهل السنة بتحريف القرءان بمعطيات تاريخية مُعينة أدت إلى تغييب بعض النصوص التي تنص على إمامة علي، مما أدى إلى رجوع التهمة إلى الشيعة أيضًا نتيجة اعتقادهم بتحريف النص القرءاني، ليصير كلاهما متهمين بتحريف النص القرءاني.

وبالتالي يصير النص القرءاني في الأمة الإسلامية نصًّا محرفًا ومشكوكًا بصوابه داخليًّا في ثقافة المسلمين بشهادة أكبر فرقتين من خلال الاتهام لبعضهما البعض، ونجحوا بذلك أيضًا، إضافة إلى مفاهيم أخرى أهمها جعل الحديث النبوي مصدرًا تشريعيًّا، وله صفة الوحي الإلهي عند الطرفين، مع العلم أن كل طرف له مصدره الحديثي الخاص به، إضافة إلى مفهوم الإمامة والعصمة، وعدالة الصحابة، وبذلك كرّسوا الشقاق والحقد بينهما إلى غير رجعة، وما دعوات التقارب بينهما في الحقيقة إلاّ تأجيج لنار الحقد والكراهية من جديد!.

وصار الأمر بين المسلمين مثل ملك ظالم أتى بأخوين لا يعرفان بعضهما،

ووسوس لكل منهما مستغلًا جهله وبساطته أن عدوه هو الآخر، وأسقط عليه مخاوفه ومطامعه، وألبس كل منهما قناع حديدي يمنعهما من التحدث مع بعضهما أو التعرف على وجه الآخر، وضرب أحدهما غيلة، وهمس في أذن الآخر أن الفاعل أمامه، فقام الأخ المضروب غاضبًا في الاعتداء على أخيه ظنًا منه أنه العدو، وبادله أخوه بالعدوان ظنًا منه أنه عدو يريد أن يقتله، واستمر العدوان بينهما، ويقوم الملك بتزكية العدوان بنشر الكذب والافتراء عليهما، وأن كل واحد منهما هو عدو للآخر.

ولو سألت أحدًا ممن ينتمون إلى مصطلح أهل السنة والجماعة، ماذا يعني لك هذا الانتماء؟ لسارع بالجواب: إنه انتماء إلى سنة النبي.

ولو سألت شيعيًّا: ماذا يعني لك السني حاليًّا؟ لأجاب: إنه امتداد للأمويين وإرهابهم.

ولو سألت السني: ماذا يعني لك مصطلح الشيعة؟ لأجاب إنهم من يتبعون أهل بيت النبوة ولهم عقائد خاصة بذلك، ولأجاب بعضهم: إنهم الذين يرفضون سنة النبي، هكذا قيل له (روافض).

الملاحظ أن الشيعي ما زال متمسكًا بمفهوم تاريخي لمصطلح الشيعة والسنة، ويعيش التاريخ في الحاضر، ويطالب بالثأر لمقتل الحسين، ولكن من الناس الحاليين المعاصرين الذين لا علاقة لهم بإرهاب بني أمية، ولا يعدّون أنفسهم امتدادًا لهم، رغم أنهم يستخدمون مصطلح أهل السنة والجماعة استخدامًا ثقافيًّا فقط، ويغفلون عن تلويث هذا المصطلح سياسيًّا وتورطه بإرهاب بني أمية.

لذا؛ ينبغي على شيعة اليوم أن يستيقظوا من غفلتهم، ويخرجوا من التاريخ إلى الزمن المعاصر، ويُوقفوا هذه المعركة التاريخية التي يمثلونها حاليًّا في غير مكانها وزمانها ورجالها، ويُوقفوا المطالبة بالثأر لدم الحسين، والرغبة بالانتقام من الأمويين لممارستهم الإرهاب السياسي حينئذ!.

وينبغي على من ينتمي إلى أهل السنة والجماعة أن يعلم أن هذا المفهوم (أهل السنة والجماعة) مستهدف سياسيًّا وثقافيًّا من قبل الشيعة لتلوثه بالدم والإرهاب تاريخيًّا، ولا علاقة له بمفهوم سنة النبي أبدًا؛ لأن سنة النبي محترمة عند الجميع وليست هي محل النقاش أو الاختلاف.

والحل؛ توقيف هذه المهزلة التاريخية من قبل الطرفين، الطرف الأول يتخلى عن تقمص دور المعارضة للأمويين باسم الشيعة، والطرف الثاني يترك استخدام مصطلح أهل السنة والجماعة الذي يدل على السلطة الأموية الحاكمة، فكلاهما في ذمة التاريخ، ونحن الآن لسنا أمويين (أهل السنة والجماعة)، ولا معارضين لهم (الشيعة)، وإنما مسلمون فقط، وحيث كان الحق والعدل نكون، ولكل زمن دولة ورجال.

الحديث النبوي ميراث أم تراث

التراث كلمة غير الميراث، إذ الأولى تدل على جهد مبذول في صنعة أو شيء خاص لأقوام مضوا في التاريخ، مثل الآثار والأغاني والموسيقا، وما شابه ذلك من أعمال.

اقرأ قوله تعالى: ﴿**وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا**﴾ [الفجر: 19]، أتت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿**كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمونَ اليَتِيمَ، وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ**﴾ [الفجر: 17-18]، لتدل على الإنسان الذي يتناول جهد غيره من غير وجه حق، وينفقه في مصلحته أو يضيفه لجهده، مثل: أكل ميراث اليتامى، فهو ميراث لليتامى كحق لهم، وتراث للآكل من وجه آخر؛ لأنه أكل جهد غيره وثمره من غير وجه حق من جهة أخرى.

أما الميراث فتدل على انتقال الملكية تصرفًا أو انتفاعًا من جهة إلى أخرى.

اقرأ قوله تعالى:

﴿**وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [آل عمران: 180]،

﴿**وَوَرِثَ سلَيْمَانُ دَاوُودَ**﴾ [النمل: 16].

﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾ [فاطر: 32]

فالعلم ميراث وليس تراثًا، والأموال أو البناء لورثة الميت ميراث وليس تراثًا، وبناء على ذلك فالقرءان ميراث ورثناه عمن سبقنا، وصرنا خلفاء لهم فيه، وليس هو تراثًا؛ لأنه ليس من صنعهم أو جهد لهم، بخلاف الدراسات التي تناولته من السلف فهي تراث لنا غير ملزمين به.

إذن؛ السلف تعامل مع القرءان دراسة وتفاعلًا، وانتقل القرءان إلى المجتمع اللاحق ميراثًا، ودراسته تراثًا والمجتمع اللاحق ملزم بالتفاعل مع القرءان دراسة واستخلافًا، وغير ملزم بالتراث الذي هو ما أحاط بالميراث (القرءان) من أفهام وتفاسير ودراسات؛ لأن لكل قوم دراسة وتفاعلًا خاصًّا به حسب الأدوات المعرفية ومعطيات الواقع وحيثياته.

فكما أن العلم بأنواعه لا يُسَمَّى تراثًا، وإنما هو ميراث، كذلك القرءان لا يُسَمَّى تراثًا، وإنما هو ميراث يتفاعل معه المجتمعات اللاحقة مثله مثل سائر العلوم.

فالتراث: هو نتاج ثقافي خاص مرتبط بالزمان والمكان حسب المستوى المعرفي والحاجيات للفرد والمجتمع، نحو الأغاني والروايات والمعارف الخاصة، أو التشريعات الظرفية...إلخ.

الميراث: شيء له صفة الوجود الموضوعي اكتشفه الناس أو وصل إليهم، ولا علاقة له بالزمان أو المكان، وانتفع به الأوائل، واستمر بعدهم لمن خلفهم، مثل ميراث الأموال، فهي تنتقل من ناس إلى آخرين لا علاقة لثقافة من سبق في التعامل معها، وكذلك العلم ينتفع به صاحبه، وعندما يموت ينتقل العلم وراثة إلى اللاحق دون تصورات الأول أو استخدامه الذي صار تراثًا لمن بعده.

ومن هذا الوجه فالقرءان ميراث وليس تراثًا، ونحن ملزمون بالميراث، ومخيرون بالتراث.

والسؤال الذي يفرض ذاته هو: الحديث النبوي ميراث أم تراث؟.

وهذا ما سوف يعرفه القارئ وحده من جراء إعمال عقله والتفكير.

لا يوجد وحي تشريعي ملزم للناس إلا القرءان

- **القرءان هو محل التلاوة ومصدر للتشريع والهداية وليس حديث النبي:**

﴿وَأَنْ أَتْلُوَ القرءان فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: 92].

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 151].

- **القرءان هو مصدر للتعلم والتشريع:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ القرءان تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: 101].

الكفار هم الذين يلوون ألسنتهم بكلام البشر ليظن الناس أنه من عند الله ويخدعوهم به.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 78].

- **القرءان هو محل للتدبر فقط:**

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرءان وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرءان أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24].

- **القرءان هو الوحي الذي أنزل للإنذار به:**

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القرءان لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 19].

- **الكفار يطلبون مرجعًا غير القرءان أو تبديله:**

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بقرءان غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: 15].

- **القرءان هو محل للدراسة والاستماع والإنصات:**

﴿وَإِذَا قُرِئَ القرءان فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 204].

- **القرءان هو الذي يهدي للتي هي أقوم:**

﴿إِنَّ هَـذَا القرءان يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9].

- **القرءان محل للذكر ودعوة الناس:**

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي

القرءان وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: 46].

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالقرءان مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: 45].

- **القرءان هو محل التحدي فقط:**

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا القرءان لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88].

- **الهجر كان للقرءان فقط وليس لكلام الناس:**

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا القرءان مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: 30].

- **الكفار يعلمون أن الوحي الملزم للناس هو القرءان فقط:**

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا القرءان وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26].

الجن سمعوا القرءان واكتفوا به ولم ينتظروا أحاديث النبي أو سألوا عنها:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القرءان فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: 29].

وبعد كل هذه النصوص وغيرها، هل يصح منطقًا أن يأتي أحدهم ويطلب دليلًا من القرءان على أنه لا يوجد وحي تشريعي غير القرءان، ويريد من ذلك إثبات وحي الحديث النبوي ويجعله مصدرًا تشريعيًّا مع القرءان رغم قراءته أن ذلك الفعل صدر من الكفار وهو مطلب لهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بقرءان غَيْرِ هَـذَا

أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: 15].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا القرءان وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26]، فهم الذين طلبوا مرجعًا آخر أو مصدرًا للدين أو تبديل القرءان، وهم الذين حاولوا أن يشوشوا على القرءان بلَغْوهم وكذبهم ولوي ألسنتهم ليحسب الناس أن كلامهم من القرءان أو مثله **﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** [آل عمران: 78].

انتهوا يا عباد المثناة وكفوا عن شرككم مع كتاب الله.

مفهوم الرسول والرسالة في القرءان

كلمة رسول ورسالة من رسل: التي تدل على تكرار حركة حرة تنته بحركة لازمة، وظهر هذا المفهوم بفعل أرسل الذي هو امتداد في الحركة وانتقالها من إلى.

واسم الفاعل هو (مُرْسِل) من الفعل الرباعي أرسل، والشيء الذي ينتقل من المُرْسِل إلى المُرْسَل إليه يُسَمَّى رسالة أو رسولًا على المصدر؛ لأن القيمة الحقيقية للرسالة فهي التي تنتقل، ويمكن أن تنتقل بعدة وسائل، منها على سبيل المثال، الحمام الزاجل، فيكون الحمام رسولًا من هذا الباب.

ويمكن أن تنتقل الرسالة خلال جهاز إلكتروني (النت) فتكون الرسالة ذاتها هي رسول توصل الخبر بذاتها، ويمكن أن تنتقل عن طريق إنسان فيكون بذلك رسولًا أي: هو والرسالة اندمجا معًا، إذن تكون الأدوات أو الوسائل رسل طالما أنهم يحملون رسالة، فإن انتفى عنهم حمل الرسالة، أو أوصلوا مضمونها إلى المُرْسَل إليه ينتقل اسم الرسول إلى الرسالة ذاتها؛ لأنها هي المعنية في الإرسال وتصير رسولًا بالنسبة للمُرْسَل إليه.

فكلمة (رسول) لها متعلقان في الواقع:

- أحدهما: الأصل وهي الرسالة ذاتها.
- الآخر: الفرع وهي الوسيلة أو الأداة التي حملت الرسالة.

وفي حال انفصال الأداة أو الوسيلة عن الرسالة، يزول اسم الرسول عنها، وتنفرد الرسالة باسم الرسول، خاصة إن كانت مستمرة تخاطب الأجيال، فهي رسول إليهم كونها تنتقل من جيل إلى آخر، ويُعرف المقصد من استخدام كلمة الرسول في النص

أهي الرسالة فقط، أم حامل الرسالة، أم كلاهما من خلال سياق الخطاب وإسقاطه على محله من الواقع.

تعالوا نرى كيف فهم المفسرون، وأهل اللسان العربي كلمة الرسول والرسالة.

أولًا- أهم مصادر التفسير

1. تفسير «الطبري» [سورة الشعراء: 16]:

قال: أرسلت رسالة ورسولًا، كما قال الشاعر:

لَقَدْ كَذَبَ الوَاشُونَ ما بُحْتُ عِندَهمْ.... بِسُوءٍ وَلا أرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ

2. تفسير «البغوي» [سورة الشعراء: 16]:

﴿**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾ ولم يقل: رسولا رب العالمين، لأنه أراد الرسالة، أي: أنا ذو رسالة رب العالمين.

3. تفسير «زاد المسير» [سورة الشعراء: 16]:

قوله تعالى: ﴿**إِنَّا رسولُ ربِّ العالَمين**﴾ قال ابن قتيبة: الرسول يكون بمعنى الجميع، كقوله: ﴿**هؤلاء ضَيفي**﴾ [الحجر: 68] وقوله: ﴿**ثُمَّ نُخْرِجُكم طِفْلًا**﴾ [الحج: 5]. وقال الزجاج: المعنى: إِنَّا رِسالةُ ربِّ العالَمين، أي: ذوو رسالة ربِّ العالمين.

4. تفسير «الرازي» [سورة الشعراء: 16]:

وأما قوله: ﴿**إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العالمين**﴾... وثانيها: أن الرسول قد يكون بمعنى الرسالة، قال الشاعر:

لَقَدْ كَذَبَ الوَاشُونَ ما بُحْتُ عِندَهمْ... بِسُوءٍ وَلا أرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ

فيكون المعنى: إنا ذو رسالة رب العالمين.

5. تفسير «النسفي» [الشعراء: 16]:

﴿**فأتيا فرعون فقولا إنّا رسول ربّ العالمين**﴾ لم يثنِّ الرسول كما ثنَّى في قوله: ﴿**إنا رسولا ربك**﴾ [طه: 47] لأن الرسول يكون بمعنى المرْسَل وبمعنى الرسالة، فجعل ثمة بمعنى المرسل، فلم يكن بد من تثنيته، وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوي في الوصف به الواحد والتثنية والجمع.

6. تفسير «البيضاوي» [سورة الشعراء: 16]:

﴿**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العالمين**﴾ أفرد الرسول ؛ لأنه مصدر وصف به، فإنه مشترك بين المرْسَل والرسالة، قال الشاعر:

لَقَدْ كَذبَ الوَاشُونَ مَا فُهْتُ عِنْدَهُم.... بِسِرٍّ وَلاَ أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ

ولذلك ثنَّى تارة وأفرد أخرى، أو لاتحادهما للأخوة أو لوحدة المرسل والمرسل به.

7. تفسير «الكشاف» [سورة الشعراء: 16]:

فإن قلت: هلا ثنَّى الرسول كما ثنَّى في قوله: ﴿**إِنَّا رَسُولاَ رَبّكَ**﴾ [طه: 47]؟ قلت: الرسول يكون بمعنى المرْسَل، وبمعنى الرسالة.

8. تفسير «الخازن» [سورة الشعراء: 16]:

﴿**فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين**﴾ فإن قلت: هلا ثنَّى الرسول كما في قوله: فأتياه فقولا: إنا رسولا ربك.

قلت: الرسول قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثَمَّ بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته، وجعله هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه، إذا وصف به الواحد والتثنية والجمع، والمعنى: أنا ذو رسالة كما قال كثير:

لَقَدْ كَذبَ الوَاشُونَ مَا فُهْتُ عِنْدَهُم.... بشَيْءٍ وَلاَ أَرْسَلْتُهُم بِرَسُولِ

9. تفسير «أضواء البيان في تفسير القرءان بالقرءان»

[سورة طه: 47]:

فإن قيل: ما وجه الإفراد في قوله: ﴿**إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العالمين**﴾ في « الشعراء »؟ مع أنهما رسولان؟ كما جاء الرسول مثنى في « طه » فما وجه التثنية في « طه » والإفراد في « الشعراء »، وكل واحد من اللفظين: المثنى والمفرد يراد به موسى وهارون؟

فالذي يظهر لي- والله تعالى أعلم- أن لفظ الرسول أصله مصدر وصف به،.... ومن إطلاق الرسول مرادًا به المصدر على الأصل قوله:

لَقَدْ كَذبَ الوَاشُونَ مَا فُهْتُ عِنْدَهُم... بِقَوْلٍ وَلاَ أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ

أي: برسالة. وقول الآخر:

ألا بلغ بني عصم رسولا .... بأني عن فتاحتكم غني

يعني: أبلغهم رسالة.

10. تفسير «القرطبي» باب 13، ج 13، ص 93:

قوله تعالى: (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) قال أبو عبيدة: رسول بمعنى رسالة، والتقدير على هذا: إنا ذوو رسالة رب العالمين.

- المصدر ذاته باب 18، ج 18، ص 262:

وقد يعبر عن الرسالة بالرسول، قال الشاعر:

لَقَدْ كَذبَ الوَاشُونَ مَا بُحْتُ عِنْدَهُم.... بِسِرٍّ وَلاَ أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ

11. تفسير «البحر المحيط» باب 1، ج 10، ص 327:

﴿**فعصوا رسول ربهم**﴾: رسول جنس، وهو من جاءهم من عند الله تعالى، كموسى ولوط عليهما السلام. وقيل: لوط عليه السلام، أعاده على أقرب مذكور، وهو رسول المؤتفكات. وقال الكلبي: موسى عليه السلام، أعاده على الأسبق وهو رسول فرعون. وقيل: رسول بمعنى رسالة.

12. تفسير «فتح القدير « باب 1، ج 5، ص303:

قال أبو عبيدة: رسول بمعنى رسالة، والتقدير على هذا: إنا ذوا رسالة ربّ العالمين.

13. تفسير « بحر العلوم للسمرقندي» باب 16، ج 3، ص 259:

قوله عز وجل: ﴿**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العالمين**﴾ يعني: موسى وحده، ويضاف الشيء إلى اثنين، ويراد به الواحد. وقال القتبي: الرسول يكون بمعنى الجمع، كما يكون الضيف بمعنى الجمع. ﴿**قَالَ إِنَّ هؤلاء ضَيْفِى فَلاَ تَفْضَحُونِ**﴾ [الحجر: 68]. وقال أبو عبيدة: رسول بمعنى رسالة.

14. تفسير « اللباب لابن عادل» باب 9، ج 15، ص435:

قال القرطبي: وقيل: « رسول » بمعنى رسالة، وقد يعبر عن الرسالة بالرسول.

15. تفسير»معاني القرءان للنحاس»سورة الشعراء، ج5، ص68:

قال عز وجل: (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين)

قال أبو عبيدة: رسول بمعنى رسالة وأنشد:

لَقَدْ كَذبَ الوَاشُونَ مَا بُحْتُ عِنْدَهُم... بِسِرٍّ وَلاَ أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ

والتقدير على قوله: إنا ذوا رسالة.

16. تفسير «فتح القدير» [سورة الشعراء: 16]، ج4، ص 138:

قال أبو عبيدة: رسول بمعنى رسالة والتقدير على هذا: إنا ذوا رسالة رب العالمين.

17. تفسير» التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزي، [سورة الشعراء: 16]، ج 2، ص 291:

فإنه يقال: رسول بمعنى رسالة بخلاف قوله: إنا رسولا فإنه بمعنى الرسل.

ثانيًا- المصادر اللسانية

1. «لسان العرب» مادة رسل:

(...وقد أَرْسَل إِليه والاسم الرِّسالة والرَّسالة والرَّسُول والرَّسِيل الأَخيرة عن ثعلب وأَنشد:

لقد كَذَب الواشُون ما بُحْتُ عندهم.... بلَيْلى ولا أَرْسَلْتُهم برَسِيل

والرَّسول بمعنى الرِّسالة يؤنث ويُذكَّر فمن أَنَّث جمعه أَرْسُلًا، قال الشاعر:

قد أَتَتْها أَرْسُلي

ويقال: هي رَسُولك، وتَراسَل القومُ أَرْسَل بعضُهم إِلى بعض، والرَّسول الرِّسالة والمُرْسَل، وأَنشد الجوهري في الرسول الرِّسالة للأَسعر الجُعْفي:

أَلا أَبْلِغ أَبا عمرو رَسُولًا... بأَني عن فُتاحتكم غَنِيُّ

عن فُتاحتكم أَي: حُكْمكم ومثله لعباس بن مِرْداس أَلا مَنْ مُبْلِغٌ عني خُفافًا رَسُولًا بَيْتُ أَهلك مُنْتهاها فأَنت الرَّسول حيث كان بمعنى الرِّسالة، ومنه قول كثيِّر:

لقد كَذَب الواشُون ما بُحتُ عندهم... بسِرٍّ ولا أَرْسَلْتهم برَسُول

وفي التنزيل العزيز: (إِنَّا رَسُول رب العالمين) ولم يقل: رُسُل؛ لأَن فَعُولًا وفَعِيلًا يستوي فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع...

وقال أَبو إِسحاق النحوي في قوله (عز وجل) حكاية عن موسى وأَخيه: (فقُولا إِنَّا رسول رب العالمين) معناه: إِنا رِسالة رَبّ العالمين، أَي: ذَوَا رِسالة رب العالمين، وأَنشد هو أَو غيره:

لقد كَذَب الواشُون ما فُهْتُ عندهم.. بسِرٍّ ولا أَرسلتهم برَسول

أَراد: ولا أَرسلتهم برِسالة قال الأَزهري: وهذا قول الأَخفش، وسُمِّي الرَّسول رسولًا؛ لأَنه ذو رَسُول، أَي: ذو رِسالة والرَّسول اسم من أَرسلت، وكذلك الرِّسالة...)

2. «تاج العروس» مادة رسل:

(...والإِرْسالُ أيضًا: التَّوْجِيهُ وبهِ فُسِّرَ إِرْسالُ الله -عَزَّ وجَلَّ- أَنْبياءَهُ عليهمُ السَّلامُ كأَنَّهُ وَجَّهَ إليهم أَنْ أَنْذِرُوا عِبادِي، قالَه أبو العَبَّاس. والاسْمُ: الرِّسَالَةُ بالكسرِ والفَتْحِ والرَّسُولُ والرَّسِيلُ كَصَبُورٍ وأَمِيرٍ الأخِيرَةُ عن ثَعْلَبٍ وأَنْشَدَ:

لقد كَذَبَ الوَاشُونَ ما بُحْتُ عندَهم....بِلَيْلَى ولا أَرْسَلْتُهم بِرَسِيلِ

قلتُ: هو لِكُثَيِّرٍ، ويُرْوَى:

لقد كَذَبَ الوَاشُونَ ما بُحْتُ عندَهم.....بِسِرٍّ ولا أَرْسَلْتُهم بِرَسُولِ

والرَّسُولُ بمعنَى الرِّسالَةِ يُؤَنِّثُ ويُذَكِّرُ، وأَنْشَدَ الجَوْهَرِيّ للأَسْعَرِ الجُعْفِيُّ:

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي عَمْرٍو رَسُولًا.... بِأَنِّي عن فُتَاحَتِكُمْ غَنِيُّ

أي: عن حُكْمِكم ومثلُه لِعَبَّاسِ بنِ مِرْدَاسٍ:

أَلا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي خُفافًا....رَسُولًا بَيْتُ أَهْلِك مُنْتَهاهَا

وأَنَّثَ الرَّسُولَ حيثُ كان بمَعْنَى الرِّسالَةِ، والرَّسُولُ أيضًا: المُرْسَلُ...)

3. «القاموس المحيط» مادة رسل:

(...والاسمُ: الرِّسالَةُ بالكسر والفتح وكصَبورٍ وأميرٍ، والرَّسولُ أيضًا: المُرْسَلُ ج: أرسُلٌ ورُسُلٌ ورُسَلاءُ والمُوافِقُ لَكَ في النِّضالِ ونحوِهِ...).

إذن؛ جمهرة من كبار علماء التفسير، وعلماء اللسان العربي يقولون ما مفاده: إن الأصل في كلمة الرسول هي الرسالة، وقد تشمل الوسيلة أو الأداة في حال حملها للرسالة فقط، فإن انتفى عنها حمل الرسالة انفردت الرسالة باسم الرسول، وسياق الخطاب يحدد المقصد.

دلالة كلمة الرسول في الخطاب القرءاني

بعد أن عرفنا دلالة كلمة الرسول في اللسان العربي، وأن الأصل في دلالتها هي الرسالة لا حاملها، وهي الرسول حقيقة، نأتي لدراستها في الاستخدام القرءاني.

وقبل أن أورد النصوص القرءانية، ينبغي أن أشير إلى نقطة مهمة جدًّا ألا وهي:

إن كان المقصد بكلمة الرسول - الإنسان أو الكائن الحي - حامل الرسالة فينبغي أن يكون حيًّا حتى يقوم بمهمته، وإن كان جهازًا إلكترونيًّا مثلًا فينبغي أن يكون صالحًا للعمل، وهذا يعني أن الميت من الناس، أو الجهاز العاطل لا يمكن أن يكون رسولًا، هذه نقطة ينبغي تثبيتها أثناء دراسة النصوص القرءانية.

وسوف نفرز مجموعة النصوص إلى خمسة أنواع وهي:

1. النصوص التي تأتي كلمة الرسول فيها بمعنى حامل الرسالة.
2. النصوص التي تأتي كلمة الرسول فيها بمعنى الرسالة ذاتها.
3. النصوص التي تأتي كلمة الرسول فيها بمعنى الرسالة وحاملها معًا.
4. النصوص التي ذكرت رسل الناس لبعضهم بعضًا.
5. النصوص التي ذكرت الرسل من الملائكة.

1. **الرسول بمعنى حامل الرسالة الإلهية:**

– ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 214].

– ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]،

– ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: 59].

– ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: 61].

– ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: 83].

– ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 67].

– ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: 83].

– ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا

البَلاَغُ المُبِينُ﴾ [المائدة: 92].

- ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلاَغُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: 99].

- ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: 157].

- ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا البَلَاغُ المُبِينُ﴾ [النور: 54].

- ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 7].

- ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا القرءان مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: 30].

- ﴿مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ [الحشر: 7].

- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144].

2. **الرسول بمعنى الرسالة الإلهية ذاتها:**

- ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ البَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 86].

- ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾[النساء: 115].

- ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: 56].

- ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 27].

- ﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: 14].

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: 28].

- ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: 9].

3. **الرسول بمعنى الرسالة الإلهية وحاملها:**

- ﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 32].

- ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[آل عمران: 53].

- ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 172].

- ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 42].

–﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 64].

–﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69].

–﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: 80].

– ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: 16].

– ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 170].

– ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1].

–﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 47].

– ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 32].

– ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالدِّين فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: 13].

– ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب: 66].

- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158].

- ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29].

4. **الرسول حامل الرسالة بين الناس لبعضهم بعضًا:**

- ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 50].

5. **الرسل من الملائكة:**

- ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: 19].

- ﴿اللَّـهُ يَصْطَفِـي مِـنَ الْمَلَائِكَـةِ رُسُـلًا وَمِـنَ النَّـاسِ إِنَّ اللَّـهَ سَـمِيعٌ بَصِيـرٌ﴾ [الحـج: 75].

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: 1].

هذه مجموعة من النصوص- وهي ليست للحصر- يمكن للقارئ أن يقرأها ويأخذ فكرة جيدة عن عملية الفرز كيف تتم، ليقوم بنفسه في فرز النصوص الأخرى، ويفرق بين دلالات كلمة الرسول في الخطاب القرءاني.

مفهوم النبي والنبيء
والفرق بين دلالة جمع الأنبياء والنبيين

لاحظ أهل النحو وجود صيغتين لجمع كلمات مُعيّنة أحدها جمع المذكر السالم، والآخر جمع التكسير، مثل شاهدون، وشهداء، وأرادوا أن يفرقوا بينهما في الدلالة، فقال جمهرةٌ منهم: جمع المذكر السالم يُفيد جمع قِلّة الذي أعلاه عشرة أفراد، وجمع التكسير، ويُفيد جمع الكثرة، وهو من فوق عشرة أفراد، واستمروا على هذا التفريق إلى يومنا المعاصر يرثون هذه النتائج دون دراسة أو نقد لها، وبما أن القرءان مصدر للسان العربي، وميزان له، نعرض رأي النحاة عليه لمعرفة درجته من الصواب.

فنلاحظ أنه ليس كل جمع مذكر سالم له صيغة جمع تكسير، مثل كلمة (المسلمون والمؤمنون)، وكذلك نجد أن جمع المذكر السالم في الخطاب القرءاني لا يُفرّق بين جمع قليل وجمع كثير، فالخطاب واحد قَلَّ أم كَثُر الجمع، وهذا يدل على خطأ رأي هؤلاء النحاة فيما ذهبوا إليه من تفريق بين صيغتي الجمع بالقلة والكثرة.

واعتمادًا على قاعدة: إذا اختلف المبنى اختلف المعنى ضرورة، لا بُدَّ من وجود فرق في الدلالة بين صيغتي الجمع.

أول أمر ينبغي ملاحظته هو أن اللسان العربي انعكاس صوتي لأحداث أو ظواهر الواقع، وهذا يقتضي أن ندرس دلالة الكلمة من واقعها، وليس من المعاجم أو الشعر، ومجرد وجود الكلمة مستخدمة في النص القرءاني يدل على وجود ظاهرتها في الواقع سابقة عن اللفظ، وإذا غاب اللفظ عن الاستخدام اللساني، ولا وجود له في النص القرءاني، فهذا يدل على نفي العلم بوجود ظاهرة له على أرض الواقع، وبما

أن كلمة (نبيّين) وكلمة (أنبياء) موجودتان في النص القرءاني، فهذا يدل على وجود ظاهرتيهما في الواقع.

- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: 155].

- ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: 163].

كلمة (نبي) اسم فاعل ويتم جمعها على صيغة الجمع المذكر السالم (نبيّون) مثل:

(شاهد) وجمعها (شاهدون)، (عالم) وجمعها (عالمون).

وهذه الصيغة وجمعها يدلنا على تعدي الفعل من الفاعل إلى الواقع، أما إذا تغيرت صيغة الجمع لهم، فهذا يدل على تغيير المفرد، وتغير المعنى، من باب: إذا تغير المبنى تغير المعنى ضرورة.

لنرى ذلك من خلال الأمثلة ذاتها:

(شهيد) وجمعها (شهداء)، بخلاف (شاهد) التي جمعها (شاهدون).

(عليم) وجمعها (علماء) بخلاف (عالم) التي جمعها (عالمون).

(خبير) وجمعها (خبراء) بخلاف (مخبر) وجمعها (مخبرون)

(حكيم) وجمعها (حكماء) بخلاف (حاكم) وجمعها (حاكمون).

الملاحظ في هذه المفردات أنها تدل على وصف ثابت في الفاعل غير متعدية، وهي لازمة له، وعرفت اصطلاحًا بصفة مشبهة باسم الفاعل، وهذا واضح في التفريق بين دلالة الكلمة (شاهد) المتعدية، وكلمة (شهيد) اللازمة، وكذلك كلمة (عالم) وكلمة (عليم)، وبذلك وصلنا إلى ضرورة الفرق بين دلالة (النبييّن) المتعدية، ودلالة (الأنبياء) اللازمة.

نبأ: خرج منها الفعل الرباعي أنبأ أو نبّأ - يُنْبئ أو يُنَبِّئ - إنباءً، فهو نبيء، والمصدر النَّبُوءَة.

نبا: خرج منها الفعل الثلاثي نبا - يَنبو - نَبْيًا، فهو نبي، والمصدر النُّبُوَّة.

نبي مفرد نبيين: اسم فاعل وهو متعد وأفادت دلالة الياء الجهد الممتد زمانيًا، وهو من الفعل الثلاثي (نبا) **التي تدل على ستر وجمع مستقر منته بامتداد وإثارة في الزمان والمكان**، ومن هذا الوجه قال المفسرون: إن كلمة نبي تدل على الرجل الذي يرفع الناس ويسمو بهم إلى الله، فهو مثل الطريق الممتد زمانيًا.

انظر تفسير القرءان «روح المعاني» للآلوسي الجزء (12) في شرحه للآية: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا**﴾ [مريم: 51]. [... فالنبي من النبوة بمعنى الرفعة. ويجوز أن يكون من النبأ وأصله نبيء أي المنبىء عن الله تعالى بالتوحيد والشرائع ورُجِّح الأول بأنه أبلغ قيل، ولذلك قال: « لست بنبيء الله تعالى - بالهمزة- ولكن نبي الله تعالى » لمن خاطبه بالهمز، وأراد الغض منه].

يشير للحديث عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: جاء أعرابي إلى رسول الله فقال: يا نبيء الله. فقال رسول الله : (لست بنبيء الله، ولكني نبي الله). أخرجه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

نبيء مفرد أنبياء: صفة مشبهة باسم الفاعل على وزن فَعيل مثل عليم وشهيد، وهي صفة حال لازمة، وأفادت الهمزة في آخر الكلمة الظهور المتوقف أو المنقطع، وهي من الفعل الرباعي (أنبأ).

ونقول: نبأتُ من الأرض. إذا خرجت منها، وسُمِّي النبيء نبيئًا؛ لأنه يخرج منه الأنباء (الخبر الجديد المهم). ولذلك لا يصح تسمية النبي: بنبيء الله فقط؛ لأنها تدل على الرجل الذي أخرجه الله، ويُتَوَهم منها طريد الله.

فالنبي هو العالم المتصل مع الله بصورة دائمة، وقد قام البرهان على صدقه، فهو صادق دائمًا، ويُشرف على التعليم والدعوة إلى الله، ويقود الناس للنهضة والحرية والفلاح.

والنبيء هو الذي يُنبئ بأخبار غيبية أو أحداث من خلال دراسته أو استقرائه دون التدخل في تطبيقها أو الدعوة إليها.مثل المتنبئ لظواهر الجو من حرارة أو برودة أو نزول أمطار، أو يدَّعي التنبؤ عن الله وقد يصدق أو يكذب.

فنبي الله هو نبيء ضرورة، وأنبياء الله كلهم نبيّون.

لذا؛ ينبغي الانتباه حين استخدام اسم الفاعل (عالم) أو الصفة المشبهة باسم الفاعل (عليم) في النصوص القرءانية، وكذلك ينبغي التفريق بين دلالة الفعل الثلاثي (قسط)، والفعل الرباعي (أقسط)، لأن الاستخدام ليس اعتباطيًّا، وإنما لحكمة ومقصد من العليم الحكيم.

ونصل الآن إلى مسألة مهمة جدًّا ألا وهي: هل كلمة نبي أو نبيء تطلق على غير نبي أو نبيء الله؟

والجواب:

كلمة نبي أو نبيء لسانيًّا تطلق على كل من تحقق به المفهوم، وبالتالي يوجد نبي الله، ويوجد نبي فقط، وكذلك يوجد نبيء الله، ويوجد نبيء فقط، ولكن غلب في الثقافة الإسلامية إفراد تلك المصطلحات على نبي ونبيء الله فقط، وهي غير ملزمة لنا، لأن القرءان نزل بلسان عربي مبين، ولم ينزل بما تعارف عليه الناس، وفي القرءان نرى قوله تعالى: ﴿**قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة: 91]، فذكر كلمة (أنبياء) مضافة إلى الله، وهذا يدل على وجود أنبياء لا يُنبئون عن الله مثل النبيء عن الأحوال الجوية مثلًا.

وانظر قوله تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [البقرة: 213].

ذكر كلمة (فبعث الله النبيين) فهؤلاء النبيون هم مضافون إلى الله بدليل التعريف لهم بأل العهد، أما غيرهم فهم نبيّون لسانًا فقط كونهم قادة علماء صالحين دعاة إلى الله، وما أكثرهم في التاريخ الإنساني؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: 69].

فكلمة الرسول في النص يقصد بها الرسالة كما هو معروف في اللسان العربي والاستخدام القرءاني، وهؤلاء الناس المطيعون يخبرهم الله أنهم مع النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ، وهذا يلزم وجود هذه المقامات بشكل دائم لا تنقطع من الوجود.

وهذا دليل على أن دلالة كلمة (النبيين) في النص ليست هي المضافة لله حصرًا، وإنما تشمل كل من وصل إلى مقام النبوة وصار نبيًّا بالمفهوم اللساني كإمام وعالم وداعية في مجتمعه، وهم قادة وعلماء صالحون دعاة إلى الحق والخير والنهضة بالعباد والبلاد.

والأمر بالإيمان بالنبيين عام يشمل النبيين الذين بعثهم الله، والنبيين الذين وصلوا إلى هذا المقام بعلمهم وصلاحهم، انظر قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ.. ﴾ [البقرة: 177].

وهذا البر مستمر إلى يوم الدِّين، ومطلوب من الناس أن يؤمنوا بهم، وبما أن الله ختم النبوة المتعلقة ببعثه، وختم النبوءة أيضًا من عنده، فبقي النبيِّون والنبيئون من الناس (القادة الراشدون العالمون الصالحون الدعاة إلى الله) و(المتنبئون بالعلم والدراسة) يجب الإيمان بهم بمعنى اتِّباعهم وطاعتهم فيما يأمرون من الخير والمعروف ونهضة العباد والبلاد وفق قاعدة: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإنما الطاعة بالمعروف)، وقل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

الفرق بين بعث وأرسل

- **بعث**: كلمة تدل على الإثارة والتحريك.

- **أرسل**: من رسل كلمة تدل عل الامتداد.

فالملاحظ؛ وجود علاقة بين كلمة بعث، وأرسل، وذلك من أن فعل الإرسال لا يمكن أن يتم في الواقع إلا بعد فعل البعث؛ لأن الإرسال لا بُدَّ له من الإثارة والتحريك أولًا، فإن أردنا أن نرسل إنسانًا إلى مكان معين لا بُدَّ من بعثه أولًا، بمعنى إثارته وتحريكه، وإلاّ لا يتم فعل الإرسال له إن بقي ساكنًا ثابتًا، والموتى يبعثهم الله يوم القيامة، ولكن لا يرسلهم.

الفرق بين النبي والرسول

نبي: مفرد نبييّن: اسم فاعل وهو متعد، وأفادت دلالة الياء الجهد الممتد زمانيًّا، وهو من الفعل الثلاثي (نبا) **الذي يدل على ستر وجمع مستقر منته بامتداد وإثارة في الزمان والمكان**، ومن هذا الوجه قال المفسرون: إن كلمة نبي تدل على الرجل الذي يرفع الناس ويسمو بهم إلى الله، فهو مثل الطريق الممتد زمانيًّا ومكانيًّا.

فالنبي؛ هو رجل بعثه الله في قومه، واختاره لمقام النبوة، وأوحى إليه بهذا التكليف، والتشريف، ليقوم بعملية الدعوة، والتعليم لمجتمعه مستخدمًا الشرع السابق، الذي نزل على الرسول النبي. **فالنبي هو تابع للرسول النبي السابق، يدعو إلى شرعه، نحو أنبياء بني إسرائيل.**

- كلمة رسول ورسالة من رسل: التي تدل على تكرار حركة حرة تنتهي بحركة لازمة، وظهر هذا المفهوم بفعل أرسل الذي هو امتداد في الحركة وانتقالها من إلى.

واسم الفاعل هو (مُرْسِل) من الفعل الرباعي أرسل، والشيء الذي ينتقل من المُرْسِل إلى المُرْسَل إليه يُسَمَّى رسالة أو رسولًا على المصدر؛ لأن القيمة الحقيقية للرسالة فهي التي تنتقل، ويمكن أن تنتقل بعدة وسائل، منها على سبيل المثال، الحمام الزاجل، فيكون الحمام رسولًا من هذا الباب، ويمكن أن تنتقل الرسالة خلال جهاز إلكتروني (الإنترنت) فتكون الرسالة ذاتها هي رسول توصل الخبر بذاتها، ويمكن أن تنتقل عن طريق إنسان فيكون بذلك رسولًا، أي: هو والرسالة اندمجا معًا، إذن تكون الأدوات أو الوسائل رسل طالما أنهم يحملون رسالة، فإن انتفى عنهم حمل الرسالة، أو أوصلوا مضمونها إلى المُرْسَل إليه ينتقل اسم الرسول إلى الرسالة ذاتها؛ لأنها هي

المعنية في الإرسال وتصير رسولًا بالنسبة للمُرْسَل إليه، وينبغي الانتباه إلى أن الرسول النبي كان له دور في حياته متعلقًا بقيادة الأمة وتعليمها، وتوقف ذلك بوفاته.

فكلمة (رسول) لها متعلقان في الواقع:

- أحدهما: الأصل؛ وهي الرسالة ذاتها.

- الآخر: الفرع؛ وهي الوسيلة أو الأداة التي حملت الرسالة.

وفي حال انفصال الأداة أو الوسيلة عن الرسالة، يزول اسم الرسول عنها، وتنفرد الرسالة باسم الرسول، خاصة إن كانت مستمرة تخاطب الأجيال، فهي رسول إليهم كونها تنتقل من جيل إلى آخر، ويُعرف المقصد من استخدام كلمة الرسول في النص أهي الرسالة فقط، أم حامل الرسالة، أم كلاهما من خلال سياق الخطاب وإسقاطه على محله من الواقع.

نلاحظ أن فعل بعث متعلق بالنبي، وفعل أرسل متعلق بالرسول، وفعل بعث أساس لفعل أرسل، فالنبوة أساس للرسالة، وكل نبي رسول ؛ ولا عكس.

﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 54].

أسلوب القرءان علمي حكيم لا يوجد فيه حشو ولا عبث، ولا يذكر ما هو تحصيل حاصل، فلو كان كل رسول نبي لما كان في حاجة لذكر كلمة نبي وراء كلمة رسول، وعندما أتت وراءها دل على أن ليس كل رسول عمومًا هو نبي لوجود رسل من الملائكة وغيرهم من الناس لبعضهم بعضًا.

وينبغي التطرق لمسألة مهمة، حتى لا يقع القارئ في لبس، وحيرة من خلال تلاوة الآيات القرءانية، التي تناولت الأنبياء؛ ووصفتهم بمقام الرسالة، نحو قوله تعالى:

1- **﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا**

لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: 70].

2- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: 87].

فسياق الآيات يدل ظاهرها على أن النبي هو رسول، والرسول هو نبي من حيث الدلالة، ويمكن أن يصيبهم القتل، وبالتالي لا فرق بين النبي والرسول من حيث الأحكام المتعلقة بهم. والواقع أنه يوجد فرقًا، وسوف نلاحظ ذلك من خلال نبوة موسى، وهارون.

قال تعالى: **﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾** [مريم: 53].

وقال: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ، وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾** [الشعراء: 12-13].

وقال: **﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ﴾** [الشعراء: 16].

فهارون هو نبي، وفي الوقت ذاته أرسله الله عز وجل مع موسى إلى فرعون، وجعله وزيرًا لموسى يؤازره، فصار رسولًا أيضًا، فما الفرق بينه، وبين موسى إذا كان كلاهما نبيًّا، ورسولًا؟

الفرق بينهما يكمن في أن موسى نزلت عليه رسالة، بينما هارون لم تنزل عليه رسالة، وإنما هو تابع لرسالة موسى يدعو إليها، لذلك تم وصف هارون من حيث الوظيفة بمقام الوزارة.

قال تعالى: **﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾** [طه: 29].

فالنبي في مقام العالم المؤهل لقيادة الناس والعناية بهم، والصلة بينه وبين الله

مستمرة لا تنقطع عن طريق الوحي، فيمكن أن يوحى إليه بعض الأوامر المتعلقة بقومه لحل مشاكلهم وإخبارهم ببعض الأمور لتقوية إيمانهم، ولكن لا ينزل عليه رسالة تشريعية، وإنما هو تابع لرسول سبقه صاحب رسالة، كما هو الحال في أنبياء بني إسرائيل، فكلهم تابعون لرسالة موسى، لم ينزل عليهم أي تشريعات، وإنما نزل عليهم أوامر وتعليمات؛ ليقوموا باستخدامها في عملية الإرشاد والهداية، والتوجيه لرسالة موسى، فكانوا بذلك العمل قد تحقق بهم صفة الإرسال من الله لهم للناس، فصاروا بذلك مرسلين، ولكن دون رسالة تشريعية، إلا النبي عيسى عليه السلام، فقد صار بمقام الرسول صاحب الرسالة، وأخذ حكمهم من حيث الحفظ والعصمة عن القتل.

ومن هذا الوجه كان النبي رسولًا، والرسول نبيًّا، لأن القيمة الحقيقية والثمرة للنبوة إنما هو للرسالة. فإن انتفت الرسالة من حيث النزول، أو الدعوة إليها، تفرغ مقام النبوة من مضمونه، ومثل ذلك كمثل العالم العامل بعلمه دعوة وتعليمًا، والعالم الساكت عن علمه والكاتم له لا يفيد به أحدًا، فهو بذلك صار من حيث النتيجة مثله مثل الذي لا يعلم تمامًا.

إذن؛ وظيفة الرسالة متحققة بالنبي، الذي نزل عليه رسالة جديدة، فصار بها رسولًا مبلغًا يدعو إليها، ومتحققة بالنبي الذي لم ينزل عليه رسالة مثل هارون من خلال دعوته للرسالة التي نزلت على أخيه فصار رسولًا معلمًا وداعية، وكلاهما رسول رب العالمين، والقرءان استخدم هذه التعريفات والتفريقات بين النبي والرسول، فأعطى لكلاهما صفة الإرسال، ووصفهما بمقام الرسول، وفي الوقت ذاته فرَّق بينهما، **إذ جعل الرسول صاحب الرسالة معصومًا عن القتل لإتمام رسالته، بينما الرسول التابع جاز عليه القتل، وقد حصل في الواقع، فصار اصطلاحًا أن الرسول التابع هو نبي، والنبي صاحب الرسالة هو رسول، ومن هذا الوجه ظهرت المقولة التي تقول: كل نبي رسول ولا عكس، رغم أن كلاهما رسول من حيث الإرسال لهما من قبل الله للناس، وكلاهما مأموران بالدعوة والتعليم والتبليغ.**

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: 52].

فتكون وظيفة النبي هي: الدعوة والتعليم والقيادة للناس، كون النبوة مقامًا علميًّا، ويكون بذلك رسولًا تابعًا.

أما وظيفة الرسول فهي: التلاوة والتبليغ لما أنزل الله عليه من أوامر تشريعية، فهو صاحب رسالة، إضافة لمقام النبوة.

قال تعالى: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا البَلَاغُ المُبِينُ﴾ [العنكبوت: 18].

وقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالدين إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 151].

وينبغي الانتباه إلى أن النبوة لم تنف الصفة البشرية عن النبي، وإنما أضافت له مقامًا علميًّا، وعندما صار النبي رسولًا، لم ينتف عنه صفة البشرية، ووظيفة النبوة، وإنما أُضيف له مقام الرسالة، مع الحفاظ على الصفات البشرية، والنبوية، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

كل نبي رسول هو إنسان ولا عكس.

الاجتهاد وظيفة النبي لا الرسول

كون النبوة مقامًا علميًّا ودعويًّا، والأنبياء سادة العلماء، فصفة الاجتهاد لهم أولى من العلماء، **فالنبي أحق بالاجتهاد من العالم قطعًا**، وإلاَّ صار العالم المجتهد أفضل من النبي إن سُلِبَ حق الاجتهاد منه.

فالنبي يقوم بالاجتهاد في عملية الدعوة، والتعليم، والاستنباط للأحكام والمعلومات من الرسالة السابقة، أما إذا كان هو رسولًا، فيستخدم الرسالة التي نزلت عليه﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا**﴾ [النساء: 105]، وهذه الرؤية ليست وحيًا وإنما هي اجتهاد وفهم لما أنزل الله، ومن الخطأ الفاحش نفي الاجتهاد عن النبي بحجة أن كل ما يقوله وحي من الله، فهذا خلط بين مقام النبوة ومقام الرسول المتعلق بالتلاوة والتبليغ لما أنزل الله عليه.

مفهوم السنة

السنة: من سن، التي تدل على جريان الشيء واطراده بسهولة، وكلمة جريان الشيء؛ تقتضي الاستمرار، التي بدورها تقتضي التكرار﴿اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: 43] فسنة الله، هي الطريقة التي استخدمها في عملية الخلق، وأعطاها صفة الثبات من جراء استمرارها، وتكرارها في كل عملية خلق.

فالماء، كلما تعرض للحرارة يتبخر، هذه سنة الله في الماء لا تتغير أو تتبدل.

وإذا أضيفت كلمة سنة للإنسان، فيقصد بها نمط حياته العملي الثابت عليه استمرارًا وتكرارًا، لا يتخلف أبدًا عن فعله.

والتزام الإنسان بسنة معينة في حياته الاجتماعية، يقتضي ذلك عملية الإشهار له بين الناس، وهذا الإشهار يزداد يومًا بعد يوم، **وتتوسع دائرة العلم لهذه السنة، كلما مضى عليها زمن دون سند أو عنعنة**، بمعنى أنه لا يمكن تحديد الرواة لها، وهذا معنى التتابع للسلوك بشكل دائم.

والتواتر للخبر ليس حجة في القرءان ولا يعتد به، وإنما يعتد بالتتابع العملي للحدث ذاته كممارسة دون انقطاع، وليس مجرد رواية عنه لأمر ثبت بالبرهان العقلي أو القرءاني، والنص القرءاني حدث عظيم تتابع في الأمة كممارسة تلاوة ودراسة وحفظ وتعبد به فهو لا سند له، بمعنى أنه لا يوجد لكل سورة منه سلسلة من الرواة

معروفين، فهو خطاب لساني متتابع إنسانيًّا، ثابت، ومُوثق من قِبَلْ كل مجتمع تعامل معه إلى يومنا المعاصر، ومثله الصلاة والحج (ظاهرة اجتماعية ثقافية في الأمة).

وينبغي العلم أن التتابع هو أداة معرفية يتعلق بحصول الحدث فقط، وليس هو أداة علمية يتناول دراسة الحدث أو الحكم عليه، لذا؛ التتابع يفيد حصول الحدث واستمراره ولا يفيد حكمه أو صواب الحدث، فهذا يرجع حكمه للبرهان والمصدر الذي يتبع له.

مفهوم الحديث

كلمة الحديث: هي كلمة تدل على حصول الشيء بعد أن لم يكن، وسُمِّي الكلام حديثًا؛ لأنه يحصل بصورة جديدة تباعًا، كلمة تلو أخرى.

قال تعالى: ﴿**اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا**﴾ [النساء: 87].

فالحديث لا يشترط له الثبات ويستحيل عليه التتابع؛ لأنه حديث وليس فعلًا، بل يغلب عليه الظن، وهو يخضع لعملية الصدق، والكذب، والخطأ، وذلك متعلق بمضمونه كمتن، ورواته كسند، ويستثنى من ذلك الخطاب القرءاني؛ لأنه كان فور نزوله متعلقًا بحدث اجتماعي ونزل مفرقًا ليترسخ في قلب النبي والأمة، فهو حديث الله عز وجل الصادق المطابق للواقع، وقد تم حفظه بصورة التتابع له في المجتمعات الإنسانية.

أما سوى حديث الله، فهو أمر متروك حفظه للناس، سواء أكان حديث الأنبياء، أم غيرهم، ويجري عليه الصدق والكذب، والخطأ والتحريف، كما هو معلوم في الحياة الاجتماعية والثقافية.

إذن، مدلول السنة غير مدلول الحديث، فينبغي التفريق بينهما في التعامل، والاستخدام، **والالتزام بدلالتهما اللسانية، وعدم الخلط بينهما.**

ومن خلال تتبع الآيات القرءانية نشاهد أن كلمة (**السنة والحديث**) لم يتم استخدامهما إلاّ بدلالتهما اللسانية، أي لم يتم حصر دلالتهما بصورة معينة مثل كلمة،

الصلاة، والصيام، والحج، التي صارت اصطلاحات شرعية، إضافة لدلالتها اللسانية.

وبالتالي، فنحن غير ملزمين بمصطلحات القوم، التي وضعوها، وهي غير حجة علينا، وهذه التعاريف وضعها القوم، كل حسب اختصاصه وتوجهه مع ملاحظة عدم تفريقهم بين السنة والحديث.

- فقال **علماء الأصول**: السنة هي ما يصلح أن يكون دليلًا شرعيًّا يستنبط منه حكمًا.
- وقال **علماء الفقه**: السنة هي ما يُندب فعله ويثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.
- وقال **علماء الحديث**: السنة هي مجموعة الأقوال والأعمال والإقرارات وما همَّ به النبي، وصفاته الخَلْقِيّة، والخُلُقِيّة، وأخبار غزواته وحياته الاجتماعية.
- وقال **علماء الشيعة الإمامية**: السنة هي قول وفعل وإقرار النبي والإمام المعصوم.

إلى غير ذلك من التعاريف الموجودة في التراث الإسلامي.

وعلماء الأصول عندما يذكرون مصادر التشريع يقولون: **القرءان والسنة، والإجماع، والقياس.**

فيستخدمون كلمة السنة، ولكن حين التطبيق والدراسة **يحل محلها مادة الحديث النبوي كمصدر شرعي عوضًا عن السنة**، وهذه العملية من معظم العلماء، **هي تدليس وتحريف، وخلط ما بين السنة، والحديث، وليمرر بعضهم ما يريدون من أفكار تخدم السلطة الاستبدادية، وتكرس الاستعباد!.**

مفهوم الحكمة

أول من قال أو مَن دَوَّن ذلك ونشره وكرسه عن مفهوم الحكمة هي السنة - بمعنى حديث النبي - هو الشافعي في كتابه الرسالة، وبقوله هذا ضل وأضل معه غالب الأمة بصرف النظر بقصد أو دونه فنحن ليس بصدد محاكمة شخصه، والحكمة في القرءان من الحكم وهي تدل على المنع ومنه قولنا: نص محكم، أي: غير ملتبس الفهم ولا هو احتمالي، لنر كيف أتى استخدام كلمة الحكمة في القرءان.

الحكمة التي نزلت على النبيين وحي وهي جزء من الكتاب الإلهي وليس خارجه، فهي ليس حديث النبي ولا قوله ولا سنته.

﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 231].

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مُّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاُّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113].

وبعد دراسة مفهوم الحكمة في القرءان وجدنا أنها أتت على صنفين:

الأول: الحكمة هي وصف لآيات ونصوص متعلقة بالتشريع والتوجيه والتعليمات.

انظر سورة الإسراء من نص **﴿لاَّ تَجْعَل مَعَ اللّهِ إِلَـهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً﴾**

[الإسراء: 22]، إلى نص ﴿**ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا**﴾ [الإسراء: 39].

الثاني: الحكمة بمعنى المنهج وقواعد التفكير والحكم والفهم، وأوتيت للنبيين ولغيرهم، وهي قابلة للتعلم والدراسة والاكتساب.

﴿**يؤتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ**﴾ [البقرة: 269].

﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل: 125].

﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾ [لقمان: 12].

فالحكمة بنوعيها التشريعي التعليمي والمنهجي كلاهما موجودان في القرءان وتعلمهم النبي من الكتاب، مع إمكانية تعلم الحكمة المنهجية لغير النبيين دراسة وتعليمًا وتدريبًا.

سنة النبي

ماذا يُقصد بسنة النبي ؟

سنة النبي: هي الطريقة المنهجية التي استخدمها في التعامل مع الرسالة الإلهية لإسقاطها على واقعه، والمنهج هذا ما أطلق الله عليه صفة الحكمة.

وهذه الطريقة موجودة في فحوى الرسالة، فكل من يقرأ الرسالة الإلهية(القرءان) يستطيع أن يصل إلى هذه المنهجية (سنة النبوة).

قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ [البقرة: 129].

ومن خلال تفاعل النبي مع الرسالة، والواقع مستخدمًا الحكمة، جرى على لسانه الأحاديث المتعلقة بفهمه للرسالة، والواقع، **وهذه الأحاديث هي من تأليف النبي، وفهمه للرسالة، وليست وحيًا أبدًا، ولم يتعهد الله بحفظها لأنها ليست مصدرًا دينيًّا ولا يشملها دلالة كلمة الذكر وليست هي منزلة من عند الله، ومرتبطة بشخص النبي، وبزمانه ومكانه، والنبوة كما ذكرت هي خاصة في الزمان والمكان، والمجتمع**، بخلاف الرسالة فهي عامة وصالحة لكل زمان ومكان. **فمن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.**

وواقع مادة الحديث النبوي شاهد على ما أقول من كونها مادة لم يُرِدْ الله حفظها ابتداء، انظر إلى هذه الإشكالات على سبيل المثال:

أ. لقد تم اختراق مادة الحديث النبوي زيادة كما هو مشاهد في كتب الحديث.

ب. لقد تم اختراق مادة الحديث النبوي نقصانًا، وهذا ثابت عقلًا، ونقلًا.

أما ثبوته عقلًا، فهو من ثبوت الزيادة، والزائد أخو الناقص، والأمر الذي يزيد؛ ينقص.

أما نقلًا، فمن خلال إهمال وإغفال رواية معظم أحاديث العهد المكي لمدة ثلاثة عشر عامًا، وإهمال رواية بضع مئات من خطبِ الجمعة التي خطبها النبي نفسه !.

ت. وجود تعارض وتناقض في الروايات بصورة مذهلة !.

ث. وجود روايات تنهى صراحة عن كتابة غير القرءان نحو :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: « لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْءانِ فَلْيَمْحُهُ، وَحَدِّثُوا عَنِّي، وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار» أخرجه مسلم في صحيحه.

ج. عدم اهتمام كبار الصحابة برواية الحديث أو حفظه! وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين الأربعة، مع العلم أنهم من حفظة القرءان، وقد اهتموا جدًّا بالنص القرءاني كما هو معلوم من جمع المصحف في زمن أبي بكر، وتوحيد التلاوات في زمن عثمان.

ح. ورد عن النبي مجموعة من الروايات التي تؤكد على أن المصدر الإلهي الوحيد للتشريع هو القرءان نحو:

أ. قال النبي: « أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يُوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثَقَلَيْن أولهما **كتابُ الله**، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به -**وحث على كتاب الله ورغب فيه**- ثم قال: وأهل بيتي أُذكرُكم الله في أهل بيتي. وكررها ثلاث مرات». أخرجه مسلم برقم 4425/ وأحمد.

ب. قال النبي: « إن أُمِّرَ عليكم عبد مجدع-قال الراوي: حسبتها قالت: أسود- يقودكم **بكتاب الله تعالى فاسمعوا وأطيعوا**» مسلم

ت. قال النبي: « **الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه**» ابن ماجه 3358/ الدار قطني والحاكم والبيهقي والبزار والطبراني.

ث. قال النبي: « **أطيعوني مادمت فيكم، فإذا ذُهِبَ بي فعليكم بكتاب الله، أحلوا حلاله وحرموا حرامه**» مسند أحمد 6381/ وصححه الألباني في الصحيحة تحت رقم 1472.

ج. قال النبي: « تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما **كتاب الله وسنتي**».

ح. عن أبي سعيد الخدري، أن النبي قال: « لا تكتبوا عني شيئًا سوى القرءان، من كتب عني شيئًا سوى القرءان فليمحه ». هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

خ. قال رسول الله: « اعملوا بالقرءان أحلوا حلاله وحرموا حرامه واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله وإلى أولي العلم من بعدى كما يخبروكم وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور وما أوتي النبيون من ربهم وليسعكم القرءان وما فيه من البيان». السنن الكبرى للبيهقي.

وما ذكرته من الأحاديث إنما على سبيل الاستئناس، وليس على سبيل البرهان، ولاشك أن الحجة والبرهان في موضوعنا هو القرءان والمنطق فقط، وأنا أعلم أن كل مسألة من هذه المسائل يمكن أن يوجد لها عبيد الإسناد تلفيقة معينة ليبرروا هذه الأمور، ويستمروا في استعباد الناس.

الحديث النبوي ليس تشريعًا إلهيًا ثابتًا

لو افترضنا على سبيل المثال أن الأحاديث النبوية قد وصلت إلينا كلها دون زيادة أو نقصان، أو تحريف، وتم التأكد من صواب نسبتها إلى النبي بصورة موثقة إلى درجة اليقين، هل تصير هذه المادة الحديثية وحي إلهي تشريعي ملزمين بها؟

والجواب: لا؛ ليس وحيًا، وغير ملزمين بها؛ لأن مادة الحديث النبوي هي من تأليف النبي وتفاعله مع الرسالة الإلهية. فحديث الله (القرءان)، غير حديث النبي، والعلماء فرقوا بينهما بالتعريف، فقالوا: الحديث النبوي هو المعنى من الله، واللفظ من النبي وتأليفه، وبصرف النظر عن صواب التفريق أو خطئه.

أما القرءان فصياغته اللسانية، كمبنى من الله عز وجل، **وإذا تمعنا بتعريف العلماء للحديث النبوي نصل إلى أن الله عز وجل أنزل وحيًا بالمعنى دون المبنى على النبي.** وهذا الكلام هراء لا قيمة له، **وذلك لأن المعاني مرتبطة بالمباني، والمباني هي أوعية لحمل المعاني لا يفترقان أبدًا**، وبالتالي، لا يمكن أن يتم نقل معنى لإنسان دون مبنى يحمل هذا المعنى.

والوجه الآخر لبطلان هذه المقولة، **أن الإنسان لا يفكر إلا ضمن لسان يكون حاملًا ووسيطًا لفكره**، فإذا انتفى اللسان انتفى التفكير، وبالتالي، لا يمكن أن تجعل إنسانًا لا يملك لسانًا (لغة) أن يقوم بعملية التفكير، أو أن تتواصل معه فكريًّا، **هكذا خلق الله الإنسان، لا يفكر إلا ضمن لسان، والتفكير غير التعقل الذي لا يتجاوز عملية الفهم، والتفاعل مع الواقع بصورة مباشرة، وهذا لا يحتاج إلى لسان (لغة) ليحصل، مثل الشعور بالحب أو الحزن، أو الخوف**، فإذا أراد الخالق من الإنسان شيئًا

تكلم معه بلسانه، والعجز والمحدودية في الإنسان، وليس في الخالق.

وإذا ثبت أن مبنى الحديث من النبي كإنسان، وهذا ثابت في واقع الحال باعترافهم، ثبت ضرورة أن المعنى من النبي متلازم مع المبنى لا يفترقان. **فمادة الحديث النبوي هي أمر مرتبط بشخص النبي وتفاعله الزمكاني مع الرسالة الإلهية، وليست هي وحيًا، وليست هي مصدرًا تشريعيًا، وإنما هي مادة تاريخية عظيمة، إنها التفاعل الأول مع الرسالة الإلهية الكاملة.**

وخطاب الله عز وجل موجه إلى الناس جميعًا، ونحن من الناس المعنيون بهذا الخطاب، فلماذا نهمش أنفسنا ونخرجها من الخطاب الإلهي:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158].

والأمر بإقامة الصلاة كتشريع وجوب، ومقومات الركعة الواحدة (قيام وركوع وسجود)، والحد الأدنى للصلاة كركعتين، وتحديد الأوقات الخمسة، كل ذلك نزل في النص القرءاني، أما عدد الركعات للصلاة التي أكثر من ركعتين فقد أتت من الوحي العملي مباشرة، ووصلت إلينا عن طريق السنة، أي توزيع عدد ركعات الصلاة في اليوم والليلة.

فتلازم أمر الله بإقامة الصلاة **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ**

تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 6] مع سنة الرسول (**صلوا كما رأيتموني أصلي**) فالصلاة مبنية على عملية الرؤية، وليس على الأحاديث.

لذا؛ كانت الصلاة بصورتها العملية متتابعة في المجتمعات الإسلامية كطريقة عملية وليس روايات، ولا منيّة لأحد في وصولها إلينا!، وكل المسلمين تعلموا كيفية الصلاة من آبائهم وأهل المسجد والناس عمومًا، ولا يوجد اختلاف بين المسلمين في صورتها من قيام وركوع وسجود، والاختلاف بين المسلمين إنما هو في الجزئيات المتعلقة بالصلاة، وهذه الأمور هي من مادة الحديث النبوي، وليست وحيًا، مثلًا، عندما نزلت آية ﴿**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**﴾ [الواقعة: 74]. قال النبي: اجعلوها في ركوعكم، وعندما نزلت آية ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾ [الأعلى: 1]، قال: اجعلوها في سجودكم.

فهذه الأدعية والأذكار هي اختيار نبوي لأمته، الأَوْلى الالتزام بها مع صواب الصلاة بغيرها من الأدعية والأذكار القرءانية التي يتأولها الإنسان كمضمون.

وكذلك طقوس ومناسك الحج، اقرأ

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 128]، وقول النبي: (خذوا عني مناسككم).

ووجود الطريقة العملية لأداء الصلاة والحج في السنة لا يجعلها مصدر تشريعي وإنما هي مصدر عملي تابع لمصدر تشريعي، لأن مصدر التشريع هو الذي يؤسس حكماً أو يبتدئ حكمًا.

أوقات الصلوات الخمسة في القرءان

إن كلمة الصلاة من الصلة التي تدل على العلاقة والالتزام. ومن هذا الوجه أتى استخدام كلمة الصلاة في القرءان على أوجه عدة:

1- الصلاة بمعنى الالتزام بالدعاء:

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 103].

2- الصلاة بمعنى الالتزام بالتأييد والنصر والتوفيق:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: 56].

3- الصلاة بمعنى الالتزام والولاء والدفاع والتكتل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 56].

4- الصلاة بمعنى الالتزام بأوامر الله والعلاقة به:

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر: 24- 46].

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)﴾ سورة الماعون.

5- الصلاة بمعنى الالتزام بالشيء لصقًا واتصالًا:

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (93) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: 94].

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (15) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ [المطففين: 16].

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: 31].

6- الصلاة بمعنى القيام بالتزام فعل محدد من قيام وركوع وسجود يتخلله ذكر وخشوع لله ضمن وقت معين مستقبلين بوجوهنا المسجد الحرام.

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: 26].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ..﴾ [المائدة: 6].

والذين يهمنا في بحثنا هو الصلاة التي هي التزام وعلاقة بصورة معينة ضمن وقت محدد وهي الصلاة المعروفة من قيام وركوع وسجود. فالصلاة المعنية بالبحث ليست هي مجرد التزام بعلاقة تفكر وتأمل أو دعاء، أي: ليست هي حالة وجدانية نفسية فقط، وإنما هي فعل وحركات معينة يتخللها ذكر ودعاء وفكر وتأمل وخشوع.

لنر ذلك من خلال الآيات:

1- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ..﴾ [المائدة: 6].

حرف (إذا) يدل على حتمية ووجوب ما يأتي بعده، وهذا يدل على وجوب أداء الصلاة التعبدية التي يشترط لها الطهارة البدنية المذكورة في النص.

فالصلاة ينبغي أن نقوم إليها لنؤديها بعد أن نستعد لها بالطهارة.

2- ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[البقرة:144] فالصلاة تكون في التوجه شطر المسجد الحرام.

3- ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾ [النساء: 142].

4- ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [التوبة: 54].

5- ﴿إِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة: 58].

إذن الصلاة هي التوجه بصدورنا إلى بيت الله الحرام، والقيام بفعل وحركات معينة يتخللها ذكر ودعاء وتأمل وفكر ضمن أوقات موزعة على اليوم والليلة.

لنر الآن الحد الأدنى من الحركات المؤلفة منها الصلاة التي اصطلح عليها باسم الركعة. قال تعالى:

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: 26].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج: 77].

فمقومات الركعة هي: القيام والركوع والسجود.

لنر الآن أن الصلاة المطلوبة هي ركعتان كحد أدنى قال تعالى:

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: 101].

﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ..﴾ [النساء: 102].

بصرف النظر عن الأفهام الأخرى لقصر الصلاة في النص، فهي تشمل أيضاً مفهوم قصر الصلاة التعبدية من حيث الطول.

فواضح من كلمة (القصر) أن الصلاة كحد أدنى ركعتين، لأن الركعة الواحدة لا تقصر، كما أن النص الآخر يدل على أن الفئة الأولى صلت ركعة واحدة، وأتت الفئة الثانية لتصلي في الركعة الثانية.

إذن وصلنا الآن إلى أن الصلاة هي توجه إلى المسجد الحرام بوجوهنا والقيام بفعل

من ركوع وسجود يتخلله الذكر والخشوع لله، مؤلف كحد أدنى من ركعتين.

لنر الآن أن إقامة الصلاة متعددة وموزعة على اليوم والليلة ضمن أوقات محددة، والأوقات تفهم من عدة نصوص وليس من نص واحد، وينبغي العلم أن مفهوم سبح بحمد ربك يتضمن مفهوم الصلاة لله.

قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: 238].

لاحظ مجيء كلمة (الصلوات) بصيغة الجمع، والجمع في اللغة يدل على ثلاثة فصاعدًا، وهو نص أتى بسياق العلاقات الاجتماعية ولكن لا يمنع من تفعيل فهمه في مجال آخر لا ينفي فهمه الأول وهذا يُسَمَّى تعدد بالأفهام وتنوعها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ..﴾ [النور: 58].

فقد ذكر النص: صلاة الفجر، وصلاة العشاء

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: 114].

النهار له أطراف متعدِّدة كونه يتمدد ويتسع على شكل كروي.

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: 130]

الصبح طرف، والضحى طرف، والظهر طرف، والعصر طرف، وغروب الشمس طرف.

وأتى نص بإقامة الصلاة، ونفهم ذلك على عمومه سواء الصلاة الاجتماعية أو التعبدية ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: 114].

ووقت الفجر ليس طرفًا من النهار فالظلام ما يزال منتشرًا ولا يُسَمَّى الوضع نهارًا، والنهار يبدأ من الصبح.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: 18]

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: 71].

النهار هو ضياء، والليل ظلام، ومصدر الضياء هو شروق الشمس.

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: 17-18].

أما كلمة (زُلَفًا) فهي جمع زُلْفَة وتدل على المنزلة والدرجة، ويقصد بها في النص الجزء من الليل الذي يقرب إلى آخر. وكونها أتت بصيغة الجمع فيكون المقصد منها التعدد ضرورة، وبالتالي تعدد إقامة الصلاة في الليل، وذلك يكون في صلاة المغرب وصلاة العشاء.

قال تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ [الإسراء: 78]

دلك: كلمة تدل على دفع شديد بحركة متصلة لازمة بطيئة منتهية بقطع أو دفع خفيف وتحقق ذلك في دفع حركة الشمس بقوة متصلة لازمة منتهية بدفع خفيف على مدار النهار كله، وتكون هذه الحالة متحققة في الشمس في وقت الظهيرة عندما تستوي الشمس في كبد السماء وتشتد حرارتها، وتتحقق أيضًا بوقت صلاة العصر. فتكون هذه الجملة [أقم الصلاة لدلوك الشمس] دليل على وقت الظهيرة والعصر.

أما كلمة (غسق) فتدل على شدة اسوداد وتشمل بدء الليل وشدة اسوداده. ويكون المقصد منها وقت إقامة صلاة المغرب والعشاء.

إذن؛ الصلاة أتت في القرءان بأركان الركعة الواحدة من حيث القيام والركوع

والسجود، وشرطية الطهارة لأدائها. وأتت الصلاة أنها ركعتان كحد أدنى، وأتت أن الصلاة هي مجموعة من الصلوات الموزعة على مدار اليوم والليلة، والنصوص ذكرت وقتين (صبح ومساء) كحد أدنى وذكرت ثلاثة أوقات وذكرت خمسة أوقات، وهذا يدل على أن الصلاة لها صور متعددة الأوقات ويرجع اختيار صورة لها من الصور لطبيعة المكان جغرافيًّا من حر وبرد وطول النهار أو قصره، أو لظرف الإنسان الصحي أو المعيشي العملي.

أما تحديد عدد الركعات في الصلوات التي هي أكثر من ركعتين فقد أتت عن طريق السنة الرسالية المتتابعة [صلوا كما رأيتموني أصلي] وهي ممارسة عملية مشاهدة بالعين وليست أحاديث منقولة بالرواية، وكما هو مشاهد ليس ذلك تشريعًا مستقلًا عن الكتاب، فحكم الصلاة أتى في القرءان وشرط الطهارة والأوقات المتعددة ومقومات الركعة الواحدة من حيث القيام والركوع والسجود، كل ذلك أتى في القرءان، فالسنة الرسالية لم تأت بحكم، وإنما أتت بممارسة عملية للصلاة من حيث الالتزام بخمسة أوقات وزيادة في عدد الركعات لصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وهي زيادة مندوبة ثابتة التزمها النبي والصحابة حسب طبيعة المكان جغرافيَا وظروف الناس، وتتابع هذه الصورة في الأمة لا ينفي صحة صور الصلاة الثابتة في القرءان من حيث الوقتين وثلاثة أوقات وخمسة أوقات ومقومات الصلاة الركعتين، ويترك حرية الاختيار للناس وظروفهم.

وبالتالي من الغلط الإتيان بمثل الصلاة على أن السنة تشرع مع القرءان وهي مصدر تشريعي، فكما لاحظنا أن السنة هي تابع وملحق عملي متعلق بممارسة هيئة الصلاة والحج، ولا تَبْتَدِئُ تشريعًا بذاتها، فضلًا عن نفي استقلالها في التشريع عن القرءان، وإنما هي بين يدي القرءان تسير بهديه وتستضيء بنوره، لا تزيد عليه، ولا تخصص عمومه، ولا تقيد مطلقه، ولولا وجود القرءان لما كان يوجد سنة للنبي أو حديث، فالقرءان أصل وأساس وقاض ومهيمن على كل الأفهام، والواجب ما أوجبه القرءان، والحرام ما حرمه، والحلال ما أحله.

ووصول هيئة الصلاة والحج إلينا لا ندين به إلى السند والعنعنة، ولا يوجد منيّة لأحد علينا أبدًا، لأن ذلك وصل من خلال التتابع العملي لكل مجتمع، مع توسع دائرة التتابع بشكل متتاليات كلما تقادم الزمن، ومثل ذلك مثل تتابع النص القرءاني إلينا، فالتتابع لا يحتاج إلى سند؛ لأنه ممارسة مجتمع شاهد حاضر بشكل واعي مع استمرار هذا التتابع والممارسة إلى الأجيال اللاحقة دون انقطاع، لذلك يفيد الحدث المتتابع المستمر الحصول القطعي ضرورة، ويحيل العقل كذب الحدث المتتابع، فما بالك إذا كان التتابع هو تنفيذ لحكم شرعي نزل بالقرءان وتعلق بظاهرة ثقافية، مع العلم أن الصلاة بصورتها الحالية من قيام وركوع وسجود كانت معروفة فيما سبق من أيام النبي إبراهيم عليه السلام، انظر قوله تعالى:

﴿...وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[البقرة: 125].

وقد أمر الله أهل الكتاب بالصلاة والزكاة والركوع مع الراكعين بقوله تعالى:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ..، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: 40-43]

﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: 43]

فالصلاة لم يُبتدأ تشريعها في القرءان، وإنما هي موجودة منذ بدء أول رسالة إلهية للناس، وتناقلتها الأجيال بصورة عملية، فهي سُنَّة الرُّسُل جميعًا، والقرءان ثبَّتها.

أمَّا زيادة عدد ركعات الصلاة أكثر من اثنتَيْن؛ فهذا الأمر كان من اختيار النبي اقرؤوا هذه الروايات:

1- **حَدَّثَنَا الحَكَمُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ، يَقُولُ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ بِالهَاجِرَةِ، فَأُتِيَ بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِهِ فَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، فَصَلَّى النَّبِيُّ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَالعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ.** أخرجه البخاري

2- عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: «فَرَضَ اللَّهُ الصَّلاَةَ حِينَ فَرَضَهَا، رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلاَةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلاَةِ الحَضَرِ» أخرجه البخاري

والسؤال؛ مَن الجهة التي زادت في عدد الصلاة أكثر من ركعتين، وهل هذه الزيادة تأخذ حكم الأصل أم هي بحكم المندوب وليس واجبًا!.

أما الأذكار والأدعية في داخل الصلاة فهي من اختيار النبي تأول ذلك من خلال القرءان، وهو اختيار موفق الأولى الالتزام به مع صحة اختيار غير ذلك من القرءان على نمطه.

وأُضيفت سُنَّة الرسول محمد إلى سُنَّة الرُّسُل السابقين (صلَّى الله عليهم، وآلهم جميعًا) لتصير الصلاة بشكلها المعروف وتناقلتها الأجيال ممارسة وتتابعًا كذلك.

وينبغي أن تعلموا أن هذه الصلاة التعبدية ليست من أركان الدين الإسلامي كما هو شائع بين معظم المسلمين وإنما هي مجرد أمر واجب وجدانيًّا، والصلاة التي هي ركن في الدين الإسلامي هي الصلاة الاجتماعية التي تتعلق بصلة الناس بالعمل الصالح، فأركان البناء تكون في بدايته وليس في نهايته، وهذا يعني أن أركان الدين الإسلامي موجودة منذ بدء الوعي الإنساني وهي ثابتة ولا تتغير مع الزمن ويقوم البناء عليها، وأركان الدين الإسلامي هي ثلاثة فقط:

الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح وفق منظومة القيم والأخلاق، اقرؤوا:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62]

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ

اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:13]

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:132]

أوقات الصلاة في القرءان

الفجر	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الفجر...﴾ [النور: 58].
الظهر	﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: 17] ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: 114].
العصر	﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: 114]. ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: 130]
المغرب	﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: 17] ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: 78]
العشاء	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ.....وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ العِشَاء..﴾ [النور: 58]

أحاديث النبي
روايات تاريخية موجودة ليست محل نفي

النبي العظيم كائن إنساني يتمتع بوجود موضوعي، وليس أبكمًا ولا وهمًا، وكان متكلمًا ومتحدثًا، ووصلنا كثير من كلامه وأحاديثه، وهذا ثابت على غلبة الظن تاريخيًّا حسب العنعنة ومصطلح الحديث وحسب الرؤية القرءانية.

ونحن لا ننفي ذلك ولا ننكر هذه الحالة التاريخية، والنبي ليس ساعي بريد كما يتهمنا بعضهم بأننا نقول ذلك، هل المعلم الذي يدرس الطلاب المقرر المدرسي ساعي بريد، وهل عندما يتوفَّى المعلم يتعطل تدريس المقرر المدرسي أو ينتفي قيمة المعلم واحترامه؟

وكذلك النبي فهو عالم ومعلم وداعية ومربٍّ وإمام وقائد لمجتمعه، وهذه المهام والوظائف متعلقة بحضوره الشخصي، وعندما توفِّي توقفت تلك المهام واستمرت رسالته؛ لأنها للناس جميعًا وليس لقومه فقط ولا لزمانه، ومن هذا الوجه نقول: **نبوة محمد لقومه ورسالته للناس**، والكتاب الذي نزل عليه يحتوي علوم النبوة وهي منفصلة عن شخص النبي ويحتوي الرسالة وكلاهما محفوظين بالكتاب الذي هو الذكر الصوتي الذي نزل على الرسول محمد وتلاه على قومه وتتابع في مجتمعه واستمر كذلك دون انقطاع.

وحديث النبي أو قوله هو تفاعل النبي مع القرءان والواقع الذي يعيشه وبما يصلح به حال مجتمعه وليس هو وحيًا أو مقدسًا، وليس له صفة التشريع الإلهي الدائم مع الاحترام له كمادة تاريخية.

أنواع الحديث النبوي

1. يوجد منها ما هو إعادة الأمر أو الندب بالتمسك بمكارم الأخلاق والحض على العمل الصالح وما شابه ذلك، فهذه هي صدى للنصوص القرءانية لا مانع من روايتها تحت النص القرءاني المعني والأصل لها، وما ينبغي لها أن تسبق القرءان وهو أولى بتلاوته منها.

2. أحاديث متعلقة بالحياة المدنية والآداب والنظافة، فإن كان المجتمع يعاني منها أو لا يعرفها وهو بدائي، فلا مانع من الاستعانة بها لتشجيع الناس على الامتثال للحياة المدنية والنظافة والطهارة.

3. أحاديث متعلقة بالعبادات الشعائرية (الصلاة والحج) هي اختيار نبوي من الأذكار والأدعية أو تلاوة سور من القرءان، والأفضل الالتزام بها مع جواز اختيار غيرها من جنسها ومن القرءان أو ما يفتح الله على العبد من ثناء ودعاء وذكر مجيد لله.

4. أحاديث النبي المتعلقة بقيادته للمجتمع في حال السلم والحرب.

وهي ظرفية وعلاجية وسياسية، يُدرس المقصد منها والحكمة للمعرفة المنهجية التي كان النبي يتوخاها ويسير عليها.

5. أحاديث للنبي المتعلقة بحياته المعيشية مع الناس وزوجاته والأولاد، وهي تمثل الجانب الإنساني البشري له.

6. أحاديث النبي المتعلقة بالتشريع وهي تفاعله واختيار أحسن صورة للتطبيق

تناسب زمانه وتحل المشكلة ﴿**وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ [الزمر: 55].

7. أحاديث متعلقة بالنبوءات وهي خاصة لزمانه، ولا تؤخذ حجة أبدًا على شيء، وعندما تصح في الواقع نتكلم بها وهي غير متعلقة بالدِّين ولا علاقة لها بالإيمان أو الكفر.

8. أحاديث متعلقة بالطب والصحة العامة هي من السقف المعرفي العلمي السائد في قومه أو المجتمعات المجاورة.

9. ما كان وحيًا من الأنواع السابقة هو شيء لا علاقة له بالدِّين ولا بالإيمان أو الكفر، وكل هذه الأحاديث هي ظنية الثبوت.

والنبي في هذا المقام يتصرف كبشر وإنسان وهو غير معصوم عن شيء إلا بإيمانه وعلمه وتقواه.

ومفهوم الأسوة أن نتبع منهجية النبي وحكمته ونتعامل مع القرءان والواقع كما تعامل هو منهجيًّا وليس عين فعله وفهمه، ونفرق بين هذه الأمور ونعطي كل ذي حق حقه.

وكما تلاحظون دراسة مادة الحديث هو عمل مضني بسبب التحريف والضياع وبسبب عامل الزمن غير أنها غير ملزمة لنا ولا مصدرًا ولا مرجعًا دينيًّا، وإنما هي مصدر تاريخي ليس إلا، فلماذا نترك المنبع والأصل الذي استقى النبي منه ونجري خلف السواقي والفروع التي أصابها الشوائب الكثيرة ونحاول أن نصفيها ونجعلها عذبة ولا يصح منها إلا اليسير وهو محل اختلاف عند الناس ولا يقبلوه لأنه كلام بشر في النهاية.

والاتباع للرسول وليس للنبي وذلك متمثل باتِّباع الرسالة؛ لأنها الأصل المعني من بعث النبي.

كتاب الله أولًا وثانيًا وثالثًا....ومليونًا، هو الأصل والنبع والمرجع والحكمة والمنهج وهو محل التكليف والمحاسبة والمسؤولية وهو الذكر المحفوظ وهو حبل الله المتين.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقرءان غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: 15].

توفِّي النبي محمد الخاتمي وجزاه الله عنا كل خير.

﴿مَّاكَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 40].

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144].

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30].

﴿وَمَاجَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: 34].

حديث الرسول هو القرءان ذاته

أما بالنسبة لحديث الرسول كشخص فهو مادة غير موجودة، وما ينبغي أن يكون له حديثًا كرسول، وإنما هو مبلغ لحديث الله.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنونَ﴾ [الجاثية: 6].

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6].

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: 44].

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 185].

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111].

كلمة (الحديث) في كل النصوص يقصد بها الخطاب الإلهي الذي أوحاه إلى رسوله المجموع بين دفتي المصحف، ولا علاقة لها بحديث النبي قط، ولو حَدَّثَ من عنده، ونسب ذلك إلى الله لتم إعدامه فورًا.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ﴾ [الحاقة: 44-46].

فمادة الحديث النبوي حصرًا مرتبطة بمقام النبوة دون مقام الرسالة، أما حديث الرسول فهو حديث الله ذاته القرءان ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 23].

نقاش مجموعة من النصوص القرءانية

وحان الوقت الآن لعرض مجموعة من الآيات المتعلقة بموضوعنا، وأظن أن كثيرًا من الأخوة القراء قد عرضت لهم في أذهانهم أثناء القراءة، وبإلحاح شديد، ولكن قبل ذلك ينبغي استصحاب الفرق بين النبي، والرسول، لأن الخطاب القرءاني يفرق بينهما، وهذا التفريق كان نتيجة الفرق الواقعي بينهما من كون **مقام النبوة خاص شخصي مرتبط بالزمكان، ومقام الرسول عام لارتباطه بالرسالة.**

والمجتمعات اللاحقة ملزمة بالرسالة، وليس بالنبوة، لانتفائها وموت صاحبها.

إن دراسة النص القرءاني لا تكون من خلال اقتطاع جملة أو جزء من نص كامل، وبناء المفهوم على ذلك نحو جملة ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ**﴾ [الماعون: 4]، وجملة﴿**فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم**﴾ [النساء: 3]، وجملة ﴿**وَاهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ**﴾ [النساء: 34]، **بل لا بُدَّ من قراءة النص كاملًا ضمن سياقه، وربطه مع منظومته التي ينتمي إليها، ومن ثم القيام بعملية الترتيب الأولوي للنصوص للوصول للمقصد والحكم.**

مفهوم أطيعوا اللّه والرسول

بداية ينبغي أن نعلم أن المفهوم الأصولي والإيماني لا يؤخذ من أهداب نص واحد بمعزل عن المنظومة التي ينتمي إليها ناهيك عن بناء مفهوم من لفظة واحدة، فهذا عمل عشوائي غوغائي يمكن أن نصل منه لمفاهيم مضحكة ومخالفة للقرءان ذاته مثل من يأخذ فقط (**فويل للمصلين**) أو (**لا تقربوا الصلاة**) أو (**لا إله**)، فنصف الكلام لا جواب له ولو كان كلام الله.

وأريد من القارئ أن يكون حرًّا في تفكيره ولا يطلب أدلة على البداهة والأمور المسلم بها منطقيًّا، وليشاركني في الفهم والتدبر ويسير معي بوعي وبينة؛ لأني لن أدخل بالتفاصيل كثيرًا وسوف أعتمد على ذكاء ونباهة القارئ ومعلوماته.

وقبل البدء في دراسة مفهوم طاعة الرسول لابُدَّ من تعريف وضبط لمفاهيم مهمة في بحثنا تساعدنا كثيرًا، وقد مرت دراستها، وسوف نستعرضها بسرعة لتذكير القارئ بها لاستخدامها في تدبر نصوص الطاعة للرسول، والتكرار للفكرة وعرضها بأسلوب آخر يرسخ الفكرة والفهم ويقربها لذهن القارئ.

أولًا: مفهوم كلمة الرسول لسانًا من رسل وتدل على من يحمل الرسالة سواء أكان كائنًا بشريًّا أم ملكًا أم وسيلة غير عاقلة تحمل الرسالة وتصير هذه الوسيلة هي الرسول ذاته كونها صارت حامل ومحمول، مثل القرءان ذاته فهو رسالة ورسول كونه يحمل رسالته بذاته بعد أن انفصل عنه الرسول الملكي والرسول البشري، وهذا قد أوضحناه فيما سبق.

﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: 80]، كلمة الرسول في النص يقصد بها الرسالة وهي رسول مستمر للناس بدلالة فعل المضارع (يطع) الذي يفيد الحصول والاستمرار للفعل.

ثانيًا: وظيفة الرسول البشري الذي تمثل في شخص النبي محمد حددها القرءان بأمور ثلاثة:

أ- تلاوة ما نزل إليه للناس.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَ القرءان فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ المُنذِرِينَ﴾ [النمل: 92].

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالدين إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 151].

ب- تبليغ ما نزل إليه للناس.

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسولِ إِلَّا البَلَاغُ المُبِينُ﴾ [العنكبوت: 18].

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 6].

د- تبيين ما نزل إليه للناس، وهذا التبيين بمعنى الإظهار وعدم كتم ما نزل عليه.

﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 187].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 43-44].

وهذا التبيين قد ذكرنا أنه إظهار الكتاب للناس،خاصة أهل الكتاب ليعدلوا كتبهم على موجبه ويعلمون موضع النسخ والتحريف الذي أصاب كتبهم.

هذه الأفعال الثلاثة (التلاوة، والبلاغ، والتبيين) المكلف بها الرسول البشري الذي نزل عليه الرسالة، وليس من بينها صلاحية التشريع مع الله قط، فالرسول مبلغ وليس مشرعًا.

ثالثًا: الرسول البشري نفسه مأمور باتِّباع ما نزل إليه.

﴿قلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمشْرِكِينَ﴾ [فصلت: 6].

﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 50].

رابعًا: الرسول محمد نفسه مأمور باتِّباع ملة النبي إبراهيم.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 123].

خامسًا: الرسول يدعو الناس لعبادة الله وطاعته وليس لعبادة أي كائن أو طاعته لا نبي ولا ملك.

﴿قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 95].

﴿قلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ المشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79].

سادسًا: الاتِّباع للرسول هو اتِّباع لما نزل إليه وليس اتِّباع لشخصه.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170].

﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 3].

﴿فَالَّذِينَ آمَنواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

سابعًا: يؤخذ مفاهيم ومعاني كلمات القرءان من القرءان وفق اللسان العربي المبين الذي نزل به فهو حجة وبرهان على كلام الناس واستخدامهم وما شاع بينهم أو ما وضعوا من قواميس وليس العكس، فكلمة السنة أتت في القرءان بمعنى الطريقة الثابتة المستمرة، وفي اللسان العربي هي الطريقة العملية الثابتة، اقرؤوا:

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: 23]، فسنة الله هي أمر سنني وليس قولًا أو حديثًا، وهي بمعنى القانون الثابت الذي يستخدم في خلق الأشياء أو تسييرها.

هذا مفهوم السنة ولا قيمة لأي اصطلاح وضعي خلاف ذلك وليس ملزمًا لنا، وما ينبغي أن نستخدمه في الدراسة القرءانية على أساس أنه أمر مسلم به، والقرءان بلسانه العربي المبين الذي نزل به هو الحجة والبرهان.

فما ينبغي أن نقول: إن السنة هي أقوال وأفعال وإقرار النبي وما همَّ به وصفاته الخَلقية والخُلقية وغزواته وما شابه ذلك، وما تركوا شيئًا إلا وألحقوه بالسنة حتى حال بوله وبرازه ونومه وأكله وزواجه...إلخ.

ولم ترد كلمة السنة مضافة للنبي أو الرسول أو محمد في القرءان البتة، فالسنة في القرءان هي سنة الله خلقًا في عالم الآفاق والأنفس.

وكذلك كلمة الحديث وهي تدل على الحداثة في الشيء قولًا أو فعلًا، ولم تأت كلمة الحديث في القرءان مضافة للنبي أو الرسول أو محمد، وإنما أتت مضافة لله وتعني القرءان ذاته

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: 6].

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6].

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 23].

ومن خلال ذلك نصل إلى أن القرءان لم يعط أي قيمة علمية أو دينية لما يُسَمَّى اصطلاحًا سنة النبي أو حديثه عند الناس، والسنة والحديث في القرءان هما لله فقط.

وبالتالي لا قيمة للمصطلح الشائع بين الناس سنة للنبي عملية وسنة قولية، فالسنة

لا تكون إلا عملية حصرًا، ولا يوجد سنة نبوية تكون مصدرًا للدين أو التشريع، فهذا ينقض القرءان أساسًا غير أن السنة كمفهوم لاعلاقة لها بمفهوم التشريع حرام وحلال وواجب فهي مجرد طريقة ثابتة كفعل، وعلى افتراض ثبوت الفعل ذلك عن النبي تتابعًا في الأمة فهي ليست مصدرًا دينيًّا وطبيعي ليست مصدرًا تشريعيًّا، والفعل ليس ملزمًا لأحد ولا يكون محل اتباع إلا إن تعلق بحكم شعائري تعبدي ثبت بالقرءان.

ثامنًا: حدد القرءان وظيفة النبي مع قومه بمجموعة أفعال وهي:

أ- التزكية والتعليم لهم.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: 2].

لاحظوا وظيفة الرسول التلاوة، وعندما يفرغ من التلاوة يقوم بفعل التزكية والتعليم كنبي، وهذا فعل يتعلق بشخصه وحضوره.

ب- الدعوة والجدال في الفكر لتبيين الحق ودحض الباطل وإزالة الشبهات.

﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

د- الإنذار والتبشير.

﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 19]. واستمر فعل التبشير والإنذار بالرسالة

تاسعًا: مقام الرسول البشري كحامل للرسالة ومقام النبي كلاهما متعلقان

بشخص النبي ككائن بشري، ولا يمكن أن ينفصلا عنه وظيفيًّا، وفي حال توفِّي يقف فاعلية المقامين، ولا يمكن أن يستمرا دون حياة النبي وبمعزل عنه.

عاشرًا: النبي محمد كائن بشري مثله مثل سائر الناس، وقد توفِّي وخرج من الدنيا وانقطعت علاقته مع الحياة الدنيا.

﴿قلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمشْرِكِينَ﴾ [فصلت: 6].

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30].

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: 34].

أحد عشر: تعهد الله بحفظ ما أنزل على رسوله للناس، ولم يتعهد بحفظ شيء غيره.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

تم حفظ الذكر الحكيم كمبنى في الأمة، وتتابع ذلك في ذاكرتهم الحفظية وتلاوته في صلاتهم﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 49].

وتم الحفظ أيضًا لمفاهيمه ومعانيه في ثنايا المبنى المرتبطة بالواقع كآفاق وأنفس، ولذلك نزل بلسان عربي مبين يدرس وفق منهج حنيف على محور الثابت والمتغير والمقاصد والمنافع، ويصَحِّح فهم المجتمعات كلما أخطئوا وابتعدوا عن القرءان.

بينما الواقع يشهد أن أحاديث النبي تعرضت للاندثار والتحريف والكذب والافتراء بسبب عوامل كثيرة أهمها عامل السياسة وشرعتنها وإعطائها مفهوم ديني مقدس، وظهر على أثر ذلك مفهوم العصمة والإمامة وعدالة الصحابة وتعدد

المصادر الدِّينية التشريعية، وهذا غير الدس لمفاهيم إيمانية في القرءان من باب التأويل والتدبر مثل مفهوم المهدي ونزول المسيح أو شبيهه واخترعوا أحاديث لذلك...إلخ.

فهل برأيكم يمكن أن يعلق الله فهم دينه وكتابه بقول أو حديث بشر لم يتعهد هو بحفظه؟

ثبت لدينا إلى الآن أن الرسول البشري والنبي ليس من وظيفتهما التشريع مع الله ومشاركته بذلك.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: 57]، بل؛ عاتب الله النبي عندما حرم على نفسه شيء أحله الله له، وليس على الناس ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: 1]، ونهى المؤمنين عن تحريم الطيبات على أنفسهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: 87].

فالرسول مبلغ وتالي لكتاب الله وليس مؤلفًا له، وهو متبع لما أنزل الله إليه وليس مشرعًا، والنبي داعية ومعلم ونذير وبشير لقومه، وكلا المقامين متعلقين بشخص النبي محمد، وبعد كمال الدِّين في كتاب الله انفصلت الرسالة عن الرسول البشري ليصير كتاب الله هو الرسول المستمر للناس، وتوفِّي النبي محمد وتوقفت علاقته مع الناس، ليصير رسالة الإسلام الممثلة بكتاب الله للناس جميعًا، ونبوة محمد لقومه.

هذه المفاهيم التي ذكرتها ينبغي استحضارها أثناء دراسة مفهوم طاعة الرسول.

مفهوم الطاعة كأمر يتعلق بكائن حي حتى يعلم الواقعة ويعلم حكمها وينطق بالحكم ويشرف على تطبيقه، وهذا أمر بديهي، ولذلك أتى الأمر بطاعة الله وهو حي لا يموت، وأتى الأمر بطاعة أولي الأمر منكم وهم الأحياء المشرفون على زمام أمور

المجتمع والقائمون بأمره بالعدل والرشد، وليس الأموات، فالميت لا يمكن أن يكون محل طاعة، وهذا غير مفهوم تنفيذ الوصية للميت فهي من باب الاتِّباع لرغبته وتنفيذ أمره فيما وصى به، ولا علاقة للميت في غير ذلك من شؤون الحي وما يظهر معه من مشكلات أو أحداث، ولذلك لم يأت أيضًا الأمر بطاعة النبي إبراهيم وهو إمام النبيين والناس جميعًا، وإنما أتى أمر باتِّباع ملته، حتى أن الأمر بالاتِّباع أتى للنبي محمد نفسه، لذلك لم تأت صيغة الطاعة في القرءان متعلقة بكلمة نبي أو اسم شخص بعينه مثل (أطيعوا النبي) أو (أطيعوا محمدًا).

وهذا يدل على أن كلام الناس - والنبيون منهم- وأوامرهم ليس حقًا بذاتها ولا برهانًا على شيء إلا إن اعتمدوا على كلام الله أو العلم أو المصلحة للناس، وحينئذ تكون طاعتهم ليس لشخصهم وأقوالهم ورأيهم وإنما طاعة لله أو العلم أو مصلحة الناس، وكل ذلك يكون ببرهان وعن بينة وبصيرة.

والاتِّباع غير الطاعة ﴿**وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي**﴾ [طه: 90]، فالاتِّباع للمنهج والطريق، والطاعة للأمر وهو متعلق بحياة الآمر.

يظهر سؤال منطقي مهم وهو هل أمر الله المؤمنين باتِّباع أو طاعة حديث النبي وقوله؟

ينبغي استحضار أن القرءان لم يرد فيه أمر باتِّباع النبي أو طاعته أو اتِّباع محمد أو طاعته بهذه الصيغة وإنما أتى ذكر كلمة الرسول.

أليس القاعدة تقول: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؟

فهل تعهد الله بحفظ حديث نبيه أو فهمه؟

هل من الحكمة ونفي الظلم عن الله أن يحاسبنا على فهم لم يحفظه لنا وتحرف في الواقع؟

إن قال أحدهم: نعم حديث النبي محفوظ، فقد اتهم الله بالكذب وإخلاف وعده؛ لأن الواقع يقول غير ذلك، ولا قيمة علمية لمن يذكر مقولة: إن الخطأ الجزئي في فكرة أو مصدر أو كتاب لا ينفي الصواب والفائدة فيما بقي منه، فهذا الكلام صواب على فعل البشر؛ لأن الأصل في فعلهم الخطأ والقصور، ولا يمنع ذلك من الفائدة من أعمالهم ولكن وفق البرهان والبينة فكلامهم ليس حجة بذاته ولا برهان.

ولكن المقولة غير صواب على المصدر الدِّيني الرباني؛ لأن أي خطأ فيه على مستوى المبنى أو المعنى مهما صغر كاف لنقضه وسحب الثقة منه ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرءان وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: 82]، على صعيد المبنى الصوتي والمعنى مع محل الخطاب من آفاق وأنفس.

ولذلك كان القرءان حجة بذاته لا يحتاج لمن يقول به، ونستدل به ولا نستدل عليه.

فهل حديث النبي حجة بذاته كمبنى ومعنى وقائم وحده أم هو ظني كمبنى وكمعنى ويحتاج لغيره ليقوم صحة وهو تابع وليس متبوعًا ولا إمامًا مثل القرءان؟

والدِّين قد كمل نزولًا في كتاب الله فصار هو الجامع والمكمل لما سبق، وقد حوى بين دفتيه شرع الله وحفظه ولا يوجد دين خارجه، فمفاهيم الإيمان هي ما أتت في القرءان، والحرام والحلال والواجب ما نزل بالقرءان وفق نظام منطقي تشريعي معروف لدى الباحث بالقرءان، وعلى سبيل المثال وليس الحصر قاعدة: (**الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما ورد النص القرءاني به أو ما دل عليه النص استنباطًا قطعيًّا، والحرام مقيد بالنص أو استنباطًا قطعيًّا منه، والحلال مطلق، ولا نطبق المباح إلا منظمًا من قبل المجتمع**).

هذه القاعدة هي من أهم قواعد الأصول التشريعية، التي على موجبها تم تحريم النكاح من جدة الزوجة استنباطًا من كلمة (وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ) وذلك لعموم دلالة

كلمة أمهات والفرق بينها وبين كلمة الوالدات، وكلمة أم تشمل الجدة وكل ما علا من الأصول، وتم فهم تحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير (البهائم اللاحمة) من نص تحريم الدم، ونص (أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ).

وكذلك تحريم الجمع بالنكاح بين المرأة ومحارمها (خالة وعمة) مؤقتًا فهمًا من نص (وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ) [رغم أن لي رأيًا آخر وهو التحريم المؤبد[1] وليس المؤقت وليس هذا مكان بسطه ونقاشه]، فهذه الأمور لم تحرم بالحديث النبوي، وإنما بالقرءان وفق فهم واستنباط قطعي للنصوص يقوم على المقاصد والعلل، ولا يؤثر على الفهم هذا رفض قوم للحديث النبوي أو ضعفه أو صحته عند آخرين، فلا يتغير الحكم لثبوته بالقرءان ولكن يحتاج لمن يستنبطه ويعلمه.

وقد يقول قائل: (وهو قد انتظر كثيرًا حتى نذكر ذلك) وكيف وصلت الصلاة لنا وعدد ركعاتها أليس من الحديث النبوي؟

والجواب باختصار: هل تعلمت حضرتك الصلاة من الأحاديث؟ بمعنى هل قمت بقراءة كتب الحديث أنت وأبوك؟ كيف كان يصلي رواة الحديث والجامعون له مثل البخاري ومسلم قبل جمعهم للأحاديث؟ كيف كان المسلمون يصلون قبل تدوين الأحاديث وجمعها؟

الصلاة نزل حكمها بالقرءان وهيئتها العامة وأركان ما اصطلح على تسميتها بالركعة (قيام وركوع وسجود) وأوقاتها، وأتى التفصيل العملي بما سوف نصطلح عليه بالسنة الرسالية وهي تطبيق الرسول لأمر قرءاني ذو هيئة عملية ثابتة لا تخضع للتطور وهي متعلقة بالشعائر التعبدية فقط (الصلاة والحج)، وتتابع ذلك في مجتمعه بحضرته باستمرار دون انقطاع للمجتمع اللاحق، وصارت ظاهرة سلوكية اجتماعية متتابعة في الأمة تجاوزت السند والعنعنة.

---

1 راجع كتابي « القرءان من الهجر إلى التفعيل»

وما أتى في داخل الصلاة من أذكار وأدعية عن طريق الأحاديث هي اختيار نبوي تأول القرءان بها، مثل عندما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾ [الواقعة: 96]، قال: اجعلوها في ركوعكم، وعندما نزل قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1]، قال: اجعلوها في سجودكم، ولك أن تلتزم بذلك وهو الأولى، ولك أن تعمل مثله وعلى نمطه من القرءان لا مانع من ذلك.

فأين المصدر التشريعي بما اصطلحنا عليه السنة الرسالية المتتابعة المتعلقة بالشعيرة التعبدية؟ هل بدأت تشريع حكم واجب أو حرمت شيء؟

وسواء أكانت السنة الرسالية فهم وتفاعل النبي مع القرءان واستنباط منه أم وحي عملي تعليمي نزل خارج القرءان فالنتيجة واحدة ولا يتغير شيئًا من كون السنة الرسالية ليست مصدرًا دينيًّا تشريعيًّا وإنما هي طريقة عملية تعبدية فقط تابعة للمصدر الدِّيني المتمثل بالكتاب الإلهي فقط.

الشافعي هو الذي رسخ
أن الحديث النبوي هو الحكمة

من أوائل من قال عن مفهوم الحكمة: هي السنة - بمعنى حديث النبي - هو الشافعي في كتابه الرسالة، وبقوله هذا ضل وأضل معه غالب الأمة بصرف النظر بقصد أو دونه فنحن ليس بصدد محاكمة شخصه، والحكمة في القرءان من الحكم وهي تدل على المنع ومنه قولنا: نص محكم، أي: غير ملتبس الفهم ولا هو احتمالي، لنر كيف أتى استخدام كلمة الحكمة في القرءان.

الحكمة التي نزلت على النبيين وحي وهي جزء من الكتاب الإلهي وليس خارجه، فهي ليس حديث النبي ولا قوله ولا سنته.

﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 231].

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مُّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاُّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113].

مفهوم الحكمة في القرءان

وبعد دراسة مفهوم الحكمة في القرءان وجدنا أنها أتت على صنفين:

الأول: الحكمة هي وصف لآيات ونصوص متعلقة بالتشريع والتوجيه والتعليمات.

انظر سورة الإسراء من نص ﴿**لاَّ تَجْعَل مَعَ اللّهِ إِلَـهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا**﴾ [الإسراء: 22]، إلى نص ﴿**ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا**﴾ [الإسراء: 39].

الثاني: الحكمة بمعنى المنهج وقواعد التفكير والحكم والفهم، وأوتيت للنبيين ولغيرهم وهي قابلة للتعلم والدراسة والاكتساب.

﴿**يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ**﴾ [البقرة: 269].

﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل: 125].

﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾ [لقمان: 12].

فالحكمة بنوعيها التشريعي التعليمي والمنهجي كلاهما موجودين في القرءان وتعلمهم النبي من الكتاب، مع إمكانية تعلم الحكمة المنهجية لغير النبيين دراسة وتعليمًا وتدريبًا.

مفهوم الطاعة للرسول في القرءان شكَّل لَبس عند كثير من الباحثين عبر التاريخ الإسلامي، ودراسته على درجة من الصعوبة ويحتاج لفهم عميق وتدبر، وسوف نقوم بدراسته بصحبتك أيها القارئ النحرير، فهيئ ذهنك وقلبك للتفكر والتدبر، وقبل ذلك أريد أن أذكرك بمفاهيم المنظومة التي ذكرتها ليتم استخدامها واستصحابها في الدراسة.

مفاهيم المنظومة التي تحكم فهم
دراسة طاعة الرسول

1. لا يصح دراسة كلمة أو نص بمعزل عن المنظومة التي ينتمي إليها.
2. المنظومة والواقع يحكمان فهم دلالة الكلمة لسانيًّا، ويقدم مفهوم المنظومة والواقع على دلالة الكلمة لسانيًّا.
3. الطاعة لا تكون إلا لحي.
4. الاتِّباع يكون لمنهج وملة وليس لشخص أو حديثه ولا يهم حياته أو وفاته.
5. لم يرد في القرءان أمر الطاعة متعلق بكلمة النبي أو اسم محمد.
6. القرءان حجة بذاته في خطابه ومفاهيمه ولسانه الذي نزل به، ولا قيمة لأي مصطلح وضعي متعارف بين الناس في الدراسة القرءانية وليس هو حجة علمية وغير ملزم لأحد.
7. لم يرد ذكر كلمة السنة أو الحديث في القرءان مضافين للرسول أو للنبي أو لمحمد قط.
8. كلمة السنة والحديث في القرءان إنما هما سنة الله وحديثه.
9. دلالة كلمة الرسول بحد ذاتها تنفي التشريع وتدل على التبليغ والتلاوة فقط، الرسول مبلغ وتالٍ وليس مؤلفًا، وهو متبع وليس مشرعًا.

10. السنة لا تكون إلا طريقة عملية ثابتة، ولا علاقة لها بالأقوال والأحاديث.

11. السنة كطريقة عملية متتابعة في الأمة لا تحتاج إلى عنعنة وسند ورواة.

12. السنة الملزمة هي التي تعتمد على حكم قرءاني وليس على مجرد تتابعها تاريخيًّا في المجتمع.

13. تعهد الله بحفظ الذكر الذي أنزله فقط ولم يتعهد بحفظ فهم النبي أو قوله أو حديثه.

14. الكتاب الإلهي جمع وحوى كل التشريع الإلهي، ولم يترك لأحد من الخلق حق التشريع الإلهي معه للناس، وإنما أعطاهم حق التشريع الجزئي والتحرك ضمن حقل التشريع الإلهي وكلياته ومقاصده وحدوده تنظيمًا وتطورًا وإبداعًا ومنعًا وسماحًا وفق مصلحتهم والأنسب لهم.

15. لم يؤمر الرسول إلا بتبليغ ما نزل عليه من ربه وهو الذكر الحكيم، وبالتالي فقول النبي أو حديثه ليس من التبليغ الإلهي.

16. ينبغي أن نفرق بين حكم طبقه النبي تبليغًا لما نزل عليه من الذكر الحكيم مثل الصلاة والحج، وبين حكم أو فهم طبقه النبي سياسة من خلال تفاعله مع الكتاب الإلهي والواقع واختار ما هو أنسب لمجتمعه، فالأول من الدِّين ويسم هذا النوع بعض العلماء حكم تبليغي وهو ملزم، والثاني من أمور المعيشة والسياسة والحياة الدنيا، ولكل مجتمع حياته ودنياه وسياسته، ويسمونه حكم سياسي وهو غير ملزم.

17. الحكمة وحي وهي جزء من الكتاب وليس خارجه، ولا علاقة لها بسنة أو بحديث النبي ولا بغيره.

18. الحكمة المنهجية اكتسابية ويمكن أن يصل إليها الباحث دراسة وتدبرًا وتعليمًا.

19. النبي بشر وقد انتهى دوره الرسالي والدعوي والتعليمي بوفاته.

20. الدِّين مستمر بمعزل عن النبيين والرسل ويسير بقوة ربانية علمية كونية.

21. العلماء والدعاة الراشدين هم حملة الدِّين إيمانًا وطوعًا ودعوة وتعليمًا.

22. كلمة الرسول في القرءان لا تعني النبي محمدًا حصرًا أينما أتت.

23. كلمة الرسول يمكن أن تطلق على القرءان ذاته كونه يحمل الرسالة بعد وفاة الرسول البشري.

﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: 80].

مفهوم طاعة الرسول المتصلة والمنفصلة عن طاعة الله

عند التقصي، والبحث في النصوص القرءانية، اخترنا نصين يمكن أن يكونا محور، وقاعدة للبحث ويتم فهم كل النصوص على ضوء تدبرهما:

1- ﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 32].

2- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: 59].

وعلماء التفسير لم يفرقوا بين وجود فعل طاعة واحد مشترك لله والرسول في النص الأول، وتكرار فعل الطاعة وفصله للرسول، وعطف عليه أولي الأمر في النص الثاني، وأعطوا لمفهوم الطاعة للرسول في النصين معنى واحد.

وهذا العمل منهم خطأ فاحش، لأن أي زيادة في المبنى إنما هي زيادة في المعنى، ووجود هذه الكلمة مكررة دون معنى زائد، هو حشو، ولغو منزه عنه النص القرءاني.

إذن؛ ينبغي أن يكون اختلاف في المعنى بين الآيتين.

فلو قال قائل: سافر زيد وعمرو إلى دمشق.

نفهم من ذلك أن سفر زيد وعمرو مشترك مع بعضهما في وقت واحد.

بينما لو قال: سافر زيد وسافر عمرو إلى دمشق.

لفهمنا أن سفر كل منهما مستقل عن الآخر، ومنفصلين.

فنصل من خلال هذا الشرح إلى أن طاعة الرسول في القرءان هي نوعان:

الأول: طاعة متصلة بطاعة الله

﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 32].

الثاني: طاعة منفصلة عن طاعة الله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: 59].

والطاعة المتصلة هي طاعة في أصلها لله عز وجل، وذُكر الرسول معه متصلًا، لأن طاعة الله لا يمكن أن تتم إلا من خلال طاعة الرسول فيما يتلو علينا من أوامر الرب، نحو قوله تعالى: **﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالدين إِحْسَانًا..﴾** [الأنعام: 151]، ولاحظوا في بدء النص فعل الأمر (قل أطيعوا الله والرسول..) بمعنى صار النص على الشكل التالي: قل يا محمد للمؤمنين أطيعوا الله والرسول، فكلمة الرسول لا ترجع إلى شخص محمد فهو مأمور بالقول، والأمر بالطاعة يشمله هو نفسه كونه أول المؤمنين فيجب عليه طاعة الرسول الذي هو الرسالة ذاتها التي نزلت عليه، وهو قام بفعل تبليغها وتلاوتها وتبيينها في مقام الرسول.

وهذا يدل على أن طاعة الله والرسول متصلًا بفعل طاعة واحد هي تمثل دائرة الدِّين، بينما الطاعة المنفصلة أتت بعد فعل الطاعة لله عز وجل في أوامره الشرعية،

وهذا يدل على أن طاعة الرسول منفصلًا هو خارج دائرة الدِّين ضرورة، وعُطف عليه مباشرة أولي الأمر دون تكرار فعل الطاعة لهم، وذلك يدل على أن فعل الطاعة ذاته كمضمون مستمر من الرسول إلى أولي الأمر.

ولنعرف محل تعلق طاعة الرسول المنفصلة عن طاعة الله ندرس محل طاعة أولي الأمر كونهم معطوفين على الرسول والمعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه منطقيًّا، ودائرة طاعة أولي الأمر هي أمور المعيشة والحياة الدنيا تنظيمًا وسماحًا ومنعًا، وليس لهم حق التشريع الإلهي.

وهذا يدل على أن مادة الطاعة لهم غير متعلقة بالدِّين والتشريع من حرام وحلال وواجب، لأن ذلك داخل في فعل الطاعة لله الأول، وبذلك عرفنا أن طاعة الرسول يقصد بها دائرة المباح تنظيمًا ومنعًا وسماحًا، ولم يأت في النص قرينة تدل على أن دلالة كلمة (وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ) هو النبي محمد حصرًا.

أما كلمة الرسول الثانية في النص ذاته (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسولِ) فليس المقصد منها دلالة كلمة الرسول الأولى وإنما المقصد منها الرسول الذي هو القرءان، فيكون المعنى إن تنازعتم في شيء مع الرسول البشري ابتداء من النبي محمد ومن يقوم مقامه من الدعاة والعلماء طوعًا وإيمانًا وأولي الأمر منكم فردوه إلى الله، ويكون ذلك إيمانًا منكم به، وإلى الرسول تعني القرءان الذي بين أظهركم لذلك لم تذكر كلمة أولي الأمر مرة ثانية؛ لأنهم هم طرف بالنزاع.

إذن؛ طاعة الرسول وأولي الأمر في النص مشتركين بشيء واحد، ويقصد بها الدائرة التي هي خارج عن دائرة الدِّين، وليس هي إلا دائرة المباح، فتكون طاعة الرسول المنفصلة كنبي وقائد اجتماعي يأمر وينهى وينظم العلاقات ضمن دائرة المباح، وهذا مستمر من بعد النبي في كل رسول يقوم مقامه، وتم استخدام كلمة الرسول ليستمر المعنى زمانيًّا؛ لأن كلمة النبي متعلقة بشخصه وينتهي دورها بوفاته.

وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا

قال تعالى: ﴿**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسولِهِ مِنْ أَهْلِ القرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسولِ وَلِذِي القرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ**﴾ [الحشر: 7].

أولًا: لا يوجد سبب نزول حتى يحكم مفهوم النص، فهذا أمر مرفوض في التشريع القرءاني، وإنما يوجد ظروف ومناسبات له.

ثانيًا: العبرة بعموم النص وليس بخصوص الحدث المذكور أو ما يسموه السبب، وهذا كلام صواب ولكن ماذا يعني هذا الكلام؟

يعني هذا الكلام: أن مفهوم النص يحدده الحدث كتعلق، بمعنى أن الحدث الذي هو الفيء أمر إداري تنظيمي متعلق بالحركة وفق مجال المباح، وهذا من صلاحية الحاكم أو القائد بما يراه صوابًا، والنبي هو قائد وحاكم حينئذ فهو أول معني بالنص وحينما يتوفى يتوقف فعله هذا ضرورة واقعية لوفاته، ويتم سحب المفهوم هذا لمن يقوم محله من الحاكمين الذين يقومون مقامه إدارة وتنظيمًا في كل ما يتعلق بأمور المجتمع وحركته وتنظيمه إيتاء ونهيًا وليس الفيء حصرًا.

ولا علاقة للنص بالدِّين ولا بحجية الحديث النبوي قط.

وواضح من سياق النص أن فعل (**آتاكم، ونهاكم**) أمران متعلقان بتوزيع الفيء،

لذلك فسر العلماء فعل (آتاكم) بمعنى أعطاكم، فهو أمر سياسي اجتماعي من صلاحية الحاكم ضمن دائرة المباح، والنص يتفعل كمعنى كون العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص الحدث، فيفهم على كل ما يأمر به النبي في كل مجتمع مما يتعلق بتنظيم المباح منعًا أو سماحًا أو تقييدًا، ولكل مجتمع قياداته.

ومن الخطأ الفاحش اقتطاع جملة من النص وهي ﴿... **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسولُ فَخذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ**﴾ [الحشر: 7] **وبناء مفاهيم مسبقة عليها كما هو سائد في التراث الإسلامي، خاصة التيار السلفي. رغم أن هذه الجملة تدل على ما ذكرت سابقًا، لو عرفتم الفرق بين دلالة كلمة (أتى) وكلمة (جاء).**

فكلمة الرسول في النص يقصد بها مقام النبوة والقيادة والرئاسة، وليس مقام الرسالة كتبليغ وتلاوة لما أنزل الله والقرينة هي أن فعل الرسول في النص خارج عن وظائفه الثلاثة: (التلاوة والتبليغ والتبيين) وتعلقت بفعل النبي واستخدم الله مقام الرسول للخطاب ليتجاوز النبي محمد على كل قائد يأت بعده ويحل محله.

ويمكن أن يأتي الخطاب صريحًا مستخدمًا كلمة النبي في الخطاب المتعلق بشخصه أو بأوامر توجيهية وتعليمية له ليمارسها على المؤمنين، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التحريم: 1].

الخطاب المتعلق بالنبي للتوجيه والتعليم، لا للتشريع

إن كل خطاب موجه إلى النبي صراحة أو ضمنًا، هو خطاب تعليمي، وتوجيهي للأحسن والأفضل، والحل الأمثل للظرف الراهن، وليس تشريعًا.

أما الخطاب الذي يبدأ بفعل (**قل**) فينبغي معرفة المقصد من خلال فحوى النص، فإن كان النص متعلقًا بأحكام ويطلب تلاوتها أو تبليغها وتبيينها، نحو﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1].

فالمخاطب بفعل (**قل**) هو الرسول ومطلوب منه التلاوة والتبليغ والتبيين.

وإن كان فحوى النص توجيهي وتعليمي أو إخباري، نحو:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: 1]

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: 64]

فيكون المخاطب بفعل (**قل**) هو النبي بداية وكل من يحمل الدعوة بعده.

وإن جاء الخطاب مستخدمًا كلمة الرسول، فدلالة النص إن كانت متعلقة بأحكام، أو بطاعة متصلة مع طاعة الله، فيكون المقصود هو خطاب مقام الرسالة والمطلوب هو فعل التلاوة والتبليغ والتبيين.

أما إذا كان متعلقًا بتوجيهات، وتعليمات، أو تكرر بفعل طاعة مستقلة بعد فعل الطاعة لله، فالمقصد هو مقام النبوة.

نقاش مجموعة من الشبهات والتساؤلات

1. الأمر بطاعة الرسول المنفصل عن طاعة الله يدل على وجوب الأخذ بالسنة وحجيتها في الدِّين.

2. لا يعقل أن يستشهد الإنسان بقول أفلاطون وسقراط وغيرهم من العظماء، ولا يستشهد بقول النبي العظيم.

3. طالما أتى في النص كلمة الرسول فتعني تعلقها بالتشريع.

4. كون كلمة الرسول أتت منفصلة عن طاعة الله بفعل مستقل يدل على وجود أمور في الدِّين والتشريع يقول بها الرسول، وهي ليس تشريعًا مستقلًا عن القرءان؛ لأنه ثبت لدينا أنه لا مشرع إلا الله وحصل ذلك كله في كتابه العزيز، مما يعني أن هذه الطاعة متعلقة بفهم وتدبر النبي محمد لحكم شرعي يوسعه فهمًا واستنباطًا مثل تحريم جمع المرأة وخالتها أو عمتها في النكاح أو تحريم البهائم اللاحمة.

أنا أرى أن الرد على هذه النقاط حصل وانتهى من خلال قراءة مامضى، واستخدام ما عرضته من منظومة في الفهم والتدبر، ومع ذلك لنقم بنقد النقاط للتدريب على التحليل والنقاش. ولسهولة القراءة سوف أعيد نشر النقاط وأعلق تحتها.

1. الأمر بطاعة الرسول المنفصل عن طاعة الله يدل على وجوب الأخذ بالسنة وحجيتها في الدِّين.

ج. الملاحظ أن المتكلم يستخدم مفهوم السنة بالمعنى السطحي الشعبي السائد

فهو لا يفرق بين مفهوم السنة ومفهوم الحديث، ويقول بالسنة العملية والسنة القولية، وهذا الاستخدام لا قيمة له علميًّا ولا قرءانيًّا كما بيَّنا في الدراسة أعلاه، وفعل أطيعوا يتعلق بالأقوال والأحاديث، وليس بالفعل؛ مما يعني أنه لا علاقة له بمفهوم السنة قرءانيًّا ولسانيًّا كونها طريقة عملية ثابتة، وينبغي أن يحصر بحديث النبي فقط ويدرس على هذا النحو.

هل حديث النبي عند معظم علماء المسلمين العقلاء حجة في الدِّين وثابت بذاته أم هو فرع وتابع لغيره يقوم به؟

والجواب معروف من خلال كلامهم وتعاملهم مع الحديث النبوي تصحيحًا وتضعيفًا وردًا وقبولًا، فهم يرفضون أي حديث يخالف القرءان أو حديث يخالف العلم، وينفون عن حديث النبي صفة الاستقلال بالتشريع خارج القرءان بمعنى أن القرءان إن سكت عن حكم شيء، فهذا يعني: أنه مباح حسب الأصل التشريعي القرءاني (الأصل بالأشياء الإباحة إلا ماورد النص به أو ما دل عليه النص استنباطًا قطعيًّا).

ويأتي حديث منسوب للنبي ويحرم ما أباح الله، فهذا مردود عند معظم العلماء، ويعدون الرسول مبلغًا وليس مشرعًا، فما معنى كلامهم السابق (السنة حجة في الدِّين وهي ثابتة) ؟ ويستبدلون كلمة السنة بالحديث أثناء النقاش والتطبيق؟

2. لا يعقل أن يستشهد الإنسان بقول أفلاطون وسقراط وغيرهم من العظماء ولا يستشهد بقول النبي العظيم.

ج. هذا الكلام عاطفي وليس علميًّا ولا برهانًا على شيء فليس هو محل النقاش والاختلاف، فنحن لا ننكر ثبوت قسم كبير من الأحاديث عن النبي وفق منهج قرءاني وعلمي، ولا مانع من الاستشهاد بها في أماكن أو مواضع كثيرة على سبيل الحكمة والتربية، ولكن ننفي قطعًا أن تكون مصدرًا تشريعيًّا مستقلًا أو برهانًا بحد

ذاتها، وهذا المفهوم ينفيه عمومًا العلماء كما ذكرت آنفًا، وصار موضوع الاستشهاد بالحديث النبوي أمر شخصي لا نلزم أحد به ولا ننكر على من لا يستشهد به.

فمادة الحديث النبوي مادة تاريخية معتبرة في تراثنا للباحثين والدارسين وليس للناس، وما صح منها وفق منهج علمي قرءاني هي تفاعل النبي مع القرءان والواقع واختيار الأحسن له وهي من مقام النبوة وليس من مقام الرسول التبليغي.

3. طالما أتى في النص (وما آتاكم الرسول فخذوه) كلمة الرسول فتعني تعلقها بالتشريع حسب دلالة كلمة الرسول.

ج. أكيد كلمة الرسول تعني يوجد كائن يحمل رسالة، والنص لم يذكر أن الرسول هو النبي محمد نفسه، ولفهم دلالة كلمة الرسول في النص ينبغي استحضار المنظومة وما ثبت لدينا لنفهم الدلالة على موجبها؛ لأن النص وحده لا يبني مفهومًا إيمانيًّا أو أصوليًّا.

المفهوم الثابت عند الطرفين هو: إن الرسول مبلغ وليس مشرعًا، وهذا يعني أن طاعة الرسول البشري المستقلة قطعًا لا يوجد فيها تشريع لاحق للقرءان واستدراك عليه، وقد بينا سابقًا أن طاعة الرسول المستقلة بهذا النص كونها معطوف عليها أولي الأمر أخذت مفهوم تعلق الطاعة ذاته من منطلق أن المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه.

فإذا لم نعرف تحديد حكم المعطوف عليه ندرس حكم المعطوف وما نصل إليه نسحبه للمعطوف عليه، ونحن عرفنا أن المعطوف له صفة الطاعة خارج حقل ومجال الدِّين، ويكون في دائرة المباح تنظيمًا ومنعًا وسماحًا.

وهذا يعني أن طاعة الرسول المعطوف عليه له الحكم ذاته خارج دائرة الدِّين وليس هو إلا الأئمة والعلماء والدعاة والمربون كونهم رسل يحملون رسالة الله إيمانًا بها وتعليمًا ودعوة وتزكية ابتداء من المعلم الأول النبي محمد، وبعد وفاته يستمر ذلك

الأمر بالطاعة لمن بعده من حملة الرسالة، وهذا المفهوم يفرضه المنظومة وهي أقوى من عزل كلمة من سياقها وفهمها وحدها وبناء مفهوم عليها يناقض المنظومة.

4. كون كلمة الرسول أتت منفصلة عن طاعة الله بفعل مستقل يدل على وجود أمور في الدِّين والتشريع يقول بها الرسول وهي ليس تشريعًا مستقلًا عن القرءان؛ لأنه ثبت لدينا أنه لا مشرع إلا الله وحصل ذلك كله في كتابه العزيز، مما يعني أن هذه الطاعة متعلقة بفهم وتدبر النبي محمد لحكم شرعي يوسعه فهمًا واستنباطًا مثل تحريم جمع المرأة وخالتها أو عمتها في النكاح أو تحريم البهائم اللاحمة.

ج. قاعدة إن الرسول مبلغ وليس مشرعًا ونفي عن النبي أي استدراك على القرءان أو استقلال بتشريع، والقول: إن كلمة (طاعة الرسول المستقلة) هي فهم وتدبر توسعي في بعد وعمق النص القرءاني، وليس إضافة له.

فالمعنى كامن في النص والنبي استنبطه، فهذا كلام صواب وصحيح ونحن نقول به ولا نرفضه، ولكن القول: وهذا الفهم والتدبر هو من التشريع وتابع له، بمعنى أنه محفوظ مع النص القرءاني، وهذا لازم لقوله وإلا لا قيمة لكلامه قط، والواقع المعروف للعلماء قبل غيرهم أن الحديث النبوي ليس محفوظًا والواقع برهان على هذا ولا يكابر إلا جاهل.

ولو كان كلامهم صوابًا لوجب على الله أن يحفظ فهم النبي وتدبره لنا؛ لأن الحكمة الإلهية تقتضي ذلك، فالحساب على شيء يقتضي حفظه لنا وإلا صار الله ظالمًا يحاسب الناس على شيء لم يحفظه لهم، فتدبر النبي وفهمه ليس من الذكر الحكيم وليس هو محفوظًا ولا يُسَمَّى سنة، ولا يوجد أي نص قرءاني يدل صراحة على وجوب طاعة حديث النبي كما يعلمون أنفسهم بذلك.

وعندما ناقش بعضهم نصوص القرءان ونفى عنها الدلالة على وجوب مصدر الحديث النبوي واختاروا هذا النص فقط ظنًا منهم أنه أقوى نص يدل على ذلك،

ومع ذلك صرفوا معناه من المصدر التشريعي إلى المصدر التعليمي والتوجيهي عندما حصروا الطاعة المستقلة بتدبر النبي وفهمه، وناوروا بذلك ليثبتوا مفهوم السنة باستخدام مفهوم الحديث وخلطوا بينهما خلطًا عجيبًا، ورغم نفيهم لثبوت الحديث علميًّا، وعده آحاد بمعنى الظن الذي لا يصلح للبرهنة وبناء أي مفهوم إيماني أو حكم شرعي، إلاَّ أنهم قالوا بشرط قوة الحديث وارتقائه إلى درجة العزيز (بمعنى أن السند يكون عن أكثر من اثنين في كل درجة) لعلمهم بنفي التواتر عن الحديث أصلاً أو ندرته.

والسؤال لهؤلاء:

هل فهم النبي وتدبره من الذكر الحكيم وتعهد الله بحفظه؟

هل ربط الله فهم كتابه حصرًا بفهم شخص معين ولو كان النبي محمد؟

هل فهم النبي محمد لنص معين وحي أم استنباط واجتهاد منه؟

أليس المعنى والمقصد التشريعي كامن في النص الإلهي، وبالتالي يمكن لعالم وباحث أن يصل إليه؟

هل يستطيعون أن يثبتوا لنا الأحاديث التي رويت عن النبي كفهم وتدبر للنص القرءاني بشكل قطعي الثبوت وباللفظ الذي قاله النبي نفسه؟

كيف نعلم أن هذا الحديث المنسوب للنبي كتدبر وفهم لنص قرءاني أنه قد أصاب بفهمه وهو المقصد الإلهي؟

والجواب معروف وهو العودة للقرءان فهو الميزان والحكم والمعيار لأي حديث ينسب للنبي، وهذا يعني هدم كل قولهم وشبهاتهم بأن الحديث النبوي مصدر تشريعي تحت اسم السنة تدليسًا منهم.

إذن؛ استطعنا أن نصل إلى التفريق في الخطابات الإلهية المتعلقة بالرسول، والنبي،

وذلك من خلال إقامة جدول نقسمه إلى قسمين، ونضع عنوان للأول الطاعة المتصلة، ونكتب تحته مقام الرسالة.

والثاني: الطاعة المنفصلة، ونكتب تحته مقام النبوة وأولي الأمر.

ونستعرض آيات الكتاب الإلهي المتعلقة بطاعة الرسول، ونصنفها حسب الجدول كل واحدة حسب محتوى النص.

طاعة متصلة (مقام الرسالة)	طاعة منفصلة (مقام النبوة وأولي الأمر)
(**أطيعوا** الله والرسول) (ويسألونك عن الأنفال قل..) (ويسألونك عن المحيض قل..) (من يطع الرسول فقد أطاع الله)	(**أطيعوا** الله و**أطيعوا** الرسول وأولي الأمر منكم) (قل هو الله أحد) (وما آتاكم الرسول فخذوه..) (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك)

هل يوجد وحي تشريعي مُلزم خارج القرءان

سأناقش أهم ثلاث شبهات؛ يعرضها أهل الإسناد والعنعنة في الاستدلال على أن حديث النبي هو وحي من الله، وملزم لكل المجتمعات خلال الزمن.

الشبهة الأولى:

استدلالهم على نزول الأمر الإلهي باستقبال جهة الشمال في الصلاة خارج النص القرءاني، وذلك فهمًا من قوله تعالى: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: 144].

وتم نسخ هذا الحكم بالقرءان فيما بعد، وقالوا: هذا دليل على أن النبي كان يوحى إليه أحكامًا شرعية خارج النص القرءاني، ما يدل على أن التشريع الإلهي نزل بصورتين: أحدها في القرءان وهي الأساس، والثانية بواسطة الحديث النبوي، وبالتالي فحديث النبي وحي من الله ملزم لكل المجتمعات خلال الزمن.

والجواب على هذه الشبهة هو، أولًا، ينبغي أن نضبط محل النقاش، والحوار، فنحن لم ننفِ نزول وحي على النبي خارج النص القرءاني، وإلا كيف صار نبيًّا وكلف بهذا المقام العظيم، وإنما ننفي نزول وحي تشريعي إنساني دائم خارج النص القرءاني، فهل يصح أن يلتزم أحد الآن باستقبال جهة الشمال في صلاته ؟

ولأن الله لم يرد لهذا الحكم صفة الديمومة والثبات؛ أنزله خارج النص القرءاني، وأنزل نَسخَه بالنص القرءاني ليعطي للحكم الجديد صفة الثبات والديمومة، ما يؤكد أن كل حكم شرعي دائم ينبغي أن ينزل في القرءان فقط، وما نزل في القرءان لا يصيبه النسخ أبدًا، أما التشريع الإلهي الظرفي فقد نزل على النبي خارج النص القرءاني؛ لأنه خاص بمعطيات وحيثيات معينة مرتبطة بزمن النبي، ولا يصح الالتزام به بعد اكتمال نزول القرءان، وبالتالي فالقرءان قاضٍ على الحديث النبوي، وحاكم ومهيمن عليه.

ونحن لا ننفي نزول وحي خارج القرءان ولكنه غير ملزم لنا، فالنبي صار نبيًّا بتكليف من الله بواسطة الوحي، وبقي الوحي ينزل على النبي بالتأييد والتوفيق والتعليم والتوجيه والعناية وما يلزمه من أمور متعلقة بمهمته كنبي، ومن الأمثلة على الوحي الذي نزل خارج القرءان وهو خاص للنبي قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: 3]، **فالإظهار لحدث** نبأ نسائه نزل خارج القرءان وهو خاص للنبي وليس تشريعًا للأمة، وكذلك نزل أمر من الله بزواج النبي محمد من زينب خارج القرءان **﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾** [الأحزاب: 37]، وبعد حصول الحدث نزل القرءان يقص الحدث ويعاتب النبي لتأخير الزواج من زينب من خلال منع زيد من طلاقها.

فهذا الوحي خارج القرءان ليس تشريعًا للأمة، وإنما هو وحي للنبي أو لقومه خاص بهم لا يتجاوزهم للمجتمع اللاحق، وهذا يعني أن ليس كل وحي خارج

القرءان هو ملزم للأمة ليوم الدِّين، وإنما الوحي الملزم هو وحي القرءان فقط لذلك حفظه الله للناس.

الشبهة الثانية: هل كل نطق النبي وحي؟

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3-4] على أن كل ما ينطقه النبي هو وحي من الله.

لفهم النص ينبغي إرجاعه إلى مكانه ضمن سياقه الذي أتى فيه، والتفريق بين كل من (اللفظ، والقول، والحديث، والكلام، والنطق).

اللفظ: هو خروج أصوات من الفم لا معنى لها نحو التأوه والأنين..

القول: هو لفظ ذو معنى ودلالة يخرج من الإنسان ويدل على حاله.

الحديث: هو قول جديد.

الكلام: هو قول يترك أثرًا في سامعه.

النطق: كلمة تدل على القوة الكامنة في الإنسان فيزيولوجيًّا ونفسيًّا لاستصدار مجموعة من الأصوات بقانون فيزيائي ضمن نظام معلوماتي معين. ولذلك سُمِّي الإنسان حيوانًا ناطقًا.

والإنسان محاسب على أقواله، وليس على ألفاظه ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18].

إذن؛ النطق هو عملية آلية واعية يتم استخدامه في الكلام والحديث والقول.

والنص القرءاني المعني بالشرح، يتكلم عن مادة الوحي، التي يتلوها الرسول على الناس، وليست هي إلاَّ القرءان، وهذا واضح من سياق النص مع النصوص

الأخرى، فالرسول ليس له من تدخل في أمر مادة الوحي، سوى أن الله يستخدم جهاز نطق الرسول لتلاوة النص القرءاني.

وهذا دليل على أن النص القرءاني من الله مبنى وصياغة لسانية، وبالتالي لا يصح الاستدلال بهذا النص على عموم نطق النبي من كلام، وقول، وحديث لأن ذلك باطل من حيث الواقع، ولا يقول أحد من العقلاء بذلك، فهذه الأمور هي من تأليف النبي، وتفاعله كنبي وبشر. والمقصود بالنص هو كلام، وقول، وحديث الله عز وجل فقط.

الشبهة الثالثة: هل الذِّكر هو حديث النبي، أو القرءان؟

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمونَ، بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 43-44] على أن كلمة (الذكر) في النص الثاني يقصد بها مادة الحديث النبوي، ما يدل على أنه وحي من الله، ووظيفته بيان للنص القرءاني، ولا يمكن الاستغناء عنه أبدًا.

إن علماء السلف يقتطعون من هذين النصين المترابطين معًا مضمونًا، جملة، وهي ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وبنوا مفهومهم الأبتر على ذلك.

وقالوا: الذي نزل إلى الناس هو القرءان، فيكون الذكر يقصد به السنة، وبالتالي السنة وحي نزل على محمد ليستخدمها في عملية البيان للقرءان، وعند التطبيق والممارسة لهذا المفهوم، لا يجدون أمامهم سوى مادة الحديث النبوي، فيأخذونه تحت اسم السنة، ويتخبطون بذلك المفهوم، وسبب كل ذلك هو اقتطاع جملة من سياقها، أو أخذ النص دون إرجاعه إلى منظومته.

وظيفة البيان متعلقة بالحديث النبوي، أم بالقرءان؟

البيان هو إظهار للشيء وعدم كتمه وتلاوته وتبليغه للناس لنقرأ: ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتواْ الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 187].

وأهل الذكر في النص الأول هم أهل الكتاب، والذكر الذي نزل إليهم هو التوراة والإنجيل. أما كلمة الذكر الثانية ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فهي القرءان، والذي نزل إليه الذكر هو النبي محمد. وجملة ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ غير عائدة إلى كلمة الذكر التي قبلها مباشرة، وإنما عائدة إلى الذكر السابق الذي نزل للناس. فالنص يحتوي على فعلي نزول.

الأول: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ والمخاطب به الرسول محمد، والذكر الذي نزل إليه هو القرءان، ليقوم بتلاوته على الناس جميعًا.

الثاني: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وهو فعل نزول إلى الناس سابقًا، وليسوا هم إلا أهل الكتاب، والذكر الذي نزل إليهم هو التوراة والإنجيل.

ففعلا النزول غير عائدين إلى مادة واحدة، وإنما لكل منهما مادة مستقلة فتكون وظيفة التبيين للرسول﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ هي استخدام الذِكر الذي أنزل حديثًا، وليس هو إلاَّ القرءان في عملية التبيين للذكر الذي نزل سابقًا، وليس هو إلاَّ التوراة والإنجيل، ويكون البيان من جراء عرض وتلاوة الذِكر

الحديث (القرءان) على مسامع أهل الذكر القديم (التوراة، والإنجيل) ليقوموا بتدقيق ذكرهم القديم على موجب الذكر الحديث، فيظهر لهم مواضع التحريف، ويظهر لهم ما قد تم نسخه، أو تعديله بالذكر الحديث، وما تم إقراره واستمراره لصلاحيته. لذلك أنهى الله النص بقوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

إذن، وظيفة البيان، التي يقوم بها الرسول بواسطة الذكر الحديث (القرءان)، إنما هي وظيفة تاريخية لذكر قديم (التوراة والإنجيل)، ليتم تصويب، وتعديل القديم على ضوء الحديث ونوره. هذا مفهوم وظيفة التبيان للرسول بالنص السابق، ولا علاقة له بمادة الحديث النبوي إطلاقًا، وبالتالي فاستدلال بعض العلماء بهذه الجملة المقتطعة من النص خطأ فاحش، وينبغي إرجاعها إلى سياقها، وقراءتها وفق النص كاملًا ضمن المنظومة الكلية، التي تنص على أن القرءان هو بيان بنفسه، ونور لغيره لا يحتاج لمن يبينه، فهو هدى وشفاء لما في الصدور.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بقرءان غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: 15].

﴿هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 138].

الفرق بين تعلق الطاعة وتعلق الاتِّباع

فعل الطاعة يتعلق بوجود جهة حاضرة الحدث بعلم تأمر وتنهى، وهذا يعني أنه لا يصح تعلق الطاعة بغائب عن الحدث أو ميت، فالحضور العلمي والواعي للحدث شرط لحصول الطاعة، ولذلك لا نجد في القرءان تعلق فعل الطاعة بميت قط، هل مر معكم أمر في القرءان تعلق بطاعة النبي إبراهيم أو النبي موسى أو النبي عيسى أو النبي محمد كشخص؟

وفعل الطاعة يتعلق بالأوامر والنواهي، وهي تصدر بالكلام والقول وليس بالفعل أو المنهج، ولذلك لا نجد في القرءان تعلق فعل الطاعة بغير كائن عالم أو عاقل، بمعنى لا تتعلق الطاعة بالشهوات والهوى، فهذا اتِّباع لها وليس طاعة، ولا يصح عد وصية الميت هي أمر بطاعته، لأن وصية الميت هي شيء يتعلق برغبته في توزيع ثروته أو تحقيق رغبة له ونحن ننفذها له إن كانت مشروعة، ولا تتعلق وصيته في تدبير شؤون حياة الناس ونظامهم ونهضتهم ودينهم.

والوصية عادة تكون بالحض والنصيحة على الالتزام بالحق والصواب والخير والعمل الصالح، وهي ليست تنظيمًا لسلوك الناس ولا تشريعًا لهم كأمر ونهي، ولا هي خارج عن معلومات الناس.

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 132].

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ

وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13].

بينما الاتِّباع نجد أنه يتعلق بمنهج وفكر وطريقة وليس بأقوال أو أحاديث، وهذا يعني أنه يصح تعلق الاتِّباع بميت أو حي، لنقرأ: ﴿قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 95].

لاحظوا أن الاتِّباع ليس لشخص النبي إبراهيم وليس لحديثه، وإنما هو لملته الحنيفية.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: 90].

لاحظوا تعلق الاتِّباع بكائن حي ولكن ليس لقوله وإنما لما يدعو إليه، ولذلك أتى في آخر النص كلمة (وَأَطِيعُوا أَمْرِي) بمعنى أطيعوا أمري في اتِّباعي، وهذا يدل على أن تعلق الطاعة غير تعلق الاتِّباع.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

الاتِّباع للرسول هو اتِّباع للرسالة وليس لشخصه ولا لحديثه.

وقد أمر الله النبي محمد نفسه أن يتبع ملة النبي إبراهيم ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 123].

وأمر الله المؤمنين بذلك أيضًا ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125].

﴿قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 95].

هل يوجد في نصوص الأمر بالاتِّباع أي دلالة على تعلق الاتِّباع بشخص النبي إبراهيم أو أحاديثه وقوله؟

الاتِّباع يتعلق بالمنهج والطريقة والهدى ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 90].

والاتِّباع يمكن أن يتعلق بمنهج كائن عاقل وملة وطريقة وهدى، ويمكن أن يتعلق بشيء غير عاقل مثل الشهوات والضلال ﴿وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾[النساء: 27].

وصلنا إلى أن لا طاعة لغائب أو لميت في شؤون حياة الناس وتنظيم أمورهم، والاتِّباع يتعلق بالمنهج والطريقة والملة ولا علاقة له بالأقوال والأحاديث، ويصح لميت أو حي أو جهة غير عاقلة، بينما فعل الطاعة لا يتعلق إلا بكائن عالم أو عاقل.

مفهوم القدوة

القدوة من قدو، وهي تدل على اتِّباع وتمسك بنهج معين فكرًا وسلوكًا، لنقرأ:

﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 90]، الاقتداء بالهدى يعني التمسك واتِّباع النهج والمفاهيم التي حملوها ودعوا إليها الناس، والتمسك بالصفات النبيلة والفاضلة التي اتصفوا بها وليس أحاديثهم وأقوالهم، ولذلك إمام الصلاة نقتدي به سلوكًا ولا نتقيد بلفظه وحديثه وتلاوته، ولا نأتسي به.

مفهوم الأسوة

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

هل مفهوم الأسوة الحسنة للرسول، تعني: حفظ أحاديثه والتزامها وجعلها مصدر تشريعي للمسلمين إلى يوم الدِّين؟

ألا يوجد فرق بين جملة (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي نبي اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) وجملة (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) ؟

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: 4].

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ [الممتحنة: 6].

هل مفهوم الأسوة الحسنة المتعلق بالنبي إبراهيم هو حفظ أحاديثه وتكرارها وجعلها مصدرا تشريعيًّا؟

أليس واضحًا من مفهوم الأسوة أنه متعلق بالنموذج الصالح الذي يحتذى به كصلاح ونجاح وفلاح؟

ألا نقول لأبنائنا: إن فلان من الناس الناجحين في حياتهم ودراستهم أسوة حسنة لك؟ هل نقصد أن يقوم ابننا بحفظ أحاديثهم وأقوالهم وتقليد سلوكهم الشخصي واللبس مثله والأكل مثله، وتقليده في كل حركة وسكون؟ أم نقصد الفعل الكلي المتعلق بالنجاح والدراسة فقط، ولا يشترط أن يكون نوع الدراسة ذاتها وإنما المقصد النجاح والجدية في العمل والحياة والإنجاز.

الأسوة: كلمة تدل على جعل نجاح إنسان وانجازه محل نظر وجعله منارة لنا ومثل أعلى، وليس المطلوب عين فعله.

مفهوم الاتِّباع بين الذم والمدح

لقد قام فئة من المسلمين باستغلال ذم اتِّباع الآباء في القرءان بنفي ونقض مفهوم التتابع العملي للعبادات المعروف بالسنة المتواترة، وهذا خطأ فاحش منهم؛ لأنهم لم يفرقوا بين الاتِّباع للآباء المذموم والمنهي عنه ومفهوم اتِّباع الآباء الذي حض المشرع عليه.

والدارس لمفهوم اتِّباع الآباء في القرءان يجد أنه ذكر عدة أنواع مذمومة ومنهي عنها، ويوجد بالمقابل أنواع أخرى مدحها المشرع، لنر ذلك من خلال سرد النصوص وجعلها تنطق بالمفهوم وتحدد هي الاتِّباع المذموم.

1. اتِّباع الآباء المذموم المتعلق بالحق والباطل مثل الإيمان والكفر، والشرك والعبادة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: 104].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: 21].

﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 53].

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: 74].

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ﴾ [الصافات: 69].

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: 148].

﴿أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: 173].

2. اتِّباع الآباء المذموم المتعلق بالمنهج والملة:

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 22].

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23].

﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 78].

3. اتِّباع الآباء المذموم المتعلق بالتشريع حرام وحلال:

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 28].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: 35].

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: 74].

هذه الأنواع الثلاثة لاتِّباع الآباء المذمومة بالقرءان والمنهي عنها، نلاحظ أنها

متعلقة بشخص الآباء أنفسهم، بالحكم على الأمور بالحق والباطل أو الصح والخطأ، واتِّباع الآباء بالمنهج والملة الباطلة، واتِّباع الآباء بالتشريع الحرام والحلال، وبعد الحصر للاتِّباع المذموم وصلنا إلى أن ما سواها خارج هذه الدائرة من اتِّباع متعلق بالإيمان والفكر والملة والعلم للآباء وعن بصيرة ووعي وليس لشخصهم يكون مباحًا.

فما هو الاتِّباع للآباء المباح بالقرءان؟

عند دراسة القرءان والواقع وصلنا إلى أن اتِّباع الآباء المباح هو ثلاثة أنواع:

1. اتِّباع للآباء في العادات والتقاليد ضمن دائرة المباح الشرعي، سكت المشرع عن هذا النوع وأعطاه حكم المباح وتركه لحرية الناس.

2. اتِّباع للآباء متعلق بملتهم الحنيفة وبإيمانهم بالله وليس بشخصهم وقولهم، وهو واجب.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِـي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: 38].

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115].

3. اتِّباع الآباء المتعلق بتفصيل عملي لسنة تعبدية شعائرية وهما الصلاة والحج فقط، وهو واجب، والملاحظ أن هذا النوع من الاتِّباع تابع لحكم واجب نزل في المصدر التشريعي ونزل هيئته العامة فيه، وهذا التتابع العملي للآباء ليس حكمًا يتعلق بالحق والباطل ولا بالصح والخطأ ولا هو تشريع حرام وحلال ولا هو متعلق بمنهج أو ملة.

وهذا يعني أن التتابع هذا ليس مصدرًا علميًّا ولا دينيًّا ولا برهانًا بحد ذاته على صح أو خطأ أو حق وباطل، وإنما هو برهان على حصول فعل متعلق بحكم تعبدي نزل في القرءان، والمشرع نبه عليه وأشار له وحض عليه وأمر به بقوله:

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 199].

فهذا النوع من الاتِّبَاع التتابعي لفعل هيئة تعبدية نزل حكمها بالمصدر التشريعي ليس من دائرة الاتِّبَاع المنهي عنه والمذموم، والنصوص القرءانية التعبدية نزلت متعلقة بالسلوك الإنساني وهي محكمة، وليست نصوص آيات كونية علمية أو تاريخية حتى تكون متشابهة أو رمزية لا صورة لها ثابتة ويتعدد معناها ويتنوع ويخضع للتطور العلمي وأدواته.

وعندما نزلت على الرسول طبقها هو وقومه كتكليف مطلوب منهم ومارسها المجتمع كظاهرة متتابعة دون انقطاع، لذلك ما ينبغي الخلط بالمواضيع وسحب مفهوم الاتِّبَاع المذموم على آخر ليس من جنسه، فهذا فعل شنيع، ويترتب عليه إنكار الصلاة والحج وتفريغهم من مفهومهم العملي بحجة عدم وجود نص قرءاني يذكر تفصيلهم، وقد علمنا أن التفصيل قد أتى بالسنة العملية المتتابعة في الأمة ممارسة دون انقطاع، ولا سند لها ولا رواية ولا عنعنة ولا علاقة للبخاري أو مسلم أو الكافي بها.

لذلك من يستخدم مفهوم الاتِّبَاع المذموم بالقرءان لينفي على موجبه مفهوم الاتِّبَاع الممدوح هو إنسان يتخبط بدراسته كحاطب بليل لا يعرف ما ينفي أو يثبت، فعليه بالتوقف فورًا، ويعيد دراسته المنهجية التي يستخدمها في تدبر القرءان إن كان مخلصًا في ذلك، وإن كان غير ذلك يكون قد ظهر جهله وعواره وتخبطه للقراء.

النهي عن كتابة غير كتاب الله

1. عن أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

«لا تكتبوا عني شيئًا سوى القرءان من كتب عني شيئًا سوى القرءان فليمحه».

أخرجه مسلم

وقال الألباني: أخرجه أحمد بن حنبل ومسلم عن أبي سعيد (صحيح) انظر حديث رقم: 7434 في صحيح الجامع.

2. عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْصُوبًا رَأْسُهُ، فَرَقِيَ دَرَجَاتِ الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْكُتُبُ الَّتِي بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَكْتُبُونَها؟ أَكِتَابٌ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ؟ يُوشِكُ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ لِكِتَابِهِ فَيُسْرَى عَلَيْهِ لَيْلًا، فَلا يَتْرُكَ فِي وَرَقَةٍ وَلا قَلْبٍ مِنْهُ حَرْفًا إِلا ذَهَبَ بِهِ. فَقَالَ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ: فَكَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ؟ قَالَ: مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا أَبْقَى فِي قَلْبِهِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ.

الطبراني في الأوسط، والسيوطي.

3. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: « مَا هَذَا تَكْتُبُونَ ». فَقُلْنَا: مَا نَسْمَعُ مِنْكَ. فَقَالَ: « أَكِتَابٌ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ ». فَقُلْنَا: مَا نَسْمَعُ. فَقَالَ « اكْتُبُوا كِتَابَ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ وَأَخْلِصُوهُ أَكِتَابٌ غَيْرُ كِتَابِ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَوْ خَلِّصُوهُ ». قَالَ: فجَمَعْنَا ما كَتَبْنَا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ، قُلْنَا: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ

أَنَتَحَدَّثُ عَنْكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنِّي وَلاَ حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». الإمام أحمد.

4. وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن بني إسرائيل كتبوا كتابًا واتبعوه وتركوا التوراة».

رواه الطبراني في الأوسط، وتقييد العلم للخطيب البغدادي.

5. حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى الخازن رحمه الله ببخارى ثنا إبراهيم بن يوسف الهسنجاني ثنا هشام بن عمار ثنا يحيى بن حمزة حدثني عمرو بن قيس الكندي قال:

كنت مع أبي الفوارس وأنا غلام شاب فرأيت الناس مجتمعين على رجل قلت: من هذا؟ قالوا: عبد الله بن عمرو بن العاص فسمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ويفتح القول ويخزن العمل ويقرأ بالقوم المثناة ليس فيهم أحد ينكرها، قيل: وما المثناة؟ قال: ما اكتتبت سوى كتاب الله عز وجل.

أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، وقد رواه الأوزاعي عن عمرو بن قيس السكوني.

قال الألباني في « السلسلة الصحيحة « 6 / 774: وهو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، يرويه عنه عمرو بن قيس الكندي، رواه عنه جمع رفعه بعضهم وأوقفه بعضهم، وهو في حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال بمجرد الرأي.

قال الألباني: (فائدة): هذا الحديث من أعلام نبوته - صلى الله عليه وسلم - فقد تحقق كل ما فيه من الأنباء، خاصة منها **ما يتعلق بـ (المثناة) وهي كل ما استكتب سوى كتاب الله...**

6. عن عائشة بنت أبي بكر ، قالت: جمع أبي الحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فكانت 500 حديثٍ، فبات يتقلب فقلت: يتقلب لشكوى أو لشيء بلغه ، فلما أصبح ، قال: أي بنية هلّم الأحاديث التي عندك فجئته بها فحرقها. كنز العمال ج5ص201، ابن كثير في مسند الصديق ، والذهبي في تذكرة الحفاظ ج1 ص5.

7. عن يحيى بن جعدة قال: أراد عمر أن يكتب السنة، ثم بدا له أن لا يكتبها، ثم كتب في الأمصار من كان عنده شيء من ذلك فليمحه (أبو خيثمة، وابن عبد البر معًا في العلم) [كنز العمال 29476] أخرجه أبو خيثمة في كتاب العلم (1/ 11، رقم 26).

8. عن عبد الله بن العلاء قال: سألت القاسم يملي عليَّ أحاديث، فقال: إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها، فلما أتوه بها أمر بتحريقها، ثم قال: مَثناة كمثناة أهل الكتاب، قال: فمنعني القاسم يومئذ أن أكتب حديثًا. محمد بن سعد – الطبقات الكبرى – الجزء: (5) – رقم الصفحة: (188).

هذه الأحاديث ثابتة عند من يؤمن بها وهي روايات معتبرة ومشهورة وليس محل نقاش أو اختلاف، والملاحظ أن الأصل فيها هو النهي عن كتابة الحديث النبوي في حياة النبي عمومًا، وهو نهي اجتماعي عام استمر عليه مجتمع الصحابة، وحتى بعد وفاة النبي كما لاحظنا في قصة أبي بكر وعمر وهما من هما بالفضل والعلم، وقد قاما بجمع النص القرءاني ومع ذلك حرقا الأحاديث التي جمعوها، ونهى عمر عن تداولها وروايتها كما هو معروف عنه.

عن أبي سلمة: سمعت أبا هريرة يقول: ما كنا نستطيع أن نقول: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى قُبِض عمر، قال: ثم يقول أبو هريرة: أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي؟ أما والله إذن لأيقنت أن المحفقة ستباشر ظهري، فإن

عمر كان يقول، اشتغلوا بالقرءان فإن القرءان كلام الله.

ولهذا لما بَعث أبا موسى إلى العراق قال له: إنك تأتي قومًا لهم في مساجدهم دوي بالقرءان كدوي النحل، فدعهم على ما هم عليه، ولا تشغلهم بالأحاديث، وأنا شريكك في ذلك. المستدرك على الصحيحين ج1ص183.

فلا قيمة علمية لمن يدعي أن نهي النبي عن كتابة حديثه إنما هو حتى لا يختلط مع القرءان، فهذا كلام مرفوض للفرق الكبير بين كلام الله وصياغته وكلام النبي وصياغته، ومع ذلك بعد أن توفِّي النبي كان القرءان مجموعًا كله في الصدور، وقد كتب خطًا في عهد أبي بكر وجمع في مصحف، يعني: لو كان هذا السبب فقد زال، فلماذا لم يجمع أبو بكر وعمر الحديث كما جمعا القرءان؟ بل لماذا نهيا عن رواية الحديث وكتابته وأمروا بحرقه؟ ولماذا لم يجمعه عثمان كما نسخ المصحف عدة نسخ ووزعه على الأمصار؟ ولماذا لم يقم علي بجمعه أيضًا أو يأمر به؟

واستمر مفعول هذا النهي حوالي 200 عام حتى جاء البخاري، وخالف أمر النبي وبدأ بجمع الحديث، والغريب أن مسلمًا وغيره من المحدثين قاموا بكتابة نهي النبي عن كتابة الحديث في كتابهم!

كل هذا يدل قطعًا على أن نهي النبي مستمر في حياته وبعد وفاته، والتزم به مجتمع الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة، وما ينبغي على أحد من الأمة مخالفته وكتابة حديثه وجعله مثناة مع كتاب الله كما فعل أصحاب المثناة في كتب الصحاح.

أما ادِّعاء أصحاب المثناة أن نهي النبي عن كتابة حديثه منسوخ بسماحه بكتابته فيما بعد، فهذا قول مردود؛ لأن الروايتين اللتين يستدلان بهما لا تنهضان لنقض الروايات المتضافرة بالنهي كما لاحظنا، ولنقرأ الروايتين:

1. عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأريد حفظه، فنهتني قريش عن ذلك قالوا: تكتب كل شيء

تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في الرضا والغضب، قال: فأمسكت، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأشار بيده إلى فيه فقال: (اكتب، فوالذي نفسي بيده، ما يخرج منه إلا حقٌّ).

قال الألباني في « السلسلة الصحيحة » 4 / 45: أخرجه أبو داود (2 / 124 - 125) والدارمي (1 / 125) والحاكم (1 / 105 -106) وأحمد (2 / 162 و192) والحاكم.

2. عن ابن عباس يرويه عكرمة عنه مختصرًا: (إن الله عز وجل حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي وإنها أحلت لي ساعة من نهار لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها إلا لمعرف)، فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر لصاغتنا وبيوتنا، قال: (إلا الاذخر). أخرجه البخاري (1 / 338) والبيهقي.

وله شاهد من حديث أبي هريرة نحو حديث طاوس عن ابن عباس، إلا أنه قال: قبورنا وبيوتنا وزاد فيه: (ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يفدى وإما أن يقتل). وزاد في آخره: (فقام أبو شاه - رجل من اليمن - فقال: اكتبوا لي يا رسول الله فقال رسول الله: اكتبوا لأبي شاة). أخرجه البخاري (1 / 40 - 41) ومسلم (4 / 110).

فالرواية الأولى إن صحت فهي خاصة بطفل يكتب لنفسه وليس لنشر الحديث بين الناس، فلا يصح الاستنباط من حالة فردية شخصية طفولية حكم عام للناس يخالف نصوص النهي، والرواية مضطربة من حيث المتن كيف نهته قريش عن الكتابة وعبد الله بن عمرو صغير السن حين أسلم، فهو توفِّي عام 65 هجري عن عمر بلغ 72 عام، وهذا يعني أن عمره عندما هاجر النبي إلى المدينة كان 7 أعوام

فمتى كان في مكة يسمع أحاديث النبي وهو لم يسلم بعد؟ وهل روي عن النبي

أصلًا أحاديث في العهد المكي؟ لأن الحديث المذكور يقول: إن قريش نهته، فهل قريش كانت في المدينة أم في مكة؟ وهل كان الصراع بين قريش والنبي على أحاديثه؟ وقد أسلم عبد الله قبل فتح مكة في 7 هجري يعني: صار عمره 14 عامًا حينما هاجر، وعاصر النبي ثلاثة أعوام، وهو ما زال في عمر الطفولة عندما توفِّي النبي.

فالقصة كلها غير منطقية وكذب وتدليس! وإن صحت جدلًا فهذا تعليم لطفل فقط كي يحفظ ويتعلم وليس تعليمًا وتوجيهًا للأمة وليس كتابة الحديث للأمة.

أما الرواية الثانية فواضح من أن أبا شاه رجل يمني حفظه ضعيف وكذلك فهمه، وهو حريص على التعلم فطلب أن يكتبوا له هذه الأمور التي سمعها فأمر النبي بالكتابة له، وهذا لا يعني أن النبي سمح بكتابة حديثه عمومًا للأمة ونقض نهيه السابق المستمر، بدليل أن الكتابة لحديث النبي لم تحصل أبدًا في مجتمع الصحابة وبدليل فعل الخلفاء الأربعة وهم يعرفون تلك القصص الخاصة.

لذلك؛ نهيب بأصحاب المثناة أن يتقوا الله ربهم وينتهوا عن عبادة المثناة والإشراك بها مع كتاب الله.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23].

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقرءان غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: 15].

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القرءان لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 19].

نقد حديث الأريكة
الذي يحض على الشرك مع كتاب الله

• حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ أَخْبَرَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هُبَيْرَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِي يَقُولُ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمًا كَالْمُوَدِّعِ فَقَالَ: « أَنَا مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ أَنَا مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ - ثَلاَثًا - وَلاَ نَبِيَّ بَعْدِي، أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الكَلِمِ وَجَوَامِعَهُ وَخَوَاتِمَهُ وَعَلِمْتُ كَمْ خَزَنَةُ النَّارِ وَحَمَلَةُ العَرْشِ وَتُجُوِّزَ بِي وَعُوفِيتُ وَعُوفِيَتْ أُمَّتِي، فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَحِلُّوا حَلاَلَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ ». أحمد.

(الحلال ما أحلَّ الله في كتابه، والحرام ما حرَّم الله في كتابه، وما سكتَ عنه فهو مما عفا عنه) ابن ماجه 3358، الدارقطني والحاكم والبيهقي والبزار والطبراني.

• « أطيعوني ما كنت بين أظهركم وعليكم بكتاب الله عز وجل، أحلوا حلاله وحرموا حرامه «. قال الألباني في « السلسلة الصحيحة « 3 / 458:

أخرجه تمام في « الفوائد « (6 / 111 / 1 - 2) عن سليمان بن أيوب بن حذلم حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا معاوية بن صالح حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثني ابن حميد عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن نعيم بن همار عن المقدام بن معدي كرب عن أبي أيوب الأنصاري عن عوف بن مالك الأشجعي قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجير وهو مرعوب فقال» فذكره.

ثم أخرجه من طريق أحمد بن الغمر بن أبي حماد - بحمص - حدثنا سليمان بن عبد الرحمن به، لكنه لم يذكر في إسناده إبراهيم بن أبي العباس.

قلت: والأول أصح، فإن رجال إسناده كلهم ثقات فهو صحيح.

- حدثنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه، أنبأ العباس بن الفضل الأسفاطي، ثنا أبو الوليد، ثنا همام، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

« لا تكتبوا عني شيئًا سوى القرءان، من كتب عني شيئًا سوى القرءان فليمحه ». أخرجه مسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعملوا بالقرءان أحلوا حلاله وحرموا حرامه واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله، وإلى أولي العلم من بعدي، كما يخبروكم وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور، وما أوتي النبيون من ربهم وليسعكم القرءان وما فيه من البيان. السنن الكبرى للبيهقي.

قَالَ رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم–: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ».

ومع ذلك يأتي كذابون ويضعون أحاديث على لسان النبي تنقض القرءان وتنقض كل هذه الروايات، انظروا على سبيل المثال:

حديث الأريكة الذي يحض على الشرك مع كتاب الله

- حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة، ثنا أبو المغيرة، وحدثنا أبو زرعة، ثنا أبو اليمان، وعلي بن عياش،وحدثنا بشر بن موسى، ثنا الحسن بن موسى الأشيب، قالوا: ثنا حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي، عن المقدام بن معدي كرب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا إني أوتيت القرءان ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرءان، فما وجدتم فيه من حلال

فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة مال معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه [فإن لم يقروه] فله أن يطلبهم بمثل قراه ».

« ألا إني أوتيت القرءان ومثله معه ». وفي رواية: « ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله ».

كيف يستقيم فهم هذه الأحاديث المكذوبة مع كتاب الله والروايات في الأعلى؟

انظروا لمقولة: (عليكم بهذا القرءان، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه) في حديث الأريكة أليس هي من حيث المضمون توافق الأحاديث السابقة التي هي: (اعملوا بالقرءان أحلوا حلاله وحرموا حرامه) وحديث (فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَحِلُّوا حَلاَلَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ) وحديث (الحلال ما أحلَّ الله في كتابه، والحرام ما حرَّم الله في كتابه، وما سكتَ عنه فهو مما عفا عنه).

فلماذا في حديث الأريكة مرفوض الاكتفاء بكلام الله وكتابه ويوجد حض على الشرك مع كتاب الله، بينما بالأحاديث الأخرى تحض على الاكتفاء بكتاب الله وكلامه وتنهى عن الشرك معه؟

ألا يدل هذا على أن حديث الأريكة كذب وموضوع ومنتحل ومناقض لمجموعة من الأحاديث الأخرى التي هي أقوى منه من حيث المتن والمفهوم لموافقتها للقرءان العظيم؟ فما بالكم أن حديث الأريكة مناقض للقرءان ذاته.

فهل يوجد عاقل بعد كل هذا يذكر حديث الأريكة وينقض به القرءان ومجموعة الأحاديث ليثبت أنه يجب أن يُشرك الناس مع القرءان كلام البشر.

الصلاة التعبدية حكم قرءاني
وسنة متتابعة في الأمة

يوجد بعض الإخوة المحسوبين على المدرسة القرءانية ينكرون الصلاة التعبدية برمتها أو ينكرون بعضها بحجة أن القرءان لم يذكر تفاصيلها، وينبغي أن نتقيد بالقرءان فقط، وكل من يقول بثبوتها على ماهي معروفة في الأمة يكون قد خرج عن القرءان وخالف منهجه ونقض دعوته القرءانية.

كما أن جمهور المسلمين من عباد المثناة يأتون بكيفية الصلاة والحج كتفاصيل لنقض مفهوم إن الحكم إلا لله، والمصدر التشريعي هو القرءان فقط، وذلك لإثبات أن الحديث النبوي مصدر تشريعي إلهي، ولكن نزل خارج القرءان والنبي قام بتأليف المبنى، ويقدمون هذا المفهوم تحت مسمَّى السنة تدليسًا أو جهلًا منهم في الفرق بين السنة والحديث.

وكلا الطرفين مغالين ومتطرفين في تعاملهم مع القرءان، ولنقوم بتحليل المفاهيم التي يتعاملون بها كلاهما.

1- ﴿**قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ**﴾ [الأنعام: 57]، ولذلك ينبغي أن يعلم الطرفان أن القرءان مصدر تشريعي يحتوي الحرام والحلال والواجب الدِّيني، ولم يأت خارجه أي تشريع قط، ولم ينزل بعده أو معه ملحق أو مستدرك عليه، وهذا الأمر من أبجدية الدِّين الإسلامي، وأي مسلم يتلو القرءان يشاهد عشرات النصوص التي تثبت هذا

المفهوم (لا حكم إلا لله) وهذا الحكم الإلهي نزل بالقرءان فقط وهو المعني بالحفظ والصلاحية والاتِّباع.

2- **مفهوم الاتِّباع**

الطرف الأول ينكرون مفهوم الاتِّباع كله ويعدونه مذمومًا ويأتون بنص ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: 170].

﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الزخرف: 22].

وبجهل منهم أو تغافل يعممون هذا المفهوم للاتِّباع على كل شيء ويقولون: اتِّباع الآباء مذموم، وبالتالي لا نأخذ منهم لا هيئة صلاة ولا حج؛ لأن هذا لم ينزل بالقرءان.

ونقول لهم بمختصر مفيد: إن الاتِّباع المذموم هو الاتِّباع المتعلق بالحكم على الأمور حق أو باطل دون برهان وبينة، أو ممارسة السوء والفحشاء والمنكر، بينما الاتِّباع للآباء في العادات والتقاليد ضمن دائرة المباح شرعًا كالعادات والفنون هو أمر مباح ومتروك للناس الحرية بذلك، وهذا ليس محل نقاش أو اختلاف رغم أنه اتِّباع للآباء.

والأمر الثاني وهو محل النقاش، الاتِّباع للآباء في تطبيق حكم تعبدي لله هو من الاتِّباع المحمود بل؛ هو أمر من الله، والنص الذي ذكروه في البدء صرح بجملة (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا) فنحن نقول لهم: اتبعوا ماأنزل الله في كتابه وطبقه الرسول ومعه المجتمع كسنة تعبدية متتابعة، ولم نطلب منهم الاتِّباع المناقض لما أنزل الله، هذه مسألة ينبغي فهمها، فاتِّباع الآباء يكون بعد ثبوت الحكم في كتاب الله ويكون اتِّباعهم ليس تشريعًا لحكم شرعي، وإنما تنفيذًا لحكم شرعي تعبدي، ألا يوجد فرق بين القول: اتِّباع الآباء بشكل مناقض لما أنزل الله، وهو اتِّباع مذموم، والقول: اتِّباع الآباء فيما نزل في كتاب الله، وهو قول محمود.

ألم يأمرنا الله أن نتبع الناس في أمر أراده من طريقة معينة أو حدث ثابت أو تعليم أنزله قديمًا على الناس ولم ينزل في القرءان وهو ليس حكمًا على حق أو باطل، انتبهوا، وليس حكمًا في حرام وحلال، هو أمر فلنسمه اصطلاحًا أمرًا إداريًّا أو شكليًّا أو تنظيميًّا، لنقرأ: ﴿**ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [البقرة: 199]، الإفاضة في الحج حدده الله من حيث يفيض الناس، أليس هذا اتِّباع للناس فيما أنزل الله؟ هل هذا الاتِّباع تشريع في الحرام أو الحلال، أو حكم على حق أو باطل؟

إنه اتِّباع محمود للناس في اتِّباعهم لما أنزل الله وارتضاه من عمل تنظيمي.

وهذا الاتِّباع متعلق بسنة عملية تعبدية تعتمد على ما أنزل الله بداية وممارسة دون انقطاع خلال التاريخ، حيث صارت ظاهرة اجتماعية على مستوى الأمة لا سند لها ولا عنعنة ولا رواية، واسمها سنة متتابعة، وليس حديثًا متواترًا متعلقًا بسند مهما كثر هؤلاء الرواة فهم في النهاية سند ورواة.

أما الفريق الآخر عباد المثناة فيخلطون بين مفهوم السنة والحديث، ويعاملون الحديث المعنعن وكأنه سنة متتابعة، ويدلسون على الأمة ويأمرونهم باتِّباع السنة ويعرضون عليهم الحديث بدل السنة بغباء أو تجاهل مقصود منهم، فالسنة هي طريقة عملية مستمرة مثل سنة الله في الخلق، والحديث هو قول جديد لا يمكن أن يستمر ويمارس عمليًّا ويخضع للرواة و العنعنة والتحريف والتغيير، وهذا بخلاف الخطاب القرءاني فهو صار بمثابة السنة من حيث تتابعه في الأمة عمليًّا وممارسة تلاوة وحفظًا وتعبدًا ودراسة وتدبرًا وكتابة لذلك لا سند له ولا عنعنة ولا رواة.

فكما رأيتم نحن نتبع السنة العملية التعبدية المتتابعة بالأمة وهي متعلقة بما أنزل الله في كتابه وليس هي مصدرًا تشريعيًّا، أما الحديث المنسوب للنبي فهو روايات وقيل وقالوا عن فلان عن فلان، فهو ليس ما أنزل الله، وليس هو مصدرًا تشريعيًّا، ولو صح كثير من الأحاديث المنسوبة للنبي وفق منهج علمي قرءاني، ولكن لا تتجاوز

القرءان ولا تسبقه ولا تستقل بالتشريع عنه فهي محاكاة له كوعظ وتعليم مثل الأمر ببر الوالدين وكفالة اليتامى وما شابه ذلك.

فمن أخذ بالحديث فبها ونعمت وفق هذا الكلام، ومن لم يأخذ به واكتفى بالقرءان فهو كافيه. ومن أخذ بالأحاديث المتعلقة بالتعبد في الصلاة والحج كأذكار وتلاوات فلا بأس به، ومن تأول القرءان بنفسه واختار منه أذكار لصلاته وحجه فلا بأس به أيضًا، وكذلك الاختلاف بجزئيات الصلاة من حيث وضع اليدين على الصدر أو إسبالهما على جنب أو تلاوة الفاتحة والقول آمين والتشهد في الجلوس وغير ذلك كلها ليس من أركان الصلاة وكلها مقبولة وهي من اختلاف التنوع وليس اختلاف التناقض.

فلا يعترض أحد على أحد، وليصلي الجميع وراء بعضهم بعضًا، سنة الصلاة المتتابعة معروفة، ونزلت بالقرءان عمومًا من قيام وركوع وسجود ونظَّم ذلك الرسول وحدد عدد الركعات وتوزيع الصلوات على اليوم والليلة سواء من فهم قرءاني أو وحي تعليمي أو كلاهما.

3 – هل القرءان هو الوحي الوحيد الذي نزل على الرسول محمد؟

النبي محمد لم يصر نبيًّا إلا باصطفاء من الله بواسطة الوحي له، وكان الوحي مستمرًا في النزول عليه توفيقًا وتعليمًا وتأييدًا وإخبارًا غير وحي القرءان، وإلا كيف صار نبيًّا واستمر في هذا المقام؟

لنقرأ كيف أنه يوجد وحي آخر غير القرءان:

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: 3].

هذا النص برهان على أن النبي كان يتلقى الوحي خارج القرءان وانتبهوا لنوع

الوحي وتعلقه بمقام النبوة وليس بالرسالة، بمعنى ليس أحكام شرعية متعلقة بالناس يجب تبليغها لهم وإنما هي وحي خاص للنبي ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**﴾ [الأحزاب: 37].

حكم محارم النكاح مذكور بنص رسالي ثابت معروف تضمن تحريم زوجة الابن من الصلب ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء: 23]، وهذا يعني أن زوجة الابن من غير الصلب حلال كونها لم تأت ضمن دائرة المحارم.

مما يؤكد أن نص (طلاق زيد وزواج النبي من زوجته) قد نزل الأمر بها خارج القرءان والنبي حاول أن يؤخر هذا الزواج ما استطاع من خلال محاولة تأخير طلاق زيد لها، والذي يهمنا من القصة أن الوحي نزل على النبي خارج القرءان؛ لأنه ليس تشريعًا في مقام الرسالة للناس جميعًا، ونزل في القرءان فيما بعد لدعم موقف النبي هذا أمام الرأي العام حينئذ الذي يحرم الزواج من حليلة الابن بالتبني.

وكذلك نص تغيير جهة القبلة نزل خارج القرءان؛ لأنه أمر خاص للنبي وقومه وليس لمن بعده ويريد الله أن ينسخه، وفعلًا نزل نسخه بالأمر بالتوجه للقبلة الأولى الكعبة ورجعت القبلة لعهدها الأول، فالنسخ حصل بأمر قرءاني لأمر نزل خارج القرءان.

أما في القرءان ذاته فلا يوجد نسخ لأي أمر نزل به، إذن؛ يوجد وحي ينزل على النبي خارج القرءان ولكنه ليس وحيًا تشريعيًّا للناس جميعًا وإنما وحيًا خاصًّا كتأييد له أو إخبار أو تعليم له أو لأمته، ومن هذا الوجه نقول: إن تفاصيل الصلاة العملية وليس الفرعية الجزئية هي تعليم من الله بالوحي وكذلك الحج سواء بتدبر النبي للقرءان وتوفيقه من الله للعلم به أو نزول الوحي نفسه وتعليمه هذا عمليًّا فالأمر سواء.

فقد قام النبي بتطبيق الأمر بالصلاة عمليًّا وعلَّم المجتمع حينئذ وتتابع هذا الأمر إلى وقتنا المعاصر وما زال يتتابع كسنة عملية فوق السند والعنعنة ولا يوجد منِّية لأحد في تتابع الصلاة والحج.

لذلك ينبغي على الفريق الأول أن لا ينكر هذا الوحي التعليمي العملي خارج القرءان، وعلى الفريق الثاني أن يفهم أن الحديث النبوي ليس وحيًا تشريعيًّا، وما كان منه وحيًا فهو وحي خارج القرءان كخبر أو نبأ أو تأييد خاص للنبي ولقومه إن لم يكن من سنة العبادات فهو غير ملزم لمن بعد النبي من المجتمعات اللاحقة.

فعلى الفريق الأول المنسوب للقرءانيين أن يكفوا عن غلوهم وتطرفهم وعدم إنكار الصلاة والحج بحجة متهافتة، وعدم نقاش هذا الأمر فيما بعد وجعله محل تسليم واتِّباع، وتوقيف التشويش على المسلمين.

وعلى الفريق الثاني عباد المثناة أن يكفوا عن جعل الحديث النبوي وحيًا تشريعيًّا يزاحم كتاب الله، والتفريق بين مفهوم السنة التعبدية المتتابعة ومفهوم الحديث النبوي، وعدم عرض تفاصيل الصلاة وأو الحج كمثل برهاني على مصدرية الحديث النبوي كتشريع.

فكلا الطرفين غلاة ومتطرفون وجهلة في تعاملهم مع القرءان وتدبُّره.

مقامات النبي محمد الثلاثة

الإنسان، النبي، الرسول

الثابت أن الأنبياء كلهم بصرف النظر عن خلقهم أو طريق ولادتهم هم كائنات بشرية يصيبهم ما يصيب البشر، ويمارسون حياتهم مثل سائر البشر، ولهم غرائز بشرية، وغرائز نفسية، وحاجيات نفسية، وحاجيات بشرية عضوية. ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ**﴾ [فصلت: 6]، لاحظوا كلمة (بشر مثلكم) ولم تدخل كاف التشبيه على الكلمة لتصير (كمثلكم) لأنها لو دخلت لكان النبي ليس بشرًا في كل شيء، وإنما يشابه البشر في شيء ويختلف في شيء آخر، وبانتفاء حرف التشبيه (الكاف) يدل على أن النبي بشر مثلنا تمامًا دون أي فرق بيننا في البشرية.

وعاش النبي محمد فترة طويلة تقارب ثلثي عمره وهو بشر مثلنا، لا فضل له علينا أو ميزة سوى أنه رجل على خُلق وحكمة، وكان يمارس حياته بشكل طبيعي، فنزل عليه الوحي الإلهي ليصطفيه من دون الناس ليحمل مهمة النبوة والرسالة، فصار رسولًا نبيًّا.

فهل انتفت بشرية النبي أم بقي بشرًا وأضيف له مقام النبوة؟

والواقع أنه بقي بشرًا وأضيف له مقام النبوة الذي يقتضي في طبيعة الحال أن يكون رسولًا.

وكان النبي يمارس حياته بشكل طبيعي بين الناس ويتكلم معهم، وكان بعض

الصحابة يختلط عليهم الأمر فيرتبك في التعامل مع النبي وحديثه ؛ لا يعلم هل هو حديث صدر منه من المقام البشري، أم من مقام النبوة أم من مقام الرسول، لنضرب أمثلة على ذلك:

1. **مقام البشر:**

أ- نهى النبي عن إتيان الرجل زوجته المرضعة، ومن ثم رجع عن ذلك عندما علم أن الروم والفرس يفعلون ذلك منذ فترة من الزمن طويلة ولم يضرهم شيئًا، فاعتمد على الإحصاء المعلوماتي وليس على الوحي.

عن عطاء عن بن عباس: أن النبي كان ينهى عن الاغتيال ثم قال: لو ضر أحدًا لضر فارس والروم، فثبت بهذا الحديث الإباحة بعد النهي، فهذا أولى من غيره، وجاء نهي النبي عن ذلك أنه كان من جهة خوفه الضرر من أجله، ثم أباحه لما تحقق عنده أنه لا يضر، ودل ذلك أنه لم يكن منع منه في وقت ما منع منه من طريق الوحي، ولا من طريق ما يحل ويحرم، ولكنه على طريق ما وقع في قلبه منه شيء فأمر به على الشفقة منه على أمته لا غير ذلك. رواه الطبراني والبزار ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد) (شرح معاني الآثار) و(مشكل الآثار) للطحاوي.

ب- أخرج مسلم (2363) من حديث أنس أن النبي مر بقوم يلقحون النخل فقال: لو لم تفعلوا لصلح قال: فخرج شيصًا فمر بهم فقال ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا، قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم.

واضح من الأحاديث هذه وغيرها أن النبي كان يتعامل مع الأحداث من منطلق كونه بشرًا يأمر وينهى ضمن دائرة المباح، ويرجع عن قوله إن تبين له خطأ ما أمر به أو نهى عنه، ولا علاقة للوحي في هذا المقام البشري، ولا يتدخل في اجتهاده أصاب أو أخطأ في تقدير الموقف أو الحدث.

2. مقام النبي:

هذا المقام متعلق بقيادة المجتمع الذي يعيش النبي فيه، وتعليم الحكمة (المنهج) وتبيين كتاب الله لهم، والإمامة وفق ما ينزل عليه من الوحي لا يتجاوزه زيادة أو نقصانًا، ويتحرك وفق حدود الشرع الإلهي بناء على فهمه له، ويجتهد في معالجة الأحداث بناء على رؤيته لها، ويصيب أو يخطئ، أو يختار الحل الحسن دون الأحسن، أو خلاف الأولى، وحركة النبي في هذه الدائرة ليست متعلقة بتشريع أحكام دينية إلهية، وإنما متعلقة بمعالجات ضمن دائرة المباح.

وعندما يريد المشرع منه حلًّا معينًا أو توجيهًا محددًا ينزل عليه الوحي موجهًا ومسددًا له للحل الأمثل والأحسن، وهذا ليس لكل معالجات النبي للأحداث وإنما للأمور التي يريدها الله فقط، والنبي معصوم في هذا المقام عن القتل كونه نبي صاحب رسالة وكتاب. لننظر إلى بضعة أمثلة:

• حادثة الأسرى، فقد ارتأى النبي أن لا يقتل الأسرى وهو حل حسن، ولكن الله يريد الأحسن والأولى في مثل هذه الظروف، خاصة أن المعركة مع الكفر وأهله في بدايتها فنزل قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال: 67].

• عرقلة النبي طلاق زيد لزينب حتى يؤخر تنفيذ أمر الله بالزواج من طليقة زيد لإبطال حكم تحريم الزواج من ابن التبني، وهذا أمر ضمن المباح ولكن خلاف الأولى؛ لأن أمر الله ينبغي أن يطبق عاجلًا أو آجلًا فلا مبرر للتأخير، فنزل الوحي عليه يأمره بتوقيف عرقلة الطلاق ويطلب منه الزواج منها بعد طلاقها من زيد، ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**﴾ [الأحزاب: 37].

• حرم النبي على نفسه شيئًا مباحًا لمرضاة أزواجه ظنًا أن ذلك لا مانع منه طالما أنه أمر شخصي، فنزل عليه الوحي يذكره أنه نبي وهو أسوة حسنة، وما ينبغي أن يحرم على نفسه ما أحل الله، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التحريم: 1] رغم أن تحريم النبي على نفسه لم يكن تحريمًا دينيًّا وإنما بمعنى المنع الدائم لتناول هذا الشيء، فنزل الأمر الإلهي بتصويب سلوكه وإلغاء قراره.

هذا المقام النبوي هو محل اجتهاد ودراسة ونظر، والنبي يصيب فيه أو يخطئ، وهو غير متعلق بالأحكام الدِّينية وإنما بالمعالجات للأحداث وفق ما يرى النبي مناسبًا لزمانه ومكانه وفق معطيات المجتمع والبيئة، ولا يتدخل الوحي في اختياره للحل المناسب أو الأنسب، أو الحسن أو الأحسن أو ربما يخطئ في علاجه للحدث، ولكن وفق دائرة المباح لا يتجاوز حدود الله، ويقوم بعملية التبيين لكتاب الله من خلال إظهار معانيه لمن خفيت عليه لأن كتاب الله هو مبين بذاته.

وكما هو ملاحظ أن مقام النبي هو مقام شخصي لازم لحياة النبي ومتعلق بقومه ومشاكلهم، فإن مات النبي توقف نشاطه الاجتماعي والتعليمي والدعوي وقيادة الناس لتعلق كل ذلك بشخصية النبي.

وبناء على هذا المفهوم نلاحظ أنه لم ينزل ولا نص قرءاني يأمر بطاعة النبي؛ لأنه سوف يموت ولن يكون محل طاعة لمن بعده، والطاعة متعلقة بالحي لا بالميت.

﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [الزمر: 30]،

﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ**﴾ [الأنبياء: 34].

ولذلك قال أبو بكر مقولته الشهيرة حينما توفِّي النبي: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

3. مقام الرسول:

هذا المقام متعلق بمفهوم الرسول ووظيفته، وهو معصوم عن النسيان أو الضياع في ذلك والعصمة موجهة للرسالة وليس لشخص النبي.

ووظيفة هذا المقام تحققت بصورتين:

الأولى: البلاغ المبين، قال تعالى: ﴿**وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا البَلَاغُ المُبِينُ**﴾ [العنكبوت: 18].

الثانية: تلاوة القرءان: ﴿**وَأَنْ أَتْلُوَ القرءان فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ المُنذِرِينَ**﴾ [النمل: 92].

فالرسول له وظيفتان: البلاغ المبين، وتلاوة القرءان، فإن انتهى من ذلك يبدأ دور النبي وهو التعليم والتبيين ودعوة الناس إلى الله، وعندما اكتمل نزول القرءان وتلاه الرسول كله على الناس وبلغهم إياه توفاه الله لانتهاء مهمته الرسالية، ومن الطبيعي أن تتوقف وظيفة النبوة لتعلقها بشخص النبي. ﴿...**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا**...﴾ [المائدة: 3].

وبعد هذا التفصيل نصل إلى أن النبي محمد له ثلاثة أنواع من الأحاديث،وهي:

1. حديث بشري: لا علاقة للوحي به، وهو متعلق بالأرضية المعرفية للنبي في زمانه، ويخطئ ويصيب، وقد يتراجع عن قوله.

2. حديث نبوي: وهو تفاعل النبي مع القرءان بواسطة الحكمة يقوم بتعليم مجتمعه ودعوتهم وتبيين ما خفي عليهم من أحكام الكتاب، والحديث من كلام النبي وتأليفه وليس وحيًا قط، وقد يخطئ أو يصيب، وهو يتحرك ضمن مجال المباح وفق حدود الله لا يتجاوزها، وقد ينزل عليه وحي ليوجهه نحو أمر معين هو الأحسن والأمثل في حادثة معينة، وهذا ليس دائمًا.

3. حديث الرسول: هو كلام الله وحديثه ذاته، ولا يوجد للرسول حديث خاص به.

﴿اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: 87]، **(تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ)** [الجاثـية: 6].

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: 50].

لذا؛ من الخطأ الفاحش الخلط بين حديث النبي محمد كبشر، وحديثه كنبي، وحديثه كرسول فالأمر ليس سواء لما يترتب عليه من خطورة، ولم يعد مقبولًا من أحد أن يقول: هذا حديث نبوي وهو حجة وبرهان ويعده مصدر إلهي بعد أن عرف التقاسيم لحديث النبي.

وبعد فهم حديث النبي محمد بأنواعه الثلاثة نأتي لمعرفة مفهوم النص التالي: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هوَ إِلَّا وَحْيٌ يوحَى﴾ [النجم: 3-4]، فالنطق ليس عامًا يشمل كل ما ينطقه النبي في مقاماته الثلاثة (البشر، النبي، الرسول) وإنما هو خاص بحديث الرسول المتعلق بحديث الله الذي هو القرءان فقط، وهو محل النقاش والصراع مع الكفار.

نقاش سريع لمجموعة من النصوص لترسيخ المفهوم طاعة الله وطاعة الرسول

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59].

نلاحظ في النص أنه أتى فعلا طاعةٍ مستقلَّين عن بعض، الأول (أطيعوا الله)، والثاني (أطيعوا الرسول)، وهذا يدل على وجود دائرتين لفعل الطاعة مستقلين عن بعضهما في الأمر، ولو أنهما متداخلتان عمومًا كضبط وتقييد الطاعة الثانية بالطاعة الأولى.

وبما أن الحكم لله كتشريع، والرسول مبلغ وتالٍ ومبين وليس مشرعًا، يكون مفهوم الطاعة الأول لله يتعلق بدائرة الدِّين الذي أنزله، ويكون دائرة الطاعة الثانية التي تتعلق بالرسول هي ضرورة مجالها خارج الحكم والتشريع، وليس هي إلا التحرك وفق حقل ومجال المباح أمرًا وتنظيمًا ومنعًا وتقنينًا لممارسته في الواقع؛ لأن المباح لا يطبق في المجتمع إلا منظمًا ليحفظ مصالح الناس وينظم شؤونهم.

ولذلك تم عطف أولي الأمر على الدائرة ذاتها (أطيعوا الرسول) دون تكرار لفعل طاعة لهم خاص بهم (وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ منكم) ليأخذ أولي الأمر منا -وليس الدخلاء والمعتدين والطواغيت- حكم طاعة الرسول.

وهذا يدل على أن طاعة الرسول في النص هي مثل طاعة أولي الأمر؛ لأن المعطوف

(أولي الأمر) يأخذ حكم المعطوف عليه (الرسول)، وفي حال حصل نزاع بين الناس وأولي الأمر، وهذا يدل على أن أولي الأمر ليسوا معصومين وهم محل حساب ومراقبة، وجب رد ذلك النزاع لله والرسول (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ) ولم يتكرر فعل (ردوه) للرسول خاصة؛ ليدل على أن الرد هو لله كحكم وتشريع يتلوه أو يبينه ويبلغه الرسول وهو مقام مستمر لا يتعلق بحياة النبي محمد، وذلك كمثل وظيفة الأستاذ في المدرسة هو مقام اعتباري لا يبطل بوفاة الأستاذ، وإنما يقوم به أي شخص عنده مؤهلات التدريس ويدرس الطلاب وفق المقرر المدرسي، ولا يؤلف الأستاذ الكتاب من عنده أو يزيد أو ينقص.

﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: 92].

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: 54].

قل يا محمد خاصة ولمن يسمع الخطاب بعده: أطيعوا الله كمفهوم إيماني يتعلق بما أنزل للناس، وأطيعوا الرسول فيما تلا عليكم وبلغ وفيما حكم وقضى بينكم وإن أطعتم الرسول فيما بلغ وتلا عليكم وحكم وقضى تهتدوا، وإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين، وهذا مستمر لكل رسول يحمل الدعوة والتعليم إيمانًا وطوعًا بعد وفاة النبي محمد.

أطيعوا الله ورسوله

﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: 13].

أتى في النص فعل طاعة واحد لله وعطف عليه رسوله، (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فالطاعة لله فقط، ولا يوجد فعل طاعة للرسول في هذا النص وإنما هو مبلغ وتالٍ ومبين لطاعة الله فيما أنزل عليه من الرسالة

﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 32].

قل يا محمد خاصة ولمن يسمع الخطاب بعده: أطيعوا الله كمفهوم إيماني وذلك من خلال طاعة الرسول الذي هو الرسالة ذاتها، وأنت يا محمد كنبي معني بهذا الخطاب أول المؤمنين يجب عليك أن تطيع الرسول، ومن يقول: إن الرسول هو النبي محمد ذاته يضطر أثناء الشرح أن يقول: المقصد ليس شخصه وإنما ما نزل عليه من الرسالة.

فالنتيجة: أن كلمة الرسول التي تأتي معطوفة على كلمة الله بفعل طاعة واحد يقصد بها الرسالة، وهذا معروف في اللسان العربي يطلق على الرسالة اسم الرسول.

اتِّباع الرسول

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

الاتِّباع ليس لشخص النبي كبشر، وهذا الأمر مستمر للمؤمنين بعد وفاة النبي فهو يتعلق باتِّباع الرسالة التي نزلت عليه.

بيان الرسول

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43].

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44].

فهذان النصان مترابطان مع بعض، وواضح أن الذكر بداية هو الكتب الإلهية، والذكر الثاني هو القرءان الذي نزل على الرسول محمد، والمطلوب هو استخدام الذكر الحديث (القرءان) لتبيين الذكر القديم وفهمه على موجب الذكر الحديث، ولا علاقة لذلك بحديث النبي قط، وكلمة التبيين تعني الإظهار والتلاوة والتبليغ وعدم الكتم لشيء مما أنزل الله **﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾** [آل عمران: 187].

ما آتاكم الرسول فخذوه

هذه الجملة دائمًا يخطئ بها معظم الباحثين عندما يقتطعونها من سياقها **﴿مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الحشر: 7].

وينبغي قراءتها وفق سياقها وواضح أن المقصد بالأمر بالإتيان والنهي يتعلق بأمور سياسية اجتماعية دنيوية ضمن دائرة المباح وتنظيمه وليست دينية تشريعية، وهي مستمرة لمن بعده في الدائرة ذاتها فهي مثل الطاعة للرسول المنفصلة عن طاعة الله، ولا شك العبرة بعموم اللفظ ومضمونه وليس بظاهر النص، وهذا يعني: تفعيل مفهوم النص ليتناول أي أمر اجتماعي وسياسي يتعلق في تنظيم المجتمع وفق دائرة طاعة الله فيجب طاعة أولي الأمر طالما هم راشدون ومنا.

شهادة النبي

﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾ [الأحزاب: 45]، واضح أن الصفات الثلاثة هذه متعلقة بشخص النبي بحياته ومارسها على قومه، واستمر ذلك الفعل بعد وفاته بالرسالة بدليل كلمة (أرسلناك) وهي كلمة متعلقة بالرسالة وليس بشخص النبي، فهي الشاهد والنذير والبشير.

الدعوة إلى الله ورسوله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ

﴿**وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ**﴾ [النور: 48].

الدعوة إلى الله متمثلة في اتِّباع رسالته التي أنزلها، ورسوله ليحكم بين الناس على موجبها، ولا تعني أن الرسول مشرع، فالرسول مبلغ وتالي لرسالة الله هذا مفهوم ثابت ما ينبغي أن ننقضه أو نغفله، ولا يصح تشكيل مفهوم وحده بمعزل عن منظومة الحكم لله والتبليغ للرسول، فهذا المفهوم ثابت وهو يوجه معنى أي نص تعلق بذكر الرسول مع الله في أي أمر، وتم ذكر الرسول في النص دون كلمة النبي؛ لأن المقام ليس متعلقًا بشخص النبي نفسه فقط، وإنما هو متحرك إلى كل رسول بعده يحكم بين الناس بما أنزل الله في كتابه، وفعل الحكم بين الناس يتعلق بحياة الحاكم وحضوره.

قضاء الله ورسوله

﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾ [الأحزاب: 36].

نلاحظ في النص أن فعل (قضى) تعلق بمن بعده وهو الله، ولم يكرر فعل القضاء مرة ثانية منفردًا للرسول ليصير (قضى الله وقضى رسوله) ويصير في النص فعلي قضاء مستقلين عن بعض ويصير للرسول قضاء خاص به منفصل عن قضاء الله، وأتت

كلمة (رسوله) لتحدد أن وظيفته التبليغ والتلاوة والتبيين لقضاء الله ولا يؤسس حكمًا هو من عنده، ولذلك أتى آخر النص أيضًا فعل المعصية واحد يتعلق بالله فقط، وذلك يكون عن طريق رفض قضاء الله الذي بلغه الرسول، فالرسول هو الناطق بقضاء الله ومبلغ له وليس مشرعًا، وهذا يقتضي حياة الرسول وحضوره.

التحكيم للنبي كقاضي أو حاكم

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65].

استخدم النص فعل (يحكموك) وهذا يدل على أن الأمر يتعلق بالتحكيم وليس بالتشريع، وحرف (الكاف) للخطاب المباشر الذي يتعلق بالنبي كرئيس لمجتمعه وقاضٍ، ولم يتعلق بمقام الرسول التبليغ والتلاوة والتبيين، ولذلك انتهى النص بكلمة (قضيت) لتعني أن النبي قاضٍ وليس مشرعًا، والقاضي يحكم بين الناس وفق الشرع الذي عنده، ولكن يتخير منه ما يناسب الحدث يتوخَّى الحق والعدل بين الناس، وهذا الأمر مستمر لأي قاضٍ يأتي بعد وفاة النبي؛ لأن فعل التحكيم والقضاء أمر يتعلق بحياة وحضور القاضي.

مفهوم الأسوة والقدوة

مفهوم الأسوة والقدوة إنما هو مثل القدوة بالنبيين الذين مضوا يتعلق ذلك بالمنهج والهدى والأخلاق عمومًا وليس بالأحاديث، فالنبي محمد نفسه مأمور بالاقتداء بالنبيين قبله، ولا يعني ذلك أحاديثهم **﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾** [الأنعام: 90].

مفهوم الأسوة عام ومفهوم القدوة خاص بفعل معين، فعندما نقول للطلاب أن فلان أسوة حسنة لكم نقصد من كلامنا نجاحه وتفوقه وطريقة عمله وليس عين

عمله أو حديثه أو شكل ثيابه...إلخ، فكل طالب له عمله وهدفه الخاص به، بينما فعل الاقتداء يتعلق بفعل معين انظروا اقتداء المصلين بإمامهم في الصلاة، فالقدوة متعلقة بالطريقة العامة للفعل وليس بالتفاصيل والأقوال عينها !

نطق الرسول وحي

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 4].

سياق النصوص تتعلق بما نزل على الرسول محمد، والنص هذا ينفي أن يكون نطق الرسول بالرسالة هو من الهوى أو الشيطان ويثبت أنه وحي يوحى، ولا علاقة لذلك بكلام النبي الشخصي فهو ليس محل النقاش أو الخلاف مع قومه.

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: 29].

النبي بشر يمكن أن يتبع هواه

1. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].
2. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: 1].
3. ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: 37].
4. ﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: 43].
5. ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَن جَاءهُ الأَعْمَى﴾ [عبس: 1-2].
6. ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 67].
7. ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ﴾ [التوبة: 113].

8. ﴿لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 117].

9. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: 1].

10. ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: 2].

11. ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ﴾ [ص: 26].

12. ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28].

13. ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 74].

14. ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24].

15. تحريم ما أحل الله تعالى على النفس ابتغاء مرضات الأزواج أليس اتِّباعًا للهوى؟ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ..﴾.

16. تأجيل تطبيق أمر الله خشية الناس أليس اتباعًا للهوى؟ ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ...﴾.

17. نهي النبي عن إهمال المؤمنين الصابرين بقوله: ﴿**وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا**..﴾

18. هل يمكن أن يأمر الله أو ينهى عن شيء لا يمكن ممارسته (يا داود... لا تتبع الهوى...) ؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ الحَارِثُ الغَطَفَانِيُّ إِلَى النَّبِيِّ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، شَاطِرْنَا تَمْرَ المَدِينَةِ، قَالَ: حَتَّى أَسْتَأْمِرَ السُّعُودَ، فَبَعَثَ إِلَى سَعْدِ بن مُعَاذٍ، وَسَعْدِ بن عُبَادَةَ، وَسَعْدِ بن الرَّبِيعِ، وَسَعْدِ بن خَيْثَمَةَ، وَسَعْدِ بن مَسْعُودٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ العَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّ الحَارِثَ يَسْأَلُكُمْ أَنْ تُشَاطِرُوهُ تَمْرَ المَدِينَةِ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْفَعُوا إِلَيْهِ عَامَكُمْ هَذَا، حَتَّى تَنْظُرُوا فِي أَمْرِكُمْ بَعْدُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَحْيٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَالتَّسْلِيمُ لأَمْرِ اللَّهِ، أَوْ عَنْ رَأْيِكَ، أَوْ هَوَاكَ، فَرَأْيُنَا تَبَعٌ لِهَوَاكَ ورَأْيِكَ؟ المعجم الكبير للطبراني.

عن عائشة قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهنَّ للنبي فأقول: أو تهب الحرة نفسها، فأنزل الله عز وجل: ﴿ترجي من تشاء منهنَّ وتؤوي إليك من تشاء﴾ قلت: والله ما أرى ربك إلا يسارع لك في هواك. سنن النسائي، قال الشيخ الألباني: صحيح.

حدثنا هشام عن أبيه قال:

كانت خولة بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهنَّ للنبي فقالت عائشة: أما تستحيي المرأة أن تهب نفسها للرجل، فلما نزلت ﴿ترجي من تشاء منهن﴾ قلت: يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. البخاري.

إذن ما مفهوم النص: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم: 3-4].

نلاحظ أن النص يبدأ بفعل مضارع (ينطق) فهو ليس ما نَطق وإنما نُطْق جديد لم يكن سابقًا، وهذا ليس كلامه ولا قوله ولا حديثه ولا لفظه، إنه كلام الله كمبنى حديث نزل عليه ليس للرسول إلا أن ينطق به، ويستخدمه في الدعوة والجدال والتعليم.

ويعود ضمير (إن هو) إلى الكلام السابق محل تعلق الكلام والجدال وهو القرءان وليس حديث النبي.

لذا؛ كان هذا النطق الحديث هو محل الخلاف مع قومه وليس كلام النبي أو قوله أو حديثه.

فهذا النطق الحديث ما ينطقه عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وهذا ما يدل عليه سياق النص أيضًا.

لذا؛ من الخطأ الفاحش بتر النص من سياقه وتشكيل فهم خاص لا علاقة له بسياق النص ولا بمنظومة القرءان.

فهذا النص ليس برهانًا على أن حديث النبي مبرأ من الهوى مطلقًا ناهيك عن نفي أنه وحي يوحى، والعصمة للنبي متعلقة بمقام الرسالة وبما ينطقه مما نزل عليه من كلام الله.

تحريم نكاح خالة أو عمّة الزوجة وتحريم الجمع بين الزوجة وابنة عمها أو خالها

لقد ذكر الفقهاء أن حُكْم نكاح خالة أو عمّة الزوجة مباح، والمحرَّم إنما هو الجَمْع في نكاح المرأة مع خالتها، أو عمّتها، وذلك استنباطًا من حُكْم تحريم جَمْع الأختَيْن في نكاح واحد؛ إذْ قالوا: إن علَّة التحريم هي علاقة الرَّحِم؛ والخالة أو العمّة هما رحم للمرأة، وبالتالي؛ تأخذان حُكْم الأخت، من حيث تحريم الجَمْع في نكاحهما من باب أولى.

والملاحظ أن عملية القياس غير منضبطة؛ لانتفاء ذِكْر علَّة تحريم جَمْع نكاح الأختَيْن في النصّ، ممَّا يدلُّ على أن العلَّة المذكورة إنما هي على غلبة الظَّنِّ، وهي من مقاصد الحُكْم، وليست علَّة له، لذلك قال بعض الباحثين بإباحة جَمْع المرأة مع خالتها، أو عمّتها في النكاح، وذلك لعدم ورود النصّ في تحريم الجَمْع بينهما في النكاح، اعتمادًا على أن **الأصل في الأشياء الإباحة إلاَّ النصّ**.

والذي نراه أن نكاح خالة المرأة أو عمّتها حرام أصلًا، مثل تحريم نكاح أمّها تمامًا، فالدخول على البنات يُحرِّم الأمهات بصورة أبدية، قال تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 23].

والنصّ أتى بصيغة الجَمْع لكلمة (الأمّ) بالنسبة للنساء؛ ليُغطِّي الحالات في الواقع الاجتماعي، فأمّ الزوجة بالرضاعة تأخذ حُكْم أمّ الزوجة الوالدة، من حيث حُرمة نكاحها، كما أن جَدّة الزوجة تأخذ حُكْم والدة الزوجة من حيث حُرمة نكاحها، فنلاحظ أن جملة (**وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ**) قد شملت أمّ الرضاعة، والجَدّة من طرف الوالدين، ولم تُحصَر في الأمّ الوالدة (الحماية).

وفي الواقع؛ إن دلالة كلمة (الأمّ) أوسع من ذلك، فهي تشمل أخت الأمّ (خالة الزوجة)، فكلاهما من رحم واحد (الجَدّة)، التي يحرم نكاحها مثل أمّ الزوجة تمامًا، فكيف تكون الجَدّة (الأصل) مُحرَّمة، وأمّ الزوجة المحرَّمة ابتداء، وأخت أمّ الزوجة مباح نكاحها؟

مع العلم أن أخت أمّ الزوجة - في الواقع الاجتماعي - مثل أمّ الزوجة تمامًا (الخالة أمّ)، لذا؛ لا يصحّ قياس إباحة نكاح خالة الزوجة على نكاح أخت الزوجة؛ لأن الخالة أصل، بخلاف علاقة الأخت بأختها، فهما بالمستوى ذاته من حيث ترتيب العلاقات والقرابات.

ولذلك اختلف حُكْم نكاحهما، فخالة الزوجة تلحق بأختها والدة الزوجة (الحماية)، من حيث الحُكْم، كونها أصل مثلها، أمَّا أخت الزوجة؛ فتلحق بأختها من حيث إباحة نكاحها؛ لاشتراكهما بالمستوى ذاته، ولذلك أتى النصّ بتحريم الجَمْع بينهما في النكاح، مع إباحته في حالة التفريق بموت، أو طلاق.

وما ينطبق على الخالة ينطبق على العمّة تمامًا من حيث كونها أصلًا للزوجة؛ إذْ جَدّة الزوجة من طرف الأب يحرم نكاحها بالنصّ ذاته (**وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ**) مثلها مثل جَدّة الزوجة من طرف أمّها، وبالتالي؛ فالحُكْم واحد للجدَّات، والأمّ، والخالة، والعمَّة، ويحرم نكاحهنَّ بصورة أبدية، وتصحُّ القاعدة التي تقول: نكاح البنات يحرِّم الأمهات، والعكس صواب.

وأنا أرى أن القياس على حرمة الجمع في النكاح بين الأختين ينسحب على جمع بنات الأصول مع بعض مثل ابنة العم وابنة العمة والخالة والخال للزوجة فهم مثل الأخت ويأخذون حكم التحريم المؤقت.

لذلك الحديث المنسوب للنبي (نهى النبي عن الجمع في النكاح بين المرأة وخالتها أو عمتها) ليس نصًا قرءانيًا حتى ندرس ألفاظه ويستنبط منها الحكم، فهو يفهم على ضوء القرءان من أن النهي عن الجمع هو لأمر قد حصل أو كاد يحصل في حياة النبي فنهى عن ذلك، ولم يقصد أن النهي مؤقت لوجود صلة الرحم، فالقرءان هو المصدر وله الأولوية في الدراسة والفهم ودل على حرمة نكاح الأصول بشكل أبدي، فالتحريم أتى من القرءان وليس من الروايات التاريخية ولا يهمنا صح سندها أو لم يصح، فالقرءان قائم بذاته وهو في غنى عن المثناة.

نقاش حديث (أحل لنا ميتتان ودمان)

(أُحِلَّ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ السَّمَكُ وَالْجَرَادُ وَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالدَّارَقُطْنِيّ مَرْفُوعًا.

زعم أهل المثناة أن هذا الحديث يستثني من نص تحريم الميتة والدم ما ذكر فيه، وهذا دليل على أن السنة (ويقصدون الحديث) مصدر تشريعي مكمل للقرءان يخص ويستثني من الحرام، وبالتالي يمكن أن يستقل مصدر الحديث بالتشريع عن القرءان وهو مثله بالدرجة وليس تبعًا له ؛بل هو (الحديث) حاكم على القرءان.

اقرؤوا ما قال الشيخ محمد ناصر الدِّين الألباني في رسالته «منزلة السنة في القرءان» (ص17 – 18) أثناء رفضه لحديث معاذ المشهور وتحليله لمتنه:

أقول:

إن حديث معاذ هذا يضع للحاكم منهجًا في الحكم على ثلاث مراحل لا يجوز أن يبحث عن الحكم في الرأي إلا بعد أن لا يجده في السنة، ولا في السنة إلا بعد أن لا يجده في القرءان، وهو بالنسبة للرأي منهج صحيح لدى كافة العلماء وكذلك قالوا: «إذا ورد الأثر بطل النظر».

ولكنه بالنسبة للسنة ليس صحيحًا؛ لأن السنة حاكمة على كتاب الله ومبينة له فيجب أن يبحث عن الحكم في السنة ولو ظن وجوده في الكتاب لما ذكرنا فليست السنة مع القرءان كالرأي مع السنة كلا ثم كلا، بل يجب اعتبار الكتاب والسنة مصدرًا واحدًا لا فصل بينهما أبدًا كما أشار إلى ذلك قوله – صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا إني

أُوتيت القرءان ومثله معه» يعني: السنة وقوله: «لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض».

فالتصنيف المذكور بينهما غير صحيح؛ لأنه يقتضي التفريق بينهما وهذا باطل لما سبق بيانه.

فهذا هو الذي أردت أن أنبه إليه فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والله تعالى أسأل أن يعصمنا وإياكم من الزلل ومن كل ما لا يرضيه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وسوف أترك نقاش كلام الألباني لكم للتدريب على التحليل والنقد.

فهل فعلًا الحديث يحل دمان وميتتان كما زعموا ويستثني حكم التحريم العام الذي ورد في القرءان؟

لنرى هل الكبد والطحال هما دمان أصلًا؟

الطحال: عضو إسفنجي لمفي رقيق، وهو جزء من الجهاز اللمفاوي والجهاز الدوري، وهو مستطيل الشكل، لونه أحمر قاتم، يبلغ وزنه حوالي 180 غم، طوله حوالي 12 – 15 سم، عرضه حوالي 7 – 10 سم.

أما وظائف الطحال فهي تنقية إنتاج كريات الدم الحمراء أثناء المرحلة عندما يكون الإنسان جنينًا ويفقد هذه الخاصية بعد الولادة، كما يقوم بتنقية الدم من المواد السامة وبعض الفيروسات والبكتيريا الضارة كما يقوم بتجميع كريات الدم الهرمة ويتخلص منها، بالإضافة إلى تنظيم كمية الدم التي تمر بالأوعية الدموية.

ومن الجدير بالذكر أن الإنسان يستطيع العيش دون طحال؛ لأن الكبد والنخاع يمكن أن يقوما بوظيفته في الجسم في حال استئصاله.

أما الكبد فيتمتع بوظائف أكثر بكثير من الطحال مع اشتراكه ببعض الخصائص مثل تنقية الدم من السموم والتخلص من كريات الدم القديمة لكنه يمتاز بالكثير من

الخصائص التي تجعل الحياة مستحيلة في حال تعطل لمدة تقارب 24 ساعة، ومن أهم وظائف الكبد أنه يقوم بتحويل المواد التي يأكلها الإنسان إلى مواد يستطيع الإنسان الاستفادة منها، كما يقوم الكبد بتنظيم كمية السكر بالدم أيضًا، حيث يصل عدد الوظائف التي يقوم بها الكبد إلى خمسمائة وظيفة.

إذن؛ الكبد والطحال ليس دمًا وإنما عضوان ولهما وظائف في الجسم مثل أي عضو آخر، ويبدو أن بعض الصحابة أشكل عليه ذلك؛ لأنه رأى نسبة الدم فيهما مرتفعة لطبيعة وظيفتهما فظن أنهما من الدم وسأل سؤاله وأتاه الجواب بإباحة أكلهما وأنهما ليس دمًا، ولكن لظرف ما تم قلب لفظ الحديث أو روي بالمعنى حسب ما فهم الصحابي، ولذلك لا يتعامل العلماء مع الحديث باللفظ والمبنى كالقرءان لوجود الرواية بالمعنى وتدخل فهم الراوي، وهذا على الغالب، فكما لاحظنا أن نص تحريم الدم في القرءان عام ولا يوجد له استثناء قط، والحديث لا يستثني حكم إباحة دم معين وإنما يرفع شبهة الدم عن عضويين.

أما إباحة ميتة البحر فهي ليس استثناء من نص تحريم الميتة لتعلق نص التحريم بميتة البر مع ورود نص يبيح ميتة البحر بنوعيه العذب والمالح ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [فاطر: 12]، فجملة (وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) على عمومها دون تحديد لطريقة الحصول على اللحم الطري منهما، وعمليًّا طريقة صيد الكائنات البحرية تكون غالبًا بإخراجهم من الماء، فيموتون وحدهم دون ذبح أو قتل لكل كائن وحده، وطرق الصيد مختلفة بين الناس. ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ [المائدة: 96]، وجملة (وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ) تدل على إباحة ميتته ولو طفت وحدها على وجه الماء المالح أو العذب أو طفا جزء من كائن بحري مأكول من قبل غيره من الكائنات البحرية، وهذا بشرط

عدم الفساد؛ لأن الفساد يجعله خبيثًا ويحرم أكله.

إذن؛ الحديث يدل على وجود سائل يسأل عن حكم ميتة البحر ظنًا منه أن حكم تحريم الميتة يشمله، وأتى الجواب أن نص التحريم للميتة متعلق بميتة البر وما فسد من ميتة البحر يتبع حكمه نص تحريم الخبائث.

أما ميتة الجراد فهي تبع للحشرات ولا علاقة لها بحكم الميتة وهي تابعة لمفهوم الخبث.

﴿... **وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف: 157].

نهاية الحديث هذا إن صح فهو روي بالمعنى وحسب فهم الراوي، وهو شرح ورفع التباس وقع في ذهن بعض الصحابة، وليس استثناء لنص التحريم للميتة والدم، ولا يصح الاستدلال به على أن الحديث مصدر تشريعي أو مخصص للنص القرءاني فهذا فعل غوغائي وعمل اعتباطي يدل على جهل الذي يقول به، فكما لاحظتم أن نص تحريم الميتة والدم عام ولا يوجد لهما استثناء قط، ولا علاقة للكبد والطحال أو ميتة البحرين بالنص القرءاني، فكيف لرواية ظنية غير محكمة كمبنى، ومختلف عليها كسند، وهي من كلام البشر ترتفع إلى مستوى القرءان وتصير مصدر تشريعي تحكم القرءان كما قال الألباني في رسالته؟

تحريم أكل الحيوانات اللاحمة أو الخبيثة

لقد اشتهر في الفقه التراثي أن تحريم أكل الحيوانات اللاحمة أتى من خلال الحديث النبوي، ولم يأت في القرءان، وعدُّوا ذلك الفهم برهان على أهمية وضرورة الحديث النبوي، وأن القرءان لا يستغني عن الحديث، حتى قالوا: ما أحوج القرءان للحديث، ولولا الحديث لهلك القرءان ! وما أشبه هذه المقولات الضيزى! التي ملأت كتب أصول الفقه، وساهمت في إبعاد المسلمين عن كتاب ربهم إلى صالح التعامل مع الحديث النبوي. فضلوا وأضلوا الأمة معهم.

إن أساس التشريع الإلهي، والأصل الذي ينبغي أن يعتمد عليه هو القرءان. الذي احتوى الشرع الإسلامي كاملًا بحلاله وحرامه وواجبه ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة: 3]، فالقرءان أصل لا يسبقه أحد، ولا يحتاج لأحد أبدًا، فهو حبل الله المتين ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: 103].

فالحرام ما حرمه الله في كتابه نصًا أو بدلالة قطعية، والحلال ما أحله في كتابه سكوتًا. قال تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ**﴾ [الأعراف: 32] ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ**﴾ [التحريم: 1] ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾ [الجاثية: 13] ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [البقرة: 30] ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾ [البقرة: 275] ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ**﴾ [الأنعام: 151] ﴿**وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ**﴾ [الأنعام: 119].

فقام علماء الأصول بترجمة دلالة هذه الآيات وغيرها في قاعدة أصولية وهي

[الحرام مقيد بالنص، والحلال مطلق] أو [الأصل في الأشياء (والأفعال) الإباحة إلا النص ظاهرًا أو دلالة] فإذا ادعى أحدهم أن حكم شيء أو فعل ما حرام، وجب عليه أن يأتي بالبرهان على حرمة ما ذكر، بخلاف حكم الإباحة فهو الأصل في الشيء، ولا يحتاج إلى برهان يدل على إباحته، فحكم الإباحة لا يحتاج إلى برهان بعينه لأن الأصل هو التسخير، بخلاف الحرام فيحتاج القائل به إلى برهان، وإلاَّ يرد قوله إلى الأصل في الأشياء الإباحة إلا النص، وهذا ينطبق على الأشياء والأفعال دون تفريق بينهما.

ومسألة أكل لحوم السباع تخضع إلى ذات القواعد والأصول، فالأصل فيها هو الإباحة لتناولها إلاَّ إذا أتى نص (قرءاني) يحرمها، والدارس لآيات تحريم المطعومات يجد نص التحريم الآتي: ﴿**قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ**﴾ [الأنعام: 145] والنص الثاني في التحريم: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ...**﴾ [المائدة: 3]، والنص الثالث: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...، وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ**﴾ [النحل: 115-116].

وفي النصوص الثلاثة نجد أن المحرمات بالنص عينًا هي ثلاثة أمور فقط لا غير، والرابع صفةً لا عينًا، وأتى ذلك بسياق صياغة الحصر كون أداة (إلا) قد سبقها نفي (لا أجد) وبالتالي فالنص غير قابل للفتح أو الزيادة عليه أبدًا؛ لأن الزيادة عليه تنقض دلالة (إلا) الحصرية ويصير النص عبثًا!

والملاحظ في النصوص ورود كلمة (الدم) الذي هو موجود في كل الحيوانات اللاحمة والنباتية، والبشر منهم ، وحكم تناول الدم (سائلًا أو جامدًا) أكلًا حرام بالنص ، والدم يشارك اللحوم في العناصر الأساسية لبنية الخلية ، وحامل لعناصر بناء اللحم بصورة دائمة ، كما أنه متغلغل في بنية اللحم من خلال وصوله إلى جميع

الخلايا لنقل الغذاء لها ، فهو موجود في بنية اللحم بصورة لازمة ، ولا يمكن فصله عن اللحم في الواقع الغذائي ، مما يقتضي أن يأخذ فعل أكل اللحم حكم تناول الدم ضمنًا من حيث التحريم ، وذلك مثل السم إذا تم دسه في الطعام ، فيأخذ الطعام حكم السم ضرورة لتغلغل السم في بنيته ، فحكم المنع أو النهي متعلق بتناول السم عينًا واقتضاءً يتناول النهي عن تناول الطعام المسموم.

وهكذا يدخل تحريم أكل اللحم اقتضاءً في حكم تحريم الدم منطوقًا، فيحرم أكل جميع الحيوانات اللاحمة والنباتية، والبشر منها على حد سواء، هذا ما أتى النص به في منطوقه ومقتضاه!. والاستثناء من نص التحريم السابق ما ينبغي أن يتوجه إلى منطوقه (الدم) أبدًا،لأنه يحصل التناقض مع صياغة الحصر التي أتى نص التحريم بها، ولكن ممكن أن يتوجه إلى مقتضى النص (لحوم الحيوانات) ويستثني بعضًا منها.

وهذا ما حصل في التشريع؛ إذ قال تعالى: ﴿**أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ**﴾ [المائدة: 1] نلاحظ أن النص أتى مستخدمًا كلمة [أحلت لكم] بخلاف القاعدة الأصولية التي تقول: إن المباح لا يحتاج إلى نص من باب أن الأصل في الأشياء الإباحة إلا النص. فما سبب إتيان نص الإباحة لبهائم الأنعام؟ والسبب ما ذكرنا آنفًا من أن التحريم أتى عامًا للدم بمنطوق النص، واقتضى تحريم لحومها؛ لأن الدم داخل في بنيتها لزومًا، وذلك بصياغة الحصر للمنطوق الذي هو (الدم) وعمومية المقتضى الذي هو (اللحوم) فانتفاء وجود نص يستثني حكم تحريم بعض اللحوم يقتضي استمرار دلالة التحريم عمومًا لكل الحيوانات اللاحمة والنباتية، ومن أجل ذلك أتى نص يستثني بهائم الأنعام من حكم التحريم العام السابق، واقتضى أن يأتي صياغة نص الإباحة بصياغة [أحلت لكم] لوجود نص التحريم العام سابق عنه.

والمستثنى من الحرام هو بهائم الأنعام فقط، مما يؤكد استمرار حكم التحريم على البهائم المنتفي عنها صفة (الأنعام) ! فما هي بهائم الأنعام؟ قال تعالى: ﴿ **كُلُوا وَارْعَوْا**

أَنْعَامَكُمْ﴾ [طه: 54] ﴿**وَفَاكِهَةً وَأَبًّا، مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**﴾ [عبس:31-32] ﴿**فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ**﴾ [السجدة: 27].

إذن ، بهائم الأنعام هي بهائم نباتية ليست لاحمة، فتكون البهائم النباتية هي المستثناة بقوله تعالى: [أحلت لكم بهائم الأنعام] من نص التحريم العام [حرمت عليكم] و[قل لا أجد فيما أوحي إلي محرمًا على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير] مع استمرار حكم التحريم للدم بمنطوق النص، وتحريم لحوم البهائم اللاحمة بمقتضى النص.

وبذلك يظهر لنا أن القرءان قد تناول حكم أكل لحم الحيوانات اللاحمة (السباع ومنها الكلاب والضباع) وأعطاها حكم التحريم وكذلك لحم البشر، وبناء على ذلك يظهر لنا صحة متن الحديث النبوي الذي يقول: «حرم عليكم كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير» لتوافقه مع دلالة النص القرءاني، إذ هو ترجمة لدلالته ليس أكثر.

فهو بين يدي القرءان لا يتجاوزه أو يسبقه، فالنص القرءاني هو القاضي والمسيطر والمهيمن على أفهام الجميع على حد سواء. أما حيوانات البحر فهي مباحة على إطلاقها اعتمادًا على أن الأصل في الأشياء الإباحة إلا النص.

وانتفاء وجود نص تحريم متعلق بالحيوانات البحرية يدل على إباحتها دون استثناء أو تفريق بين لاحم أو نباتي، ويبقى حكمها يرجع لنوع غذائها هل هو خبيث أم طيب. ومن هذا الحكم المباح العام أتى قوله تعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ...** ﴾ [المائدة: 96]، وذلك خطاب للإنسان المحرم بالحج؛ إذ حرَّم المشرع عليه الصيد بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ...** ﴾ [المائدة: 95].

واستثنى حكم تحريم صيد البحر بالنص السابق، فهو ليس نصًا لتبيين حكم أكل

الحيوانات البحرية، لأن ذلك معلوم من خلال سكوت الشارع عنه، وإنما هو نص لإباحة صيد البحر للإنسان المحرم الذي أراد الحج. بخلاف صيد البر فهو حرام عليه.

أما سوى ذلك من الحيوانات فحكمها يخضع لقاعدة (الخبائث) وهي صفة لازمة لما حرم الله من المطعومات عينًا ، وصفة عارضة للحيوانات الأخرى. قال تعالى: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾ [الأعراف: 157] فأي حيوان طائرًا كان أم زاحفًا أم جاريًا يتناول في غذائه الخبث يحرم أكله، وحكم التحريم مرتبط بغذائه، فإن كان أساس غذائه الخبث بصفة لازمة له، يأخذ حكم التحريم الدائم، نحو جرذ المجاري، وإن كان غذاءه الخبث بصورة عارضة، يأخذ حكم التحريم ما دام يتغذى بالخبث، فإن عُلِفَ طاهرًا وأُبْعِدَ عن الخبث يرجع إلى حكم الإباحة، نحو الأنعام والطيور التي تتغذى بالقاذورات أو الأشياء العضوية، فتحرم ما دامت تتغذى بذلك، وترجع إلى حكم الإباحة إذا عُزلت وعُلفت طاهرًا. وهذه الحيوانات معروفة في كتب الفقه باسم (الجَلاَلَة).

الخلاصة

1. أكل الميتة (البرية) حرام، وتناول الدم حرام، ولحم الخنزير حرام بالنص عينًا.
2. يحرم أكل الحيوانات (السباع والطيور والبشر) اللاحمة بدلالة مقتضى النص.
3. كل حيوان نباتي مباح أكله عمومًا، مع توجيه بعض منها لوظائف الركوب والحمولة نحو الفيلة والخيل والحمير والبغال، وما شابه ذلك من حيوانات الخدمة والتسخير المعلومة.
4. الحيوانات (البرمائية) تندرج تحت قاعدة الحيوانات البرية ، فما كان منها لاحمًا مثل التمساح فيحرم أكله ، وماكان منها نباتيًّا مثل فرس النهر يباح أكله.

5. كل حيوان يتغذى بالخبث يأخذ حكم الخبيث ويحرم أكله استمرارًا أو عارضًا، فالحكم يدور مع الغذاء الخبيث مثل الضفادع والزواحف التي تتغذى على الحشرات.

6. ميتة البحر (المالح) أو صيده مباح على إطلاقه.

7. ميتة الأنهار والبحيرات (العذبة) يرجع حكمها إلى صلاح أو فساد الميتة، وتخضع لقاعدة الخبائث.

8. الحيوانات (الماء برية) مثل البطريق والفقمة حكمها حكم الحيوانات البحرية.

9. الطيور التي تتغذى على صيد البحر حكمها حكم الحيوانات البحرية مثل الحوت والقرش يباح أكلها.

وما سوى ذلك من الحيوانات على كافة أنواعها سكت المشرع عنها، وترك حكم أكلها للمجتمع يقرر ذلك من خلال العلم والمصلحة العامة، ويكون منعًا علميًّا أو بيئيًّا أو اقتصاديًّا أو عرفيًّا أو ذوقيًّا... إلخ وليس حكمًا شرعيًّا له صفة الأبدية.

نقد رأي «عدنان إبراهيم»
مفهوم الطاعة المستقلة للنبي محمد

بداية ينبغي أن نعلم أن المفهوم الأصولي والإيماني لا يؤخذ من أهداب نص واحد بمعزل عن المنظومة التي ينتمي إليها ناهيك عن بناء مفهوم من لفظة واحدة، فهذا عمل عشوائي غوغائي يمكن أن نصل منه لمفاهيم مضحكة ومخالفة للقرءان ذاته مثل من يأخذ فقط (فويل للمصلين) أو (لا تقربوا الصلاة) أو (لا إله)، فنصف الكلام لا جواب له، ولو كان كلام الله.

وأريد من القارئ أن يكون حرًّا في تفكيره، ولا يطلب أدلة على البداهة والأمور المسلم بها منطقيًّا، وليشاركني في الفهم والتدبر ويسير معي بوعي وبينة؛ لأني لن أدخل بالتفاصيل كثيرًا وسوف أعتمد على ذكاء القارئ ونباهته ومعلوماته.

مفهوم الطاعة كأمر يتعلَّق بكائن حيٍّ حتى يعلم الواقعة ويعلم حكمها وينطق بالحكم ويشرف على تطبيقه، وهذا أمر بديهي، ولذلك أتى الأمر بطاعة الله وهو حيٌّ لا يموت، وأتى الأمر بطاعة أولي الأمر وهم الأحياء المشرفون على زمام أمور المجتمع والقائمون بأمره، وليس الأموات، فالميت لا يمكن أن يكون محل طاعة، ولذا غير مفهوم تنفيذ الوصية للميت، فهي من باب الاتباع لرغبته وتنفيذ أمره فيما وصى به، ولا علاقة للميت في غير ذلك من شؤون الحي وما يظهر معه من مشكلات أو أحداث.

ولذلك لم يأت أيضًا الأمر بطاعة النبي إبراهيم وهو إمام النبيين والناس جميعًا، وإنما أتى أمر باتباع ملته﴿قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴾[آل عمران:95]، حتى أن الأمر بالاتباع أتى للنبي محمد نفسه ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[النحل:123]، لذلك لم تأت صيغة الطاعة في القرءان متعلِّقة بكلمة نبي أو اسم شخص بعينه مثل (أطيعوا النبي) أو (أطيعوا محمدًا).

وهذا يدل على أن كلام الناس - والنبيون منهم- وأوامرهم ليست حقًّا بذاتها ولا برهانًا على شيء إلا إن اعتمدوا على كلام الله أو العلم أو المصلحة للناس، وحينئذ تكون طاعتهم ليست لشخصهم وأقوالهم ورأيهم، وإنما طاعة لله أو العلم أو مصلحة الناس، وكل ذلك يكون ببرهان وعن بينة وبصيرة ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:108].

تؤخذ مفاهيم ومعاني كلمات القرءان من القرءان وفق اللسان العربي المبين الذي نزل به فهو حجة وبرهان على كلام الناس واستخدامهم وما شاع بينهم أو ما وضعوا من قواميس وليس العكس، فكلمة السنة أتت في القرءان بمعنى الطريقة الثابتة المستمرة، وفي اللسان العربي هي الطريقة العملية الثابتة، اقرؤوا:

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[الفتح:23]،

فسنة الله هي أمر سنني وليست قولًا أو حديثًا، وهي بمعنى القانون الثابت الذي يستخدم في خلق الأشياء أو تسييرها.

هذا مفهوم السنة ولا قيمة لأي اصطلاح وضعي خلاف ذلك وليس ملزمًا لنا، وما ينبغي أن نستخدمه في الدراسة القرءانية على أساس أنه أمر مسلم به، والقرءان بلسانه العربي المبين الذي نزل به هو الحجة والبرهان.

فما ينبغي أن نقول: إن السنة هي أقوال وأفعال وإقرار النبي وما همَّ به وصفاته الخَلقية والخُلقية وغزواته وما شابه ذلك، وما تركوا شيئًا إلا وألحقوه بالسنة حتى حال بوله وبرازه ونومه وأكله وزواجه...إلخ.

ولم ترد كلمة السنة مضافة للنبي أو الرسول أو محمد في القرءان البتة، فالسنة في القرءان هي سنة الله خلقًا في عالم الآفاق والأنفس.

وكذلك كلمة الحديث وهي تدل على الحداثة في الشيء قولًا أو فعلًا، ولم تأت كلمة الحديث في القرءان مضافة للنبي أو الرسول أو محمد، وإنما أتت مضافة لله، وتعني القرءان ذاته.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية:6].

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:6].

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[الزمر:23].

ومن خلال ذلك نصل إلى أن القرءان لم يعط أي قيمة علمية أو دينية لما يسمى اصطلاحًا سنة النبي أو حديثه عند الناس، والسنة والحديث في القرءان هما لله فقط. وبالتالي لا قيمة للمصطلح الشائع بين الناس سنة للنبي عملية وسنة قولية، فالسنة لا تكون إلا عملية حصرًا، ولا يوجد سنة نبوية تكون مصدرًا للدِّين أو التشريع، فهذا ينقض القرءان أساسًا غير أن السنة كمفهوم لا علاقة لها بمفهوم التشريع حرام وحلال وواجب، فهي مجرَّد طريقة ثابتة كفعل، وعلى افتراض ثبوت الفعل ذلك عن النبي تتابعًا في الأمة فهي ليست مصدرًا دينيًّا وطبيعي ليست مصدرًا تشريعيًّا والفعل ليس ملزمًا لأحد.

كلمة الرسول واضحة من معناها تعني حمل رسالة معينة، ولا تعني أبدًا أن حامل الرسالة مشرع؛ لأن ذلك ينقض رسالته ووظيفته أصلًا، والقرءان حدد

وظيفة الرسول فقال:

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[العنكبوت:18].

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:67] .

﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[النمل:92].

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الأنعام:151].

فمهمة الرسول التبليغ والتلاوة لما نزل عليه من الذكر، ولم يطلب الرب منه تبليغ فهمه الشخصي أو قوله أو حديثه للناس.

وصلنا الآن إلى مفهوم عظيم ومهم وهو تعهد الرب بحفظ الذكر الذي أنزله فقط، ولم يتعهد بحفظ كلام أحد أو فهمه أو حديثه...إلخ، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر:9]، وصدق الرب في ذلك وفعلًا تم حفظ الذكر الحكيم كمبنى في الأمة وتتابع ذلك في ذاكرتهم الحفظية وتلاوته في صلاتهم ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ [العنكبوت:49].

وتم الحفظ أيضًا لمفاهيمه ومعانيه في ثنايا المبنى المرتبطة بالواقع كآفاق وأنفس، ولذلك نزل بلسان عربي مبين يُدرس وفق منهج حنيف على محور الثابت والمتغير

والمقاصد والمنافع، ويُصَحِّح فهم المجتمعات كلما أخطئوا وابتعدوا عن القرءان، بينما الواقع يشهد أن أحاديث النبي تعرضت للاندثار والتحريف والكذب والافتراء بسبب عوامل كثيرة أهمها عامل السياسة وشرعتنها وإعطائها مفهوم ديني مقدس وظهر على أثر ذلك مفهوم العصمة والإمامة وعدالة الصحابة وتعدد المصادر الدِّينية التشريعية، وهذا غير الدس لمفاهيم إيمانية في القرءان من باب التأويل والتدبر مثل مفهوم المهدي ونزول المسيح أو شبيهه واخترعوا أحاديث لذلك...إلخ.

فهل برأيكم يمكن أن يعلِّق الله فهم دينه وكتابه بقول بشر أو حديثه، لم يتعهد هو بحفظه؟

أليس القاعدة تقول: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؟

فهل تعهد الله بحفظ حديث نبيه أو فهمه؟

هل من الحكمة ونفي الظلم عن الله أن يحاسبنا على فهم لم يحفظه لنا وتحرف في الواقع؟

إن قال أحدهم: نعم حديث النبي محفوظ، فقد اتهم الله بالكذب وإخلاف وعده؛ لأن الواقع يقول غير ذلك، ولا قيمة علمية لمن يذكر مقولة: إن الخطأ الجزئي في فكرة أو مصدر أو كتاب لا ينفي الصواب والفائدة فيما بقي منه، فهذا الكلام صواب على فعل البشر؛ لأن الأصل في فعلهم الخطأ والقصور، ولا يمنع ذلك من الفائدة من أعمالهم، ولكن وفق البرهان والبينة فكلامهم ليس حجة بذاته ولا برهان.

ولكن المقولة غير صواب على المصدر الدِّيني الرباني؛ لأن أي خطأ فيه على مستوى المبنى أو المعنى مهما صغر كاف لنقضه وسحب الثقة منه ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾[النساء:82]، على صعيد المبنى الصوتي والمعنى مع محل الخطاب من آفاق وأنفس.

ولذلك كان القرءان حجة بذاته لا يحتاج لمن يقول به، ونستدل به ولا نستدل عليه فهل حديث النبي حجة بذاته كمبنى ومعنى وقائم وحده أم هو ظني كمبنى وكمعنى ويحتاج لغيره ليقوم صحة؟

والدِّين قد كمل نزولًا في كتاب الله فصار هو الجامع والمكمل لما سبق، وقد حوى بين دفتيه شرع الله وحفظه ولا يوجد دين خارجه، فمفاهيم الإيمان هي ما أتت في القرءان، والحرام والحلال والواجب ما نزل بالقرءان وفق نظام منطقي تشريعي معروف لدى الباحث بالقرءان.

وعلى سبيل المثال وليس الحصر قاعدة: (الأصل في الأشياء الإباحة إلا النص أو ما دل عليه النص استنباطًا قطعيًّا، والحرام مقيد بالنص أو استنباطًا قطعيًّا منه، والحلال مطلق ولا نطبق المباح إلا منظمًا من قبل المجتمع).

هذه القاعدة هي من أهم قواعد الأصول التشريعية التي على موجبها تم تحريم نكاح جدة الزوجة استنباطًا من كلمة (وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ) وذلك لعموم دلالة كلمة أمهات والفرق بينها وبين كلمة الوالدات، وكلمة أم تشمل الجدة وكل ما علا من الأصول، وتم فهم تحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير(البهائم اللاحمة) من نص تحريم الدم، ونص (أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ) .

وكذلك تحريم الجمع بالنكاح بين المرأة ومحارمها (خالة وعمة) مؤقتًا فهمًا من نص (وأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ) [رغم أن لي رأيًا آخر وهو التحريم المؤبد وليس المؤقت، ليس هذا مكان بسطه ونقاشه]، فهذه الأمور لم تحرم بالحديث النبوي، وإنما بالقرءان وفق فهم واستنباط قطعي للنصوص يقوم على المقاصد والعلل، ولا يؤثر على الفهم هذا رفض قوم للحديث النبوي أو ضعفه أو صحته عند آخرين، فلا يتغير الحكم لثبوته بالقرءان، ولكن يحتاج لمن يستنبطه ويعلمه.

وقد يقول قائل: (وهو قد انتظر كثيرًا حتى نذكر ذلك) وكيف وصلت الصلاة لنا

وعدد ركعاتها أليس من الحديث النبوي؟

والجواب باختصار هو أن الصلاة نزل حكمها بالقرءان وهيئتها العامة وأركان ما اصطلح على تسميتها بالركعة (قيام وركوع وسجود) وأوقاتها، وأتى التفصيل العملي بما سوف نصطلح عليه بالسنة الرسالية، وهي تطبيق الرسول لأمر قرءاني ذو هيئة عملية ثابتة لا تخضع للتطور وهي متعلِّقة بالشعائر التعبدية فقط (الصلاة والحج)، وتتابع ذلك في مجتمعه بحضرته باستمرار دون انقطاع للمجتمع اللاحق.

وهكذا تتابع في الأمة طريقة الصلاة والحج، وما أتى في داخلها من أذكار وأدعية هي اختيار نبوي تأول القرءان بها مثل عندما نزل قوله تعالى:﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[الواقعة:96]، قال: اجعلوها في ركوعكم، وعندما نزل قوله تعالى:﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾[الأعلى:1]، قال: اجعلوها في سجودكم، ولك أن تلتزم بذلك وهو الأولى، ولك أن تعمل مثله وعلى نمطه من القرءان لا مانع من ذلك.

فأين المصدر التشريعي بما اصطلحنا عليه السنة الرسالية؟ هل بدأت تشريع حكم واجب أو حرمت شيء؟

وسواء أكانت السنة الرسالية فهم وتفاعل النبي مع القرءان واستنباط منه أم وحي عملي تعليمي نزل خارج القرءان فالنتيجة واحدة ولا يتغير شيئًا من كون السنة الرسالية ليست مصدرًا دينيًّا تشريعيًّا، وإنما هي طريقة عملية تعبدية فقط تابعة للمصدر الدِّيني المتمثل بالكتاب الإلهي فقط.

من قال عن مفهوم الحكمة هي السنة - بمعنى حديث النبي - هو الشافعي في كتابه الرسالة حسب ما أعلم، وبقوله هذا ضل وأضل معه غالب الأمة- بصرف النظر بقصد أو دونه- فنحن ليس بصدد محاكمة شخصه، والحكمة في القرءان من الحكم وهي تدل على المنع ومنه قولنا: نص محكم أي: غير ملتبس الفهم ولا هو احتمالي، لنر كيف أتى استخدام كلمة الحكمة في القرءان.

الحكمة التي نزلت على النبيين وحي وهي جزء من الكتاب الإلهي وليس خارجه، فهي ليس حديث النبي ولا قوله ولا سنته.

﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:231].

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مُّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاُّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:113].

وبعد دراسة مفهوم الحكمة في القرءان وجدنا أنها أتت على صنفين:

الأول: الحكمة هي وصف لآيات ونصوص متعلِّقة بالتشريع والتوجيه والتعليمات.

انظر سورة الإسراء من نص ﴿لاَّ تَجْعَل مَعَ اللّهِ إِلَـهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾[الإسراء:22]، إلى نص ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:39].

الثاني: الحكمة بمعنى المنهج وقواعد التفكير والحكم والفهم، وأوتيت للنبيين ولغيرهم، وهي قابلة للتعلم والدراسة والاكتساب.

﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾[البقرة:269].

﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:125].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[لقمان:12].

فالحكمة بنوعيها التشريعي التعليمي والمنهجي كلاهما موجودان في القرءان وتعلمهم النبي من الكتاب، مع إمكانية تعلم الحكمة المنهجية لغير النبيين دراسة وتعليمًا وتدريبًا.

مفهوم الطاعة للرسول في القرءان شكَّل لَبْسًا عند كثير من الباحثين عبر التاريخ الإسلامي، ودراسته على درجة من الصعوبة ويحتاج لفهم عميق وتدبر، وسوف نقوم بدراسته بصحبتك أيها القارئ النحرير، فهيِّئ ذهنك وقلبك للتفكر والتدبر، وقبل ذلك أريد أن أذكرك بمفاهيم المنظومة التي ذكرتها ليتم استخدامها واستصحابها في الدراسة.

1. لا يصح دراسة كلمة أو نص بمعزل عن المنظومة التي ينتمي إليها.
2. المنظومة والواقع يحكمان فهم دلالة الكلمة لسانيًّا، ويقدم مفهوم المنظومة والواقع على دلالة الكلمة لسانيًّا.
3. الطاعة لا تكون إلا لحيٍّ.
4. الاتباع يكون لمنهج وملة وليس لشخص أو حديثه ولا يهم حياته أو وفاته.
5. لم يرد في القرءان أمر الطاعة متعلِّق بكلمة النبي أو اسم محمد.
6. القرءان حجة بذاته في خطابه ومفاهيمه ولسانه الذي نزل به، ولا قيمة لأي مصطلح وضعي متعارف بين الناس في الدراسة القرءانية وليس هو حجة علمية وغير ملزم لأحد.
7. لم يرد ذكر كلمة السنة أو الحديث في القرءان مضافين للرسول أو للنبي أو لمحمد قط.
8. كلمة السنة والحديث في القرءان إنما هما سنة الله وحديثه.

9. دلالة كلمة الرسول بحد ذاتها تنفي التشريع وتدل على التبليغ والتلاوة فقط، الرسول مبلغ وليس مشرعًا.

10. السنة لا تكون إلا طريقة عملية ثابتة، ولا علاقة لها بالأقوال والأحاديث.

11. السنة كطريقة عملية متتابعة في الأمة لا تحتاج إلى عنعنة وسند ورواة.

12. تعهد الله بحفظ الذكر الذي أنزله فقط ولم يتعهد بحفظ فهم النبي أو قوله أو حديثه.

13. الكتاب الإلهي جمع وحوى كل التشريع الإلهي، ولم يترك لأحد من الخلق حق التشريع الإلهي معه للناس، وإنما أعطاهم حق التشريع الجزئي والتحرك ضمن حقل التشريع الإلهي وكلياته ومقاصده وحدوده تنظيمًا وتطورًا وإبداعًا ومنعًا وسماحًا وفق مصلحتهم والأنسب لهم.

14. لم يؤمر الرسول إلا بتبليغ ما نزل عليه من ربه وهو الذكر الحكيم، وبالتالي فقول النبي أو حديثه ليس من التبليغ الإلهي.

15. ينبغي أن نفرق بين حكم طبقه النبي تبليغًا لما نزل عليه من الذكر الحكيم مثل الصلاة والحج، وبين حكم أو فهم طبقه النبي سياسة من خلال تفاعله مع الكتاب الإلهي والواقع واختار ما هو أنسب لمجتمعه، فالأول من الدِّين والثاني من أمور المعيشة والسياسة والحياة الدنيا، ولكل مجتمع حياته ودنياه وسياسته.

16. الحكمة وحي وهي جزء من الكتاب وليس خارجه، ولا علاقة لها بسنة أو بحديث النبي ولا بغيره.

17. الحكمة المنهجية اكتسابية، ويمكن أن يصل إليها الباحث دراسة وتدبرًا وتعليمًا.

18. النبي بشر وقد انتهى دوره الرسالي والدعوي والتعليمي بوفاته.

19. الدِّين مستمر بمعزل عن النبيين والرسل ويسير بقوة ربانية علمية كونية.

20. العلماء والدعاة الراشدون هم حملة الدِّين إيمانًا وطوعًا ودعوة وتعليمًا.

21. كلمة الرسول في القرءان لا تعني النبي محمدًا حصرًا أينما أتت.

22. كلمة الرسول يمكن أن تطلق على القرءان ذاته كونه يحمل الرسالة بعد وفاة الرسول البشري.

﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:80].

عود على مفهوم الطاعة

أطيعوا الله والرسول

وعند التقصِّي، والبحث في النصوص القرءانية، اخترنا نصين يمكن أن يكونا محورًا، وقاعدة للبحث ويتم فهم كل النصوص على ضوء تدبرهما:

1. ﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 32].

2. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنواْ أَطِيعواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[النساء: 59].

وعلماء التفسير لم يفرقوا بين وجود فعل طاعة واحد مشترك لله والرسول في النص الأول، وتكرار فعل الطاعة وفصله للرسول، وعطف عليه أولي الأمر في النص الثاني، وأعطوا لمفهوم الطاعة للرسول في النصين معنى واحد.

وهذا العمل منهم خطأ فاحش، لأن أي زيادة في المبنى إنما هي زيادة في المعنى، ووجود هذه الكلمة مكررة دون معنى زائد، هو حشو، ولغو منزه عنه النص القرءاني.

إذن؛ ينبغي أن يكون اختلاف في المعنى بين الآيتين.

فلو قال قائل: سافر زيد وعمرو إلى دمشق.

نفهم من ذلك أن سفر زيد وعمرو مشترك مع بعضهما في وقت واحد.

بينما لو قال: سافر زيد وسافر عمرو إلى دمشق.

لفهمنا أن سفر كل منهما مستقل عن الآخر، ومنفصلان.

فنصل من خلال هذا الشرح إلى أن طاعة الرسول في القرءان هي نوعين:

الأول: طاعة متصلة بطاعة الله:

﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 32].

الثاني: طاعة منفصلة عن طاعة الله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[النساء: 59].

والطاعة المتصلة هي طاعة في أصلها لله عز وجل، وذُكر الرسول معه متصلًا؛ لأن طاعة الله لا يمكن أن تتم إلا من خلال طاعة الرسول فيما يتلو علينا من أوامر الرب، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا..﴾[الأنعام:151]، ولاحظوا في بدء النص فعل الأمر (قل

أطيعوا الله والرسول..) بمعنى صار النص على الشكل التالي: قل يا محمد للمؤمنين أطيعوا الله والرسول، فكلمة الرسول لا ترجع إلى شخص محمد فهو مأمور بالقول، والأمر بالطاعة يشمله هو نفسه كونه أول المؤمنين، فتجب عليه طاعة الرسول الذي هو الرسالة ذاتها التي نزلت عليه، وهو قام بفعل تبليغها وتلاوتها في مقام الرسول، بينما الطاعة المنفصلة أتت بعد فعل الطاعة لله عز وجل في أوامره الشرعية.

وبعد الانتهاء من ذلك جاء الأمر مستقلًا بطاعة الرسول، وعُطف عليه مباشرة أولي الأمر دون تكرار فعل الطاعة لهم، وذلك يدل على أن فعل الطاعة ذاته كمضمون مستمر من الرسول إلى أولي الأمر.

ولنعرف محل تعلُّق طاعة الرسول المنفصلة عن طاعة الله ندرس محل طاعة أولي الأمر كونهم معطوفين على الرسول والمعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه منطقيًّا، ودائرة طاعة أولي الأمر هي أمور المعيشة والحياة الدنيا تنظيمًا وسماحًا ومنعًا، وهذا يدل على أن مادة الطاعة لهم غير متعلِّقة بالدِّين والتشريع من حرام وحلال وواجب، لأن ذلك داخل في فعل الطاعة لله الأول.

وبذلك عرفنا أن طاعة الرسول يقصد بها دائرة المباح تنظيمًا ومنعًا وسماحًا، ولم تأت في النص قرينة تدل على أن دلالة كلمة الرسول هو النبي محمد، أما كلمة الرسول الثانية في النص ذاته فليس المقصد منها دلالة كلمة الرسول الأولى، وإنما المقصد منها الرسول الذي هو القرءان فيكون المعنى إن تنازعتم في شيء مع الرسول البشري ابتداء من النبي محمد، ومن يقوم مقامه من الدعاة والعلماء طوعًا وإيمانًا وأولي الأمر منكم فردوه إلى الله ويكون ذلك إيمانًا منكم، وإلى الرسول تعني القرءان الذي بين أظهركم لذلك لم تذكر كلمة أولي الأمر مرة ثانية؛ لأنهم هم طرف بالنزاع.

إذن؛ طاعة الرسول وأولي الأمر في النص مشتركان بشيء واحد، ويقصد بها الدائرة التي هي خارج عن دائرة الدِّين، وليس هي إلا دائرة المباح، فتكون طاعة الرسول كنبي وقائد اجتماعي يأمر وينهى وينظم العلاقات ضمن دائرة المباح، وهذا

مستمر من بعد النبي في كل رسول يقوم مقامه، وتم استخدام كلمة الرسول ليستمر المعنى زمانيًّا؛ لأن كلمة النبي متعلِّقة بشخصه وينتهي دورها بوفاته.

الآن سوف نحدد النقاط التي هي محل النقاش التي ذكرها «عدنان إبراهيم» في فهمه لهذا النص، فقال ما معناه:

1. الأمر بطاعة الرسول المنفصل عن طاعة الله يدل على وجوب الأخذ بالسنة وحجيتها في الدِّين.

2. لا يعقل أن يستشهد الإنسان بقول أفلاطون وسقراط وغيرهم من العظماء ولا يستشهد بقول النبي العظيم.

3. طالما أتى في النص كلمة الرسول فتعني تعلُّقها بالتشريع.

4. كون كلمة الرسول أتت منفصلة عن طاعة الله بفعل مستقل يدل على وجود أمور في الدِّين والتشريع يقول بها الرسول وهي ليست تشريعًا مستقلًا عن القرءان؛ لأنه ثبت لدينا أنه لا مشرِّع إلا الله، وحصل ذلك كله في كتابه العزيز، مما يعني أن هذه الطاعة متعلِّقة بفهم وتدبر النبي محمد لحكم شرعي يوسعه فهمًا واستنباطًا مثل تحريم جمع المرأة وخالتها أو عمتها في النكاح أو تحريم البهائم اللاحمة...وادَّعى أن هذا الفهم لم يؤت لمن قبله حسب علمه.

وأخيرًا، وصل بناءً على هذا أن السنة حُجَّة في الدِّين وثابتة وما ينبغي أن ننكرها، والقرءانيّون جهلة، وربما حمقى ويسيئون الأدب لرفضهم السنة، بينما هو لا ينكر السنة وينفي عن نفسه أنه قرءاني، وينفي عن قوله التناقض ويتهم المستمع بقصور فهمه ويطلب منه التواصل معه أو المجيء لعنده حتى يعلِّمه ويفهمه، والموضوع كبير وربما يحتاج لسبعين أو ثمانين حلقة لتوضيحه.

فيمارس الإرهاب الفكري وإرعاب القارئ والمستمع ويوهمه أن الموضوع -فعلًا- لا يمكن فهمه ببضع جلسات.

عزيزي القارئ

أنا أرى أن الرد عليه حصل وانتهى من مجرد انتهائك من قراءة المنشور واستخدام ما عرضته من منظومة في الفهم والتدبر أعلاه، ومع ذلك لنقم بنقد النقاط للتدريب على التحليل والنقاش، ولسهولة القراءة سوف أعيد نشر كلام «عدنان إبراهيم» وأعلق تحته.

1- الأمر بطاعة الرسول المنفصل عن طاعة الله يدل على وجوب الأخذ بالسنة وحجيتها في الدِّين.

ج- الملاحظ أن «عدنان إبراهيم» يستخدم مفهوم السنة بالمعنى السطحي الشعبي السائد فهو لا يفرق بين مفهوم السنة ومفهوم الحديث، ويقول بالسنة العملية والسنة القولية، وهذا الاستخدام لا قيمة له علميًّا ولا قرءانيًّا كما بينَّا في الدراسة أعلاه، وفعل أطيعوا يتعلَّق بالأقوال والأحاديث وليس بالفعل؛ مما يعني أنه لا علاقة له بمفهوم السنة قرءانيًّا ولسانيًّا كونها طريقة عملية ثابتة، وينبغي أن يحصر بحديث النبي فقط ويدرس على هذا النحو.

هل حديث النبي عند «عدنان إبراهيم» حجة في الدِّين وثابت بذاته؟

والجواب معروف من خلال كلامه وتعامله مع الحديث النبوي، فهو يرفض أي حديث يخالف القرءان أو حديث يخالف العلم، وينفي عن النبي صفة التشريع ويعد الرسول مبلغًا وليس مشرِّعًا، فما معنى كلامه السابق: (السنة حجة في الدِّين وهي ثابتة)؟

2- لا يعقل أن يستشهد الإنسان بقول أفلاطون وسقراط وغيرهم من العظماء ولا يستشهد بقول النبي العظيم.

ج- هذا الكلام عاطفي وليس علميًّا ولا برهانًا على شيء، فليس هو محل النقاش والاختلاف، فنحن لا ننكر ثبوت قسم كبير من الأحاديث عن النبي وفق منهج قرءاني وعلمي، ولا مانع من الاستشهاد بها في أماكن أو مواضع كثيرة على

سبيل الحكمة والتربية، ولكن ننفي قطعًا أن تكون مصدرًا تشريعيًّا أو برهانًا بحد ذاتها، وهذا هو نفسه ينفيه عمومًا، وصار موضوع الاستشهاد بالحديث النبوي أمرًا شخصيًّا لا نلزم أحدًا به، ولا ننكر على من لا يستشهد به، فمادة الحديث النبوي مادة تاريخية معتبرة في تراثنا للباحثين والدارسين وليس للناس، وما صح منها وفق منهج علمي قرءاني هي تفاعل النبي مع القرءان والواقع واختيار الأحسن له، وهي من مقام النبوة، وليس من مقام الرسول التبليغي.

3- طالما أتى في النص كلمة الرسول فتعني تعلُّقها بالتشريع.

ج- أكيد كلمة الرسول تعني: يوجد كائن يحمل رسالة، والنص لم يذكر أن الرسول هو النبي محمد نفسه، ولفهم دلالة كلمة الرسول في النص ينبغي استحضار المنظومة وما ثبت لدينا لنفهم الدلالة على موجبها؛ لأن النص وحده لا يبني مفهومًا إيمانيًّا أو أصوليًّا.

المفهوم الثابت عند كلينا هو: إن الرسول مبلغ وليس مشرعًا، وهذا يعني أن طاعة الرسول البشري المستقلة قطعًا لا يوجد فيها تشريع لاحقٌ للقرءان واستدراك عليه، وقد بينًّا سابقًا أن طاعة الرسول المستقلة بهذا النص كونها معطوف عليها أولي الأمر أخذت مفهوم تعلُّق الطاعة ذاته من منطلق أن المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه، فإذا لم نعرف تحديد حكم المعطوف عليه ندرس حكم المعطوف وما نصل إليه نسحبه للمعطوف عليه.

ونحن عرفنا أن المعطوف له صفة الطاعة خارج حقل ومجال الدِّين ويكون في دائرة المباح تنظيمًا ومنعًا وسماحًا.

وهذا يعني أن طاعة الرسول المعطوف عليه له الحكم ذاته خارج دائرة الدِّين وليس هو إلا الأئمة والعلماء والدعاة والمربون كونهم رسل يحملون رسالة الله إيمانًا بها وتعليمًا ودعوة وتزكية ابتداء من المعلم الأول النبي محمد وبعد وفاته يستمر ذلك الأمر بالطاعة لمن بعده من حملة الرسالة، وهذا المفهوم يفرضه المنظومة وهي أقوى من عزل كلمة من سياقها وفهمها وحدها.

4- كون كلمة الرسول أتت منفصلة عن طاعة الله بفعل مستقل يدل على وجود أمور في الدِّين والتشريع يقول بها الرسول، وهي ليست تشريعًا مستقلًا عن القرءان؛ لأنه ثبت لدينا أنه لا مشرِّع إلا الله وحصل ذلك كله في كتابه العزيز، مما يعني أن هذه الطاعة متعلِّقة بفهم وتدبر النبي محمد لحكم شرعي يوسعه فهمًا واستنباطًا مثل تحريم جمع المرأة وخالتها أو عمتها في النكاح أو تحريم البهائم اللاحمة...وادَّعى أن هذا الفهم لم يؤت لمن قبله حسب علمه.

ج4- أقر عدنان بقاعدة: إن الرسول مبلغ وليس مشرِّعًا ونفى عنه أي استدراك على القرءان أو استقلال بتشريع، وهداه فهمه لفهم الطاعة المستقلة للرسول عن طاعة الله إلى قوله: إنها فهم وتدبر توسعي في بعد وعمق النص القرءاني، وليس إضافة له، فالمعنى كامن في النص والنبي استنبطه، وهذا كلام صواب وصحيح ونحن نقول به ولا نرفضه.

ولكنه يتابع فيقول: وهذا الفهم والتدبر هو من التشريع وتابع له بمعنى أنه محفوظ مع النص القرءاني، وإلا لا قيمة لكلامه قط، والواقع المعروف لديه قبل غيره أن الحديث النبوي ليس محفوظًا، ولو كان كلامه صوابًا لوجب على الله أن يحفظ فهم النبي وتدبره لنا؛ لأن الحكمة الإلهية تقتضي ذلك، فالحساب على شيء يقتضي حفظه لنا وإلا صار الله ظالمًا يحاسب الناس على شيء لم يحفظه لهم، فتدبر النبي وفهمه ليس من الذكر الحكيم وليس هو محفوظًا ولا يسمى سنة، ولا يوجد أي نص قرءاني يدل صراحة على وجوب طاعة حديث النبي كما صرح عدنان نفسه بذلك عندما ناقش بعض نصوص القرءان ونفى عنها الدلالة على وجوب مصدر الحديث النبوي.

واختار هذا النص فقط ظنًّا منه أنه أقوى نص يدل على ذلك، ومع ذلك صرف معناه من المصدر التشريعي إلى المصدر التعليمي والتوجيهي عندما حصر الطاعة المستقلة بتدبر النبي وفهمه، وناور بذلك ليثبت مفهوم السنة باستخدام مفهوم الحديث وخلط بينهما خلطًا عجيبًا، ورغم نفيه لثبوت الحديث علميًّا، وعده آحادًا بمعنى الظنِّ الذي لا يصلح للبرهنة وبناء أي مفهوم إيماني أو حكم شرعي، إلاَّ أنه

قال بشرط قوة الحديث وارتقائه إلى درجة العزيز (بمعنى أن السند يكون عن أكثر من اثنين في كل درجة) لعلمه نفي التواتر عن الحديث أصلًا.

والسؤال لعدنان إبراهيم: هل فهم النبي وتدبره من الذكر الحكيم وتعهد الله بحفظه؟

هل ربط الله فهم كتابه حصرًا بفهم شخص معين ولو كان النبي محمد؟

هل فهمُ النبي محمد لنص معين وحي أم استنباط واجتهاد منه؟

أليس المعنى والمقصد التشريعي كامن في النص الإلهي وبالتالي يمكن لعالم وباحث أن يصل إليه؟

هل تستطيع أن تثبت لنا الأحاديث التي رويت عن النبي كفهم وتدبر للنص القرءاني بشكل قطعي الثبوت؟

كيف نعلم أن هذا الحديث المنسوب للنبي كتدبر وفهم لنص قرءاني أنه قد أصاب بفهمه وهو المقصد الإلهي؟

الرد عمومًا موجه لعدنان إبراهيم، وأنا اعتمدت على علمه وثقافته في فهم كلامي وأبعاده، فعذرًا من القارئ إن وجد بعض الصعوبة في الفهم أو عدم التفصيل للأفكار.

وبعد قراءة الرد والنقد هل تجدون «عدنان إبراهيم» يؤمن بمصدرية الحديث النبوي، وهل هو فعلًا ليس قرءانيًّا؟

لماذا المناورة والنفي عن نفسه أنه قرءاني(مع العلم أننا نقدم أنفسنا باسم مسلمين حنفاء كما سمانا القرءان ذاته) واتهام الآخرين بالجهل أو الحمق كلما سنحت له فرصة بأي وسيلة إعلامية؟

هل من يتصدر العلم والمنابر وهو بمستوى «عدنان إبراهيم» معذور بالجهل مثلًا، أو مسايرة العوام في مسألة إيمانية أصولية ومصيرية؟

سوف أترك الحكم للقارئ فهو حرٌّ بتفكيره.

نقاش جاد مع أزهري يحترم علمه

جاء دكتور أزهري زيارة لمنزلي في القاهرة وجرى الحوار التالي بيننا

قال الدكتور: أنت تنكر السنة.

قلت: أتريد أن أناقشك كرجل باحث دكتور متعلم أم أعاملك كعامي؟

قال: أنا دكتور في أصول الفقه، وحبذا لو تحدثني كذلك.

قلت: سهلت علي النقاش كثيرًا فسوف تفهم بسرعة.

ما تقول بالقاعدة اللسانية المنطقية: إذا اختلف المبنى اختلف المعنى؟

قال: قاعدة صواب وهي علمية وأنا أتبنى ذلك.

قلت: أحسنت رائع، أخبرني ما الفرق بين السنة والحديث إذن؟

قال: أتريد التعريف الاصطلاحي؟

قلت: هل الاصطلاح برهان أو دليل على شيء أم هو مجرد اصطلاح لمن يستخدم الكلمات حسب ما يريد ولا يلزم إلا قائله، والمقولة تقول: لا مشاحة في الاصطلاح طالما لا تغير من الحقيقة شيء ولا يوجد فيه لبس أو إشكال.

قال: لا شك الاصطلاح ليس برهانًا ولا يلزم إلا صاحبه.

قلت: إذن ؛ تحدث معي بعلم وأخبرني بالمعنى لكلمة سنة وكلمة حديث والفرق بينهما؟

قال: السنة معروفة لسانيًّا أنها الطريقة وهكذا أتت في القرءان، والحديث هو الشيء الجديد سواء أكان فعلًا أو قولًا أو شيئًا.

قلت: هل ورد في القرءان إضافة كلمة سنة أو حديث للنبي محمد تحت أي اسم له؟

قال: أكيد لم يرد هذا في القرءان، والذي ورد إضافة كلمة سنة وحديث لله.

قلت: أتوافقني بقولي: إن معظم العلماء دلسوا عندما قالوا: إن مصادر الدِّين أو التشريع أربعة وذكروا: القرءان والسنة والإجماع والقياس، وعند التطبيق استبدلوا السنة بالحديث؟.

قال: نعم أوافقك، ولا أدري لماذا فعلوا ذلك هل هو عمدًا وبسوء نية أم لأسباب أخرى مجهولة.

قلت: لن نحاكم رجال التاريخ الآن ولا نريد أن ندخل بالنوايا، المهم أنت تدرك هذا الخطأ الفادح والتدليس الذي وقعوا فيه عندما استبدلوا السنة بالحديث ونشروا ذلك في الأمة على أساس أنه علم وحقيقة ودين؟

قال: نعم أدرك ذلك وبوعي.

قلت: إذن حصل عندك جواب لسؤالك الأول الذي بدأت به نقاشك معي وهو أنت تنكر السنة؟ وعلمت أن الأمر ليس فيه إنكار وإنما فيه ضبط لمفهوم السنة والحديث.

قال: أخبرني عن موقفك من سنة النبي وحديثه باختصار؟

قلت: حسنٌ، إذن مفهوم سنة النبي أو حديثه ليس مفهومًا مؤسسًا على القرءان.

قال: تأسس من مفهوم الأمر بطاعة النبي واتِّباعه.

قلت: هل ورد في القرءان صيغة فعل أمر بطاعة النبي أو محمد أو اتِّباعه كشخص؟

قال: فهمت عليك ماذا تقصد، لم يرد فعل الأمر بالطاعة مقترنا بكلمة النبي أو محمد أو شخصه بمعنى (أطيعوا النبي) أو (أطيعوا محمدًا)، ولكن ورد مقترنًا بكلمة الرسول (أطيعوا الرسول).

قلت: هل تجيز منطقًا تعلق الطاعة بميت؟

قال: الطاعة هي فعل يتعلق بأمر أو نهي وهذا لا بُدَّ له من كائن يأمر وينهى، ولذلك لا يتعلق فعل الطاعة بميت ولا بُدَّ أن يكون حيًّا ليأمر وينهى ويعلم جدوى

أمره أو نهيه.

قلت: رائع، وأنا مسرور جدًّا بالنقاش معك وبتجاوبك ومرونتك وتفعيل علمك.

قال: إن لم نستخدم علمنا والمنطق، فلماذا درسنا إذن وحصلنا على شهادة الدكتوراه!

قلت: إذن، لا تجيز تعلق الطاعة بميت، فكيف تفهم نص (وأطيعوا الرسول) ؟

قال: النص القرءاني﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ [النساء: 59]، أتى بفعل طاعة لله مستقلًا، وأتى بفعل طاعة للرسول وأولي الأمر، وهذا يدل على استقلال طاعة الرسول عن طاعة الله، وهذا تأسيس لطاعة للرسول غير طاعة الله، وليس هي إلا ما أمر به الرسول أو نهى في أحاديثه.

قلت: لن أخوض معك بتفاصيل في مفهوم الرسول وصواب إطلاقه على الرسالة ذاتها، خاصة بعد فصلها عن حاملها البشري فهذا موضوع كبير وطويل، ما تقول بقاعدة أن المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه؟

قال: لا شك قاعدة صواب.

قلت: أتى بالنص أمر بطاعة الرسول وعطف عليه أولي الأمر ليشاركوه في فعل الطاعة ذاته، ولمعرفة طاعة الرسول في النص هذا نعرف محل تعلق طاعة أولي الأمر، وبعد تحديدها نسحبها على طاعة الرسول كونه معطوف عليه وهو الأصل، أليس كذلك؟

قال: تفضل تابع.

قلت: أخبرني محل تعلق طاعة أولي الأمر هل هو بالدِّين والتشريع الإلهي أم بأمور الدنيا وتنظيم ممارسة الحلال منعًا أو سماحًا أو تقييدًا؟

قال: طالما أن الأمر بطاعة الله أتى منفردًا وحده ومستقلًا، فلا شك لا شريك معه بالتشريع الثابت الدائم المتعلق بالواجب الدِّيني أو الحرام أو الحلال للناس، وهذه الدائرة مغلقة غير مسموح بالدخول إليها وممارستها من قبل أحد.

قلت: رائع جدًّا، إذن، ماهو مفهوم تعلق أمر أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم؟

قال: بناء على ذكرك محل تعلق طاعة أولي الأمر وهم معطوفين على الرسول يكون محل طاعة الرسول هو أيضًا في ذات الدائرة خارج الدِّين وهي دائرة الحلال كما ذكرت، ولكن لماذا أتت كلمة رسول ولم تأت كلمة نبي أو محمد؟

قلت: ملاحظة جيدة ودقيقة، أنت تعرف أن المفهوم الإيماني أو الأصولي لا يبنى من أهداب كلمة لسانيًّا فقط بمعزل عن السياق ومحل الخطاب والمنظومة التي ينتمي إليها المفهوم، وفي مسألتنا هذه لا بُدَّ من استحضار المنظومة التي تضبط مفهوم الطاعة ومفهوم الرسول، وقد فعلنا أثناء حديثنا وقررت أنت بنفسك أن طاعة الرسول المستقلة هي خارج دائرة الدِّين المتعلقة بطاعة الله وحده لاشريك له، وتكون في مجال دائرة الحلال فقط، واستخدمت كلمة الرسول في النص لتشمل النبي محمدًا في حياته وتستمر بعد وفاته لكل من يحمل الدِّين علمًا ودعوة إيمانًا وطوعًا وتكون طاعتهم في دائرة الحلال وفق علم وعن بصيرة محكومين بطاعة الله الأساسية ويعطف عليهم بالطاعة أولي الأمر.

قال: ولكن الأحاديث أتت تشرح وتفسر وتخصص نصوص القرءان، فهي لازمة له.

قلت: كلامك هذا يدل على أن الحديث محفوظًا وجوبًا من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولا يتم فهم القرءان إلا بالحديث فيصير حفظ الحديث واجب على المشرع مثل حفظ القرءان أو يصير المشرع ظالمًا، وينتفي عنه الحكمة في حال ترك حفظ الحديث للناس والواقع يثبت أن الناس أهملوه وحرفوه وكذبوا على لسان النبي، وهذا يعني أن الحديث غير محفوظ وليس من الدِّين بشيء، وهب أن الحديث

صحيح ووصل لنا، هل تقول باستقلاله بالتشريع عن القرءان؟

قال: لا يستقل الحديث عن القرءان بالتشريع أبدًا، وإنما هو تابع له وبين يديه، يشرح معنى النص ويقربه للناس.

قلت: إذن تقول: إن النص القرءاني قائم بذاته مستغنٍ عن غيره من كلام البشر ويحمل مفاهيمه ومعناه في مبناه ومحل تعلق الخطاب من الواقع؟

قال: نعم الأمر كذلك.

قلت: ألا تجد أن منهجنا وقولنا هو ذات ما تقول أنت ولا يوجد فرق بيننا إلا إننا نقول: بصراحة إن السنة غير الحديث، وأن الحديث ليس مصدرًا دينيًّا ولا تشريعيًّا، والقرءان يستغني عنه ولا حاجة له وهو غير محفوظ، وهو - الحديث- تفاعل النبي مع القرءان والواقع بزمنه حسب قانون النفعية والأحسن والأنسب لقومه، وكل عالم يقوم بهذا التفاعل مع القرءان بزمنه ويختار الأنفع والأحسن والأنسب.

قال: أنا أفهم الأمر هكذا وأضرب لطلابي مثلًا لأقرب لهم مفهوم السنة والحديث، فأقول لهم: إن مرضت أذهب للطبيب لأتعالج وأتحدث معه في شأن مرضي وآخذ الدواء المناسب لي، مفهوم السنة أن تعملوا مثلي حين مرضكم وتذهبوا لطبيب مناسب لكم، فالعمل هذا هو السنة، أما حديثكم مع الطبيب عن المرض فهو خاص بكم ولكل مرضه ودواءه وعلاجه، ولا أستطيع أن أقول لهم بصراحة: إن الحديث النبوي هو أمر خاص به وبقومه وهو مادة تاريخية تفاعلية غير ملزمة لمن بعده، والملزم أن نفعل مثله بتفاعله مع القرءان وندرسه نحن بأدواتنا المعرفية.

قلت: المسؤولية كبيرة ولا بُدَّ من تقوى الله، والله أحق أن تخشاه.

وانتهى الحوار والنقاش على أفضل وجه، وكان من أروع النقاشات التي حصلت معي من دكتور أزهري يحترم علمه ويقف عنده ويفعل التفكير الحر المنطقي والقرءان بلسانه العربي المبين.

رد على الأسئلة الثلاثة في المناظرة التي ادَّعى الدكتور «محمد رياض» أنها عقلية

بسم الله وبه نستعين

لقد رد الأستاذ «غسان النبهان» على الأسئلة الثلاثة أثناء عرضه وحواره في المناظرة، وتكرر الجواب أيضًا في التعليقات، ولكن يبدو أن طريقة تعامل الطرف الآخر مع إخراج الكتابة أو الصياغة الفكرية منعته من إدراك المعنى والمفهوم، ولم يحصل عنده الجواب ربما لأنه لم يتعود القراءة العقلية القرءانية المنطقية التحليلية الاستقرائية.

ومع ذلك قام الأخ «عبد المجيد عقيل» بالإجابة عن الأسئلة الثلاثة بأسلوبه ومنطقه يريد أن يبسط الفكرة والأسلوب عسى أن يفهم الطرف الثاني ويدرك الأجوبة. ولكن المفاجأة أن الطرف الآخر لم يقبل الرد بحجة أنه اعتمد على النقل واتهمه بالنسخ واللصق من كتب أو موقع معين، وتابع قوله: إن أسئلته عقلية، وبالتالي يريد الرد عقليًّا. وهذا نص كلامه ورده على الأخ «عبد المجيد عقيل»:

Mohammad Riyad

أين الإجابة على الأسئلة العقلية عزيزي، كلكم تنسخون وتلصقون من نفس الموقع، وضع الإخوة هذه المداخلة أو مضمونها سابقًا مرات كثيرة أطرح عليك حججًا عقلية فتجيبني بقال الله.؟

هناك فرق بين تحاجج عقلي كالذي طرحته يرد عليه بالبرهان العقلي وبين تحاجج نقلي يرد عليه بنقل!

أول مرة أرى شخصًا يجيب عن حجة عقلية بـ(قال الله). انتهى كلامه.

ونقول للدكتور «محمد رياض»:

بداية، هل فعلًا الأخ «عقيل» كان ينسخ ويلصق النصوص القرءانية دون فهم ولا منهج وليس بمكانها المناسب؟

ثانيًا: أليس القرءان برهانًا عند الطرفين ومسلمًا به كونهما مسلمين، فالنقاش ليس بين مؤمن وملحد؟

ثالثًا: عندما نتكلم عن فكرة ونثبتها بالقرءان بنص صريح الدلالة والتعلق بها ألا يكون هذا برهانًا على الفكرة؟

رابعًا: هل البرهان تفصيل وحسب ما يطلبه الجمهور، أليس الفكرة تثبت بالبرهان أيًا كان نوعه طالما أنه يثبت الفكرة وهو من جنسها؟

خامسًا: أليس الحوار أو النقاش في موضوع ديني، وبالتالي من الطبيعي أن يكون برهان الأفكار قرءانيًا؟

سادسًا: هل النص القرءاني الذي يثبت فكرة واقعية هو مجرد خبر غيبي أم هو نص يشهد له الواقع ويصدقه، وبالتالي يكون برهانًا منطقيًا عقليًا؟

سابعًا: هل يصح اشتراط نوع البرهان في النقاش ومواصفاته؟ أم يُكتفى بالبرهان أيًا كان نوعه لإثبات الفكرة؛ لأن النقاش على الفكرة وليس على أنواع البراهين؟

ومع ذلك سوف ننزل إلى مستوى الدكتور «محمد رياض»، ونناقشه كما يريد وبأسلوب تدريسي تفصيلي، ولن أزيد على ما عرضه الأخوان «غسان وعقيل» شيئًا من حيث المضمون، ولابد من إعادة نص الدكتور ليتذكره القراء ويستحضروه.

Mohammad Riyad

السلام عليكم.

بداية، أود توضيح المحاور التالية حتى لا يختلط الأمر على البعض. فأنا هنا الليلة لإثبات أن للسنة النبوية وهي: (فعل الرسول أو قوله أو تقريره) حجة في الشرع، أي: إلزامية من ناحية مبدئية وليس للدفاع عن كتب الحديث كالبخاري ومسلم وغيرهم.

البرهان العقلي على حجية قول الرسول وفعله وتقريره:

1. الرسول هو المبلغ عن ربه، ومن مقتضيات ذلك أن يكون معصومًا عن الخطأ في تبليغ الشريعة وتطبيقها وتفسيرها، لأنه لو أخطأ في التبليغ لفسدت الرسالة وبطلت، وكذلك إن أخطأ في تفسير الرسالة وتبيانها وتوضيحها وتفصيلها للناس تفسد أيضًا، وبما أن رسالته هي القرءان، فوجب عقلًا أن يكون معصومًا ليس فقط في تبليغه له، بل وفي شرحه وتفصيله وتبيانه للناس.

2. الرسول هو المخاطب الأول بالقرءان، فإن لم يفهم كيف يفسره ويبينه ويشرحه ويفصل أحكامه للناس، مفاد ذلك أن الله كان عابثًا باختياره إياه، وإن أقررنا أنه أفضل من فهمه. لزم من ذلك أن يكون تبيانه له (قولًا أو فعلًا) حجة على غيره.

3. حتى لو قلنا أن الرسول كان يجتهد من تلقاء نفسه في فهم أحكام التشريع، فإن ذلك لا يعدو أحد احتمالين: إما بافتراض إمكانية وقوع الخطأ منه، وهنا يصبح الله عابثًا؛ إذ يختار رسولًا لتبليغ رسالة ثم يفسرها هذا الرسول على نحو مغاير لقصد الله.

أو أن يكون مصيبًا، فإن كان مصيبًا ولا محالة حتى لا يكون الله عابثًا صار لقوله حجة حتى ولو لم يكن رسولًا؛ لأننا مأمورون باتِّباع الحق إن عرفناه. انتهى كلامه.

المدقق في مضمون الأسئلة الثلاثة يجد أن مضمونها واحد، ومع ذلك سوف نحاول أن نجزئ الجواب عليها عسى أن يفهم.

ج1- قوله: إن الرسول مبلغ عن ربه، وهذا يقتضي العصمة في تبليغ الرسالة. هذا كلام صواب وليس محل خلاف وثابت عقلًا ونقلًا ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة:99]، والرسالة نزلت بلسان عربي مبين ومهمة الرسول التلاوة لها على الناس﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[يونس:57]،﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[الأنعام:151]، هل يوجد أحد من الناس لم يفهم ذلك؟ أخبروني من لم يفهم ما تلا الرسول فليرفع يده؟

هل أخطأ الرسول في تلاوة ما نزل عليه للناس؟ كلا لم يخطئ.

هل بلغ الرسول الرسالة؟ نعم قد بلغ.

هل يوجد أحد منكم لم يفهم ما بلغه الرسول من حرام وحلال وواجب؟ كلاَّ؛ كلنا فهمنا الحرام والحلال والواجب.

وهذا يعني أن الرسول مبلغ، وليس مشرِّعًا. وتاليًا وليس شارحًا أو مفسرًا.

والغريب أن نجد الدكتور محمد- بطريقة أو أخرى- أقحم بالفكرة السابقة الثابتة فكرة أخرى ليست ثابتة ولا يوجد عليها أي برهان عقلي ولو ادَّعاه، أو نقلي، وهي قوله:(ومن مقتضيات ذلك أن يكون معصومًا عن الخطأ في تبليغ الشريعة وتطبيقها وتفسيرها) فكرة التبليغ انتهينا منها. وبقي قوله: (وتطبيقها وتفسيرها) أين البرهان العقلي على أن الرسول له تطبيق أو تفسير للرسالة يا دكتور؟ وهل مجرد ادِّعائك أنها فكرة ثابتة بالعقل يعني أن ذلك صواب، وثبتت بالعقل فعلًا؟ وتريد نقضها بالعقل؟ ألا تعلم أن ما لم يثبت بالعقل لا ينقض بالعقل!

قال الدكتور محمد: البرهان هو لأنه لو أخطأ في التبليغ لفسدت الرسالة وبطلت، وكذلك إن أخطأ في تفسير الرسالة وتبيانها وتوضيحها وتفصيلها للناس تفسد أيضًا، وبما أن رسالته هي القرءان، فوجب عقلًا أن يكون معصومًا ليس فقط في تبليغه له، بل وفي شرحه وتفصيله وتبيانه للناس.

يعود الدكتور للخلط بين التبليغ للرسالة وما يترتب عليها من عصمة ويسحبه بشكل غير علمي إلى أمر آخر غير ثابت وليس هو مهمة الرسول أصلًا، ويفترضه افتراضًا، ويعطيه حكم التبليغ وهو العصمة له أيضًا في التفسير والبيان والتطبيق، وذلك دسًّا تحت حكم التبليغ، وهذا تأتى من إعطاء الرسول مهمة التفسير والتطبيق والبيان، فيا دكتور محمد نحن متفقون على أن الرسول مبلغ، وتالٍ للرسالة، وهو معصوم بذلك المقام الرسالي، فمن أين جئت بأن الرسول مفسر، ومطبق للرسالة؟ مع العلم أن ما على الرسول إلا البلاغ المبين؟ فصاحب الرسالة نفسه لم يجعل الرسول مفسرًا أو أن تطبيق الرسول حجة وبرهان يضاف للرسالة.

هو رسول، هل فهمت ماذا تعني كلمة رسول؟ تعني: التبليغ والتلاوة للرسالة.

هل عندك الرسالة غامضة ومبهمة بحيث لا يفهم السامع، ويحتاج من يشرح له الكلمات والمفردات والأحكام والمفاهيم التي تهمه في دينه؟ لنرى ذلك ونجرب:

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:151].

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:90].

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص].

هذه النصوص وأمثالها المتعلقة بالدِّين هي تحت متناول أفهام الناس ويدركون مفاهيمها ومعانيها عندما يسمعونها. انتبه يا دكتور إلى جملة (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) الرسول يقوم بتلاوة ما حرَّم الرَّبُّ علينا. وليس بتفسير أو شرح لها، ثم إن نصوص الكتاب الإلهي ليست كلُّها متعلِّقة بالدِّين، فمعروف أنه يوجد القصص والأخبار الغيبية والعلمية الكونية وهي المادة الأكبر في الكتاب الإلهي، وليست هي تحت متناول كل أفهام الناس، وهي تحتاج لدراسة وعلم وتدبر وامتلاك أدوات معرفية.

فينبغي أن نفرق بين ما هو نصوص دينية معروفة لكل الناس ونصوص قرءانية تحتاج لعلم ودراسة وتدبر وهي متاحة لمن يشاء التعلم. والعلم بالتعلم، ولم يقم الرسول بالتعرض لها قط دراسة أو تدبرًا. لذلك لا يوجد كتاب تفسير باسم الرسول محمد تناقله الناس مع القرءان.

ومع هذا الشرح السهل والبسيط والمفهوم، فسوف أضرب لك مثلًا لعلك تفهم:

عندما يرسل ملك رسولًا برسالة إلى ملك آخر، يقوم الرسول بتوصيل الرسالة للملك ويتنحى الرسول جانبًا. وينبغي أن تكون الرسالة مكتوبة بلسان واضح ومعلوم للملك، وإن كانت بغير لسانه يأتي بمترجم محلف أمين يترجمها للسان الملك كما هي دون زيادة أو نقصان.

والسؤال : هل الملك يتعامل مع الرسالة ذاتها أم يدعو الرسول ليشرحها له ويعلمه إياها ويُدَرِّسه؟

وهل مكتوب بالرسالة : استعن بالرسول فهو عنده التفصيل وإكمال الرسالة؟

يتعامل الملك مع الرسالة وبناء على فهمه لها يتصرف ويتخذ القرار بمعزل عن الرسول.

ونعود لفكرتنا...

أنزل الله رسالة (نصوص الأحكام) في كتابه بلسان عربي مبين محكمة كمبنى ومعنى، حتى لا يختلط الفهم على الناس ويقعون بالتباس ويضلون عن الحقيقة، فقال على سبيل المثال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[النساء:23].

هل يسأل أحدٌ: ماذا تعني كلمة أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم؟

هل يسأل أحدٌ: ماذا تعني كلمة (حرمت عليكم أمهاتكم) هل تعني: تحريم أكلهم أم تحريم مجالستهم أم تحريم نكاحهم؟

وأنزل أيضًا:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النحل:115].

هل يسأل أحدٌ: ماذا تعني كلمة (الميتة والدم ولحم الخنزير)؟

هل يسأل أحدٌ: ماذا تعني كلمة (حرم عليكم الميتة والدم)، هل تعني: النكاح لهم أم التصوير بجانبهم وعناقهم؟ أم ماذا تعني؟

الرسالة نزلت من عالم حكيم إلى إنسان عاقل متعلم. الله عالم بما يقول وينزل، ويعلم أن الإنسان يفهم ويعلم ما يقصد الله من قوله: (حرم عليكم) في كل نص من خلال تعلق الخطاب بمحله من الواقع فالميتة والدم محل للغذاء، والأمهات والأخوات كنساء محل للنكاح، فلا يلتبس على المتلقي للرسالة الفهم، ولا يحتاج

ذلك لعلم وذكاء ودراسة سنوات طويلة، والحجة قائمة على الناس جميعًا في تلك الرسالة، ولا يتدخل الرسول بذلك قط،خاصة أنه سوف يتنحَّى جانبًا بوفاته، وتستمر الرسالة بحفظ الله وعنايته مستمرة لمن بعده يتعاملون معها.

أين يا دكتور محمد تفسير الرسول أو تطبيقه في مثل تلك النصوص؟

ألا تلاحظ علاقة الناس بالرسالة مباشرة يتجاوزون الرسول. وعندما ينفذون هذه الأمور ويطيعون الرسول فيما تلا عليهم هم يطيعون الله حقيقة عن طريق تلاوة الرسول للرسالة وليس طاعة للرسول ككائن بشري.

هل وقف أحد من الصحابة وسأل الرسول أي سؤال يتعلق بهذه الأمور المحكمة المعنى؟

ومختصر الكلام وبناء على شرحنا نقول: الجواب على السؤال الأول هو من وجهين:

الوجه الأول: مقام الرسول ووظيفته التلاوة والتبليغ وهو معصوم. وهذا غير مقام النبي ووظيفته التعليم والتزكية وهذا غير معصوم فيه. ولم يكن التعليم يومًا وحيًا أو تشريعًا أو محفوظًا أو يتجاوز المقرر الإلهي، والمعلم والمتعلمون محكومون بالكتاب الإلهي ذاته، ويتحاكمون إليه، ويعرفون صواب المعلم من خلال تطابق قوله مع المقرر الدراسي فهو لا يخرج عنه، ومثل ذلك كمثل المعلم الذي يُدرس الطلاب المقرر عليهم فلا يخرج عنه ولا يتجاوزه.

وعندما يتوفَّى المعلم يقوم معلم آخر بتدريس الطلاب المقرر ذاته لا يخرج عنه فهو يحكم كل المعلمين. وغير ملزم أي معلم بطريقة شرح أو فهم معلم سابق. فالحجة الملزمة هو المقرر الدراسي فقط، والطلاب سوف يُمتحنون بالمقرر وليس بفهم المعلم أو بمعلوماته الخاصة إن عرضها عليهم خارج المقرر، ولا يصح لأي طالب أن يحتج على طريقة معلم بمخالفته لمعلم سابق.

جميع المعلمين والطلاب ملزمون بالمقرر الدراسي فقط والكل يرجع له، ولا يقوم أي معلم بإضافة شيء على المقرر، وغير معنيين الطلاب الجدد بشرح المعلم السابق. فهم يتعاملون مع المقرر الدراسي ومعلم جديد.

والفرق بين الرسول والنبي هو أمر ثابت منطقًا ولسانًا، لنقرأ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[الحج:52].

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم:51].

يا دكتور محمد؛ نحن متفقون أن الخطاب القرءاني حق وصدق ومحكم، ولا يوجد فيه عبث ولا حشو. وهذا يقتضي صواب القاعدة المنطقية اللسانية التي تقول: إذا اختلف المبنى اختلف المعنى.

ولا يصح أن تقول: هذا مصطلح خاص بكم ولا يلزمني. هذا علم ومفهوم منطقي وقرءاني ما ينبغي أن ترفضه اعتباطًا. انقده علميًّا.

فدلالة كلمة النبي غير دلالة كلمة الرسول. والأمر ليس شوربة أو كله صابون !

والنصان استخدما كلمة نبي وكلمة رسول في سياق واحد فإن كان لا يوجد فرق بينهما، فهذا يعني العبث والحشو في النص، وحسب المنطق الذي تدعي أنك تستخدمه يلزمك القول بأحد احتمالين:

- **الاحتمال الأول**: القول بوجود العبث والحشو والاعتباط بالخطاب القرءاني، وبالتالي القاعدة غير صواب، ويمكن لأي كلمة أن تكون بدل أي كلمة.

- **الاحتمال الثاني**: أن تنفي عن الخطاب القرءاني الحشو والعبث والاعتباط، وتثبت أن الخطاب القرءاني يقوم على الحق والصدق والعلمية، وبالتالي فالقاعدة المنطقية اللسانية صواب.

وأنا أظن أنك تقول بالاحتمال الثاني،وهذا يعني ثبوت الفرق بين دلالة كلمة النبي وكلمة الرسول ضرورة ملزمة لك.

والتفريق بين وظيفة النبي ووظيفة الرسول لا يخفى عليك أو ينبغي أن لا يخفى عليك، وإن خفي فالقرءان أمامك قم بترتيل كل النصوص التي استخدمت كلمة النبي وكلمة الرسول وانظر وظيفة كل منهما، ولاحظ هل أتى مع كلمة النبي أي أمر بطاعته. أو أتى أن النبي وظيفته التلاوة والتبليغ، أم أن اختلاف صيغ الخطاب في القرءان غير مهمة ولا تدل على شيء عندك؟

الوجه الثاني: أنت لصقت وظيفة التعليم والشرح والتفسير والتطبيق مع وظيفة الرسول التبليغ والتلاوة، وسحبت حكم عصمة التبليغ إلى هذه الأمور دون بينة ولا منطق، بمعنى آخر أنت أعطيت للرسول وظيفة النبي ودمجت بين المقامين، أين البرهان على هذا الدمج؟ أعطني نصًّا قرءانيًّا يثبت للرسول وظيفة الشرح والتفسير والتطبيق؟ طبعًا لا يوجد أي نص يدل على ذلك، وما عرضته حضرتك وادَّعيت أنه برهان عقلي قد بينا لك أنه مجرد ادِّعاء وليس برهانًا قط، فالرسول مبلغ وتالٍ وليس مشرعًا ولا شارحًا.

والمتلقي للرسالة فاهمًا ما يتلى عليه من أمور متعلقة بدينه، وإن شرح النبي شيئًا من حكم أو نص تكليفي فهو لبعض الناس الذين أشكل عليهم، بينما الباقي يعلمون ذلك من النص ذاته. خاصة أنه ليس كل الناس المكلفين حاضرين أمام النبي بينما النص القرءاني ينتقل بين الناس تلاوة وحفظًا، وما ذكرت من نصوص قرءانية تستدل بها على ذلك، قد بيَّن لك الأستاذ غسان مفهومها باختصار، فراجعها بنص الحوار.

السؤال الثاني للدكتور محمد من حيث المضمون هو ذات السؤال الأول وقد أجبنا عليه ضمنًا. ولا شك أن الرسول كإنسان مسلم هو أول المعنيين بالتكليف والخطاب القرءاني، فهو مجرد أن ينتهي من التلاوة والتبليغ كرسول يقوم كأي مسلم ومؤمن بطاعة الرسالة ذاتها تطبيقًا ودعوة وتعليمًا؛ لأن مقام النبوة هو مقام علمي ودعوي

وهذا متوفر لكل إنسان أن يصير معلمًا وداعية من خلال العلم والتعلم لكتاب الله المحفوظ الذي نزل بلسان عربي مبين.

والرسالة الإلهية نزلت للناس جميعًا وليس لقوم النبي فقط، وهي مستمرة بمعزل عن الرسول البشري الذي نزلت عليه. وبمعزل عن النبي؛ لأنه مقام شخصي انتهى بوفاة النبي.

السؤال الثالث: أعاد الدكتور الفكرة ذاتها بصياغة أخرى، فقال: حتى لو قلنا أن الرسول كان يجتهد من تلقاء نفسه في فهم أحكام التشريع، فإن ذلك لا يعدو أحد احتمالين: إما بافتراض إمكانية وقوع الخطأ منه، وهنا يصبح الله عابثًا؛ إذ يختار رسولًا لتبليغ رسالة، ثم يفسرها هذا الرسول على نحو مغاير لقصد الله، أو أن يكون مصيبًا، فإن كان مصيبًا ولا محالة حتى لا يكون الله عابثًا صار لقوله حجة حتى ولو لم يكن رسولًا؛ لأننا مأمورون باتِّباع الحق إن عرفناه.

يا دكتور محمد ؛ الرسالة (نصوص الأحكام) نزلت بلسان عربي مبين محكمة المضمون حجة على الناس، ولا يصح للرسول أن يجتهد في مقام الرسالة، فهو مبلغ وتالٍ فقط وليس مشرعًا ولا معدلًا ولا مستدركًا عليها بشيء، وكل المؤمنين حينئذ يعلمون ما نزل عليه من أحكام حرام وحلال وواجب، يطبقونها حينما يسمعونها ويفهمونها وحدهم كما ذكرت لك آنفًا.

ويقوم النبي بالاجتهاد في تطبيقها وتنفيذها في الواقع وفق فهمه وتفاعله معها من منطلق مقام النبوة، ولا يغير فيها شيئًا، وهو أول المسلمين، ولا يحتاج فهم الحرام والحلال والواجب لذكاء ودراسة طويلة، ولا يمكن للنبي أن يقع بمعصية كبيرة أو يمارس الكفر أو الكذب أو الإجرام مع قدرته على ذلك، ولكن يعصمه إيمانه وعلمه وخشيته من الله.

وهذه العصمة اكتسابية، يمكن لأي إنسان أن يصل إليها، ولا يخلو إنسان من

عصمة ذاتية عن سلوك معين مهما تقلصت أو تدنت العصمة، فكيف يقع النبي بفهم أمر خلاف حكم شرعي محكم، وهو قد نزل عليه الوحي وتلاه على الناس؟

فهذا لا يقع فيه العلماء لإحكام النص التكليفي، ولا يعني أن التطبيق أو التنفيذ صار وحيًا، أو أن صورة التطبيق هي ملزمة للناس جميعًا وملصقة بالحكم الشرعي، الحجة بالنص الشرعي وهو منفصل عن فهم أو تطبيق النبي أو من بعده من العلماء، وكل فهم أو صورة تطبيق يعتمد على النص الشرعي، ولا يتجاوزه فهو مقبول في زمانه وفق معطيات الواقع.

ولذلك تجد مجموعة من النصوص تخاطب النبي خطاب تعليم ومعاتبة ونصيحة مثل:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الأحزاب:1].

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[الأحزاب:37].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[التحريم:1].

ولا تجد في القرءان كله خطاب توجيه وتعليم أو معاتبة يستخدم كلمة الرسول؛ لأن الرسول مبلِّغ وتالٍ فقط.

وأخيرًا نأتي لتحليل كلام الدكتور محمد رياض:

القول الأول له:

فأنا هنا الليلة لإثبات أن للسنة النبوية وهي: (فعل الرسول أو قوله أو تقريره) حجةً في الشرع، أي: إلزامية من ناحية مبدئية، وليس للدفاع عن كتب الحديث كالبخاري ومسلم وغيرهم .

انتبهوا لكلمة (السنة النبوية). من أين أتى بهذا المفهوم وجعله مفهومًا دينيًّا يريد أن يلزم الآخرين به دون برهان من الله في كتابه. فالسنة في كتاب الله هي سنة الله، ولم ترد كلمة السنة مضافة للنبي ولا لاسمه محمد، وانظروا كيف عرَّفها بين قوسين (فعل الرسول أو قوله أو تقريره) يعني: أنها تشمل الحديث رغم أن مفهوم السنة في القرءان وفي اللسان العربي هي الطريقة العملية أو المنهجية، ولا علاقة لها بالحديث أو القول أو الإقرار، فهو لا يفرق بين مفهوم السنة ومفهوم الحديث رغم أن التفريق بينهما واضح في كتاب الله واللسان العربي، ويترك ذلك بجرأة عجيبة.

فكيف يصدر من واحد يدَّعي العقلانية والحرية في البحث هذا السلوك الاعتباطي المخالف لكتاب الله واللسان العربي. ويتبع قول الآباء بحجة أنه غير ملزم باصطلاحنا نحن، ولكل قوم مصطلح، ولا مشاحة في الاصطلاح.

يا دكتور! هذا ليس مصطلحًا خاصًا بنا. هذا مفهوم قرءاني لساني، ولاحظوا قوله أيضًا: (من الناحية المبدئية) لأن الدكتور محمد لا يؤمن بأن الحديث المنسوب للنبي يؤسس حكمًا شرعيًّا ولا يثبت مفهومًا إيمانيًّا ولا يثبت خبرًا غيبيًّا، ولا وحيًا، ولا يعتقد بثبوت معظم الأحاديث من ناحية السند فمعظمها ظنية الثبوت، وربما لم يصح عنده إلا بضع مئات كما ذكر نفسه نقلًا عن إمام معتزلي 150 حديثًا فقط، مع العلم أنه يوجد أئمة من المعتزلة لا يقولون بحجية الحديث كله.

وكلها لا علاقة لها بمفهوم إيماني ولا بحكم شرعي ولا بخبر غيبي، يعني هذا

الكلام أنه يتكلم من الناحية النظرية فقط دون وجود واقع عملي لها. ولذلك أنهى كلامه (وليس للدفاع عن كتب الحديث كالبخاري ومسلم وغيرهم) فهو لا يدافع عن كل كتب الحديث في كل الملل الإسلامية، انظروا كيف عاد واستخدم كلمة الحديث بدل السنة. فالأمر بالنسبة له هو فكرة مبدئية فقط مفرَّغة من محتواها، بمعنى الإيمان بلفظ مجرَّد دون مضمون، ويصف هذا اللفظ بأنه مصدر شرعي وحجة ملزمة ولو أنه غير موجود في الواقع، فتأمل يا صاحبي يرحمك الله على هكذا عرض وبحث من باحث ودكتور .

أما قوله الثاني، فقد أتى بنهاية سؤاله الثالث: (صار لقوله حجة حتى ولو لم يكن رسولًا؛ لأننا مأمورون باتِّباع الحق إن عرفناه).

يقصد حديث النبي في حال ثبت عنه يصير حجة وملزمًا لنا ويجب اتِّباعه، لاحظوا اعترافه بنفي مقام الرسول عن محمد في هذا الفعل رغم أنه سكت الدكتور، ولم يستخدم كلمة النبوة في هذا الفعل؛ لأنه ضد فكرته أو ربما غفل عن ذلك ولا يدري.

ويتابع القول: (لأننا مأمورون باتِّباع الحق إن عرفناه) وهذا إقرار منه أنه ليس كل ما قاله النبي وصل لنا أو يمكن وصوله حتمًا، ولذلك استخدم كلمة (إن عرفناه) ويعني أنه يمكن أن لا نعرفه. وبالتالي ضاع الحق وضاع المصدر الثاني.

وعندما سُئل الدكتور محمد: هل السنة وحي؟ أجاب بالنفي وأنها ليس وحيًا.

والسنة عنده تشمل الفعل والحديث كما هو معروف، بمعنى أنه لا فعل النبي ولا حديثه وحيًا من الله، وهذا يلزمه بالقول أن النبي في مقام الاجتهاد والدراسة الذاتية مع القرءان، بينما هو ينفي الاجتهاد عن النبي، وهذا من المفارقات الغريبة التي يقع فيها وهو يدَّعي المنطق!

ما القصة يا دكتور محمد عن ماذا تدافع وتناقش وتحاور وتصول وتجول؟

قال الدكتور محمد: أنا أعد فهم الرسول وحديثه المتعلق بشرح القرءان أو تطبيقه معصوم بالوحي كمراقبة وتصحيح.

لنرجع ونرتِّب أفكار الدكتور محمد صاحب العقلانية والمنطق:

السنة والحديث ليسا وحيًا من الله وإنما هما فهم وشرح وتطبيق الرسول المعصوم بالوحي مراقبة!

هذه السنة المعصومة بالوحي لا تؤسس حكمًا شرعيًّا.

هذه السنة المعصومة بالوحي لا تؤسس مفهومًا إيمانيًّا.

هذه السنة المعصومة بالوحي لا تؤسس خبرًا غيبيًّا.

هذه السنة المعصومة بالوحي يغلب عليها ظنية الثبوت، وهذا يسقط حجيتها والبرهان عنها.

هذه السنة المعصومة بالوحي هي اجتهاد من النبي، ولكن أقر عليه من قبل الوحي.

هذه السنة المعصومة بالوحي يمكن أن لا نعرفها ولا تصل إلينا.

وبعد كل ذلك يقول ويكرِّر: مصادر التشريع هي: العقل والقرءان والسنة والقياس !

أي سنة يا دكتور محمد؟ وكيف المصدر لا يكون وحيًا مباشرًا؟ وكيف المصدر لا يؤسس لشيء قط من الدِّين؟ وكيف المصدر يغلب عليه الظن؟ وكيف المصدر يمكن أن لا يصلنا ولا نعرفه؟ وكيف المصدر يمكن أن يكون فهم بشر واجتهاد؟

هل فهمتم قوله السابق: (حجة في الشرع، أي: إلزامية من ناحية مبدئية، وليس للدفاع عن كتب الحديث كالبخاري ومسلم وغيرهم)؟

الأمر كله مناورة وتدليس وخداع وتضليل باستخدام العقل والمنطق والبرهان، وتخويف القارئ بهذه المصطلحات المفرَّغة من محتواها عندهم لإرجاع الحياة للمعتزلة من التاريخ، وبعثهم من جديد، ولكن للأسف بثوب تهريج وتدليس، ولم يكن الدكتور محمد على مستوى الفكر الاعتزالي المعروف تاريخيًّا بالفكر العقلاني الحر، ولا يوجد أسئلة عقلية عرضها الدكتور محمد ولا هم يحزنون، هي مناورة منه مكشوفة لدينا.

وأنا لم أضف أي فكرة في كل هذا السرد الإنشائي على ما كتبه الأستاذ «غسان النبهان» في حواره المختزل بمقدمته الكافية لإنهاء الحوار لو فهمها الدكتور محمد المنطقي العقلاني، والاستدراك الذي كتبه الأخ «عبد المجيد عقيل»، ولكن قراءة هذا السرد ممتعة ومفيدة لبساطته وشحذ التفكير، وتنبيه القارئ أن لا يُخدع بمن يستخدم كلمة العقل والمنطق والبرهان، فليس كل من استخدم هذه الكلمات يعني أنه يفكر .

حوار قصير ومفيد
مع دكتور شريعة ودكتور لغة عربية

كنت في بعض شأني في القاهرة قاعدًا عند محل تصليح كمبيوتر، وجرى نقاش مع صاحب المحل واستغرب من عرضي الذي عرضته عليه، وإذ يدخل رجل فوق السبعين من عمره فيرحب به صاحب المحل ويقول له: جئت بوقتك دكتور، وعرفني عليه بأنه دكتور شريعة ومؤلف وباحث وله مؤلفات وحصل على جوائز من الخليج على بعض مؤلفاته، وتوجه بالحديث للدكتور قائلًا:

كان الأستاذ يناقشني عن الحديث النبوي وحجيته وتطرقنا للحديث القدسي فقال: هو نوع من أنواع الحديث النبوي، ولكن يختلف بصيغته ومحل تعلقه بالمواضيع.

فما هو رأيك دكتور بها؟

الدكتور: لا بُدَّ من تعريف القرءان والحديث القدسي والحديث النبوي.

القرءان: هو النص القرءاني الذي نزل لفظًا ومعنًا من الله ويتعبد بتلاوته وهو معجز بصياغته المجموع بين دفتي المصحف المعروف المبدوء بسورة الفاتحة والمنتهي بسورة الناس والمتواتر في تناقله.

الحديث القدسي: هو النص الذي نزل كمعنى من الله وقام النبي بالتعبير عنه بكلامه، وهو غير معجز ولا متعبد بتلاوته.

الحديث النبوي: هو كل ما تعلق بفعل النبي وقوله وإقراره.

قلت: عفوًا؛ ألا يقول علماء الحديث والأصول عند أهل السنة إن حديث النبي أيضًا المعنى من الله والتعبير من تأليف النبي؟

الدكتور: صح كلامك ؛ نعم المعنى من الله، والمبنى كصيغة لسانية من عند النبي.

قلت: إذن ؛ ما الفرق بين نوعي الحديث القدسي والنبوي؟

الدكتور: من حيث النتيجة لا فرق بينهما إلا شكلًا، فكلاهما المعنى من الله والمبنى من تأليف النبي، ولكن الصيغة للحديث القدسي تظهر أو تبدأ بقول النبي: (قال الله) أو الرواة يقولون: (فيما يرويه عن ربه).

قلت: أليس مواضيع الأحاديث القدسية تأتي متعلقة بالله أو بالموعظة، ولا تأتي متعلقة بالتشريع وتفصيله؟

الدكتور: نعم؛ مواضيع الأحاديث القدسية تتعلق بالله أو الوعظ فقط ولا تتعلق بالتشريع وتفصيله، وهي إجمالًا قليلة العدد.

قلت: دكتور كيف برأيك تلقى النبي معنى دون مبنى يحمل المعنى؟ وكيف استطاع النبي أن يعبر عن معنى إلهي ويصيغ له لفظًا يحمله؟

الدكتور: الله قادر على كل شيء!

قلت: أنا لا أعترض على قدرة الله على كل شيء، وليس هذا محل النقاش، أنا أعترض أو أسأل عن قدرة الإنسان والنظام الذي خلقه الله فيه ليتواصل مع الآخر ويتلقى المعلومات، هل يمكن أن يتلقى الإنسان معلومات دون مبنى لساني صوتي يحمل المعلومات بصرف النظر عن طريقة التلقي؟

الدكتور: نحن لا نخوض في مثل تلك المواضيع ولا نتدخل بها، الحديث وحي من قبل الله بالمعنى وقام هو بالتعبير عنه بلفظه.

قلت: أليس النص القرءاني محفوظ بتعهد من قبل الله نفسه، فهل الحديث النبوي محفوظ مثل القرءان؟

الدكتور: حفظ النص القرءاني من قبل الله، أما حفظ الأحاديث فقد وكل الله بها العلماء ليحفظوها، لذلك قام العلماء بجمعها وصنفوا الكتب وميزوا بين الصحيح والضعيف؟

قلت: أفهم من كلامك أن الله لم يتعهد بحفظ الأحاديث وإنما تركها للناس وهم قصروا بذلك بدليل الواقع وظهور الكذب والوضع على لسان النبي؟

الدكتور: صحيح، الله لم يحفظها بنفسه ولكن وكل الناس المسلمين بحفظها وصنفوا الكتب وميزوا بين الحديث الصحيح والضعيف.

قلت: يهمني قولك الأول لم يتعهد الله بحفظها، هل برأيك من الحكمة والعدل أن يلزمك الله أو يحاسبك على شيء لم يحفظه بنفسه وتركه للناس وهم أهملوه وكذبوا على الله، وصار عند كل فئة وحي صحيح ووحي ضعيف حتى قام الشيخ الألباني وألف سلسلة الأحاديث الصحيحة وأخرى سلسلة الأحاديث الضعيفة، وهذا يعني عمليًّا سلسلة الوحي الصحيح وسلسلة الوحي الكذب والضعيف؟ وكل فئة لها وحيها الذي تعتمد عليه؟

الدكتور: عذرًا؛ أنا مضطر أن أمشي فالموضوع كبير وقد خاض به العلماء كثيرًا ومنتهٍ عندهم أن السنة هي الوحي الثاني ومصدر ديني متفق عليه.

قلت متوجها بحديثي لصاحب المحل بعد أن انصرف الدكتور: هل رأيت كيف انتقل بحديثه من استخدام كلمة الحديث إلى كلمة السنة، وكأنه لا يوجد فرق بينهما؟

صاحب المحل: بصراحة أنا مذهول مما سمعت لم أتصور أن الموضوع بهذا التعقيد رغم أهميته!

قلت: الأمر ليس معقدًا هو تفكير حر وفهم منطقي ولساني وقرءاني.

وتطرقنا لمواضيع أخرى لشرح الفكرة وتوضيح الفرق بين مفهوم السنة والحديث،

وضربت له مثلًا كلمة (قطع) وكلمة (بتر) وعرضت عليه القاعدة اللسانية المنطقية العلمية: إذا اختلف المبنى اختلف المعنى ضرورة، وضربت له مثلًا بأن نظام جهاز الكمبيوتر ذاته يعمل وفق القاعدة أليس كذلك؟

قال: كيف ذلك؟

قلت: هل يقبل نظام الكمبيوتر حفظ مجلدين بالاسم ذاته أم يرفض، ويطلب منك حذف أحدهما أو تغيير اسمه لوجود الاسم مستخدم سابقًا؟

قال: لا شك يرفض ذلك.

قلت: يعني أن نظام ويندوز يعتمد في حفظ المعلومات على قاعدة نفي الترادف.

قال: نعم؛ القاعدة علمية والكون يقوم عليها أيضًا.

قلت: إذن؛ مفهوم كلمة السنة غير مفهوم كلمة الحديث، ومفهوم كلمة قطع لا تعني بتر.

وإذا يدخل رجل بالأربعين من عمره، فيبتسم صاحب المحل ويرحب به ويقول له: جئت بوقتك تفضل دقائق فقط، وعرفني عليه بقوله: دكتور في اللغة العربية.

وفعلًا قعد الدكتور وقال: خيرًا إن شاء الله.

قلت لصاحب المحل: دعني أسأله أنا؟

فأجابني بالرضا والموافقة.

قلت: دكتور: كونك عالم لغة ما رأيك بقاعدة الترادف[1]؟

الدكتور: يوجد مدارس ومختلفون بها...

فقاطعته بقولي: دكتور لا نريد أن تخبرنا عن تاريخية القاعدة ومن أثبتها ومن نفاها، أنا أريد رأيك أنت فقط؟

1 نستخدم كلمة الترادف بالمعنى الخطأ الشائع، والمقصد هو وجود كلمتين مختلفتين بالمبنى و متفقتين بالمعنى .

الدكتور: رأيي أنه لا يوجد ترادف إلا قليلًا في اللغة والشعر....

وأيضًا قاطعته بقولي: دكتور هل يوجد ترادف بالقرءان أم لا يوجد؟

الدكتور: لا يوجد ترادف بالقرءان.

توجهت بحديثي لصاحب المحل: هل سمعت ذلك؟ ثبت الفكرة والجواب، واسمع تتمة الجواب عن السؤال التالي؟

قلت متوجهًا للدكتور: هل يوجد فرق بين دلالة كلمة (قطع) ودلالة كلمة (بتر)؟

الدكتور: طبعًا يوجد فرق بينهما في اللغة طالما اختلف المبنى بين الكلمتين.

تدخل صاحب المحل وقال: دكتور يمكن أن تشرح لي نص قطع يد السارق؟

الدكتور: قطع يد السارق يعني: أن تقطع يده وتفصلها عن جسمه.

صاحب المحل: يعني قطع تدل نتيجة على دلالة بتر؟

الدكتور: قطع غير بتر، ولكن النتيجة واحدة.

تدخلت وقلت: دكتور دعنا نثبت القاعدة ونعمل بها هل غيرت رأيك بها؟

الدكتور: القاعدة ثابتة، ولكن فهم الأحكام الشرعية تؤخذ من كتب التفسير وما قال المجتمع الأول وكيف نفذوها.

قلت: هل فهم الناس زيد وعبيد قاعدة علمية وملزم لنا؟ وهل فهم المجتمع الأول وحي وملزم للناس فيما بعد وهل هو محفوظ مع القرءان؟

وتابعت قولي: القرءان نزل بلسان عربي مبين وليس بفهم زيد ولا عبيد ولم يتعهد الله بحفظ فهم أحد لنا ولم يلزمنا به.

ودخل أحدهم للمحل، فقمت أنا واعتذرت أريد الانصراف فقد تأخر الوقت وتركت الدكتور وصاحب المحل ينظرون لبعضهم !

الرد على «نهرو طنطاوي»
في افترائه أن الفكر القرءاني لا دليل عليه من القرءان

سيكون كلام «نهرو» أولاً، وجوابنا بعده.

قال «نهرو طنطاوي» ما ملخَّصُه: إن فكر القرءانيين يقوم على أصول أربعة:

أ. الكتاب الكريم وحده هو رسالة الإسلام التي جاء بها النبي محمد.

ب. تنحصر مهمة الرسول في تبليغ وإيصال الرسالة «الكتاب» فقط، للناس.

ج. الرسول محمد معصوم فقط في تبليغه للكتاب وليس معصومًا في غيره.

د. فهمُ الكتاب وكلماته وأحكامه وشريعته يكون من داخل الكتاب نفسه، ولا يستعان بشيء من خارجه.

وجوابنا على ذلك:

س 1. هل يوجد في الكتاب الكريم نص يقول: إن الكتاب الكريم وحده هو رسالة الإسلام التي جاء بها النبي محمد عليه الصلاة والسلام؟.

ج 1. سنكتفي بسرد النصوص من القرءان، ونعتمد على ذكاء القارئ وفهمه ونحن نثق به بخلاف أهل الثرثرة والعنعنة، فهم يلجمون عقل القارئ ويمنعونه من التفكير.

- ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقرءان وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء:46].

- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقرءان وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:26].
- ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الأنعام:151].
- ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقرءان غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس:15].
- ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقرءان فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[النمل:92].
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقرءان تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة:101].
- ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقرءان لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:19].
- ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقرءان مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه:114].
- ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقرءان مَهْجُورًا﴾ [الفرقان:30].
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقرءان جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[الفرقان:32].

- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقرءان وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ:31].
- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقرءان أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[محمد:24].

هل تجدون في كل هذه النصوص إشارة إلى وجود وحي آخر خارج القرءان، يحض المشرع على اتباعه ويعده وحيًا منه؟

هل مر معكم في القرءان إضافة كلمة (السنة أو الحديث) للنبي محمد؟

هل مر معكم أي نص يضيف أمر الطاعة للنبي محمد؟ أم أنَّ أمر الطاعة يأتي متعلقًا بالرسول؟

س 2. هل يوجد في الكتاب الكريم نص يقول: إن الرسول تنحصر مهمته في تبليغ وإيصال الرسالة «الكتاب» فقط للناس؟.

ج 2. نعم؛ أتى بالقرءان أن مهمة الرسول محصورة بالتبليغ والدعوة والتعليم وتلاوة القرءان على الناس، وهذا مفهوم كلمة الرسول.

وظيفة البلاغ للرسول:

- ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة:99].
- ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾[الرعد:40].
- ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ﴾[النحل:82].
- ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت:18].

وظيفة التلاوة والتعليم والتزكية:

- ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الأنعام:151].
- ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:151].
- ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:2].

مهمة الرسول تلاوة ما نزل عليه من وحي إلهي، وتبليغه للناس وتعليمه لهم، وتزكية المؤمنين تربية وطاعة من خلال القرءان، ويقوم بهذه المهمة من بعده العلماء الراشدين المهديين، يتلون كتاب الله ويبلغونه للناس، ويعلمونه للمؤمنين ويزكونهم تربية وطاعة لأمر الله.

س 3. هل يوجد في الكتاب الكريم نص يقول: إن الرسول معصوم فقط في تبليغه للكتاب وليس معصومًا في غيره؟.

ج 3. الأصل بالناس صفة الخطأ بالفهم أو الحكم على شيء، وهي لازمة لهم خلقًا لمحدودية علمهم وقدراتهم، هكذا خلقهم الله، ونفيُ هذه الصفة عنهم، أو إثبات صفة العصمة لجانب معين، يحتاج إلى برهان من الذي يثبت ذلك؛ لأنه خلاف الأصل، والبينة على المدَّعي.

نحن نثبت العصمة للنبي من الخطأ في مادة الوحي أو نسيانها، وهذه العصمة الربانية متعلِّقة بمادة الوحي، وليس بشخص النبي البشري، بمعنى التلاوة والحفظ

للذكر الحكيم، وبرهان ذلك معروف من القرءان ذاته.

ونثبت العصمة للرسول منطقًا لازمًا من المرض المنفر والمزمن الذي يعيق الدعوة إلى الله مثل الجذام، والمرض النفسي أو العقلي الذي يقدح في عدالة ورجاحة الرسول وأهليته للنبوة كالسحر أو محاولة الانتحار مثلًا.

ونثبت العصمة للنبي محمد من القتل، وهذا بنص القرءان ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[المائدة:67].

وكما هو ملاحظ أن كلَّ أنواع هذه العصمة الربانية متعلِّقة بمادة الوحي، وليس بشخص النبي البشري، وبالتالي لا يوجد عصمة للنبي محمد البشري عن الخطأ في فهمه أو سلوكه، كما أنه لا يوجد له عصمة ربانية عن المعصية، وإنما يعصم نفسه بإيمانه بالله وخشيته منه، مع العلم ورد عدة نصوص قرءانية أشارت إلى أن النبي اتبع هواه وأخطأ.

س 4. هل يوجد في الكتاب الكريم نص يقول: إن فهمَ الكتاب وكلماته وأحكامه وشريعته يكون من داخل الكتاب نفسه، ولا يستعان بشيء من خارجه؟.

ج 4. كل مؤلف كتاب يجعل مفاتيحه في داخله واصطلاحاته، وما يريد توصيله للقارئ حتى يُفهم عنه الكتابُ، وإلا كان الكتاب عبثًا ولا يصلح للدراسة إن كانت مفاتيحه ومصطلحاته غير موجودة في داخله، وهذا الكلام غير الأدوات اللازمة للدراسة، فهي تكون في داخل الكتاب وخارجه بدلالة الكتاب ذاته، مثل الأمر بالسير في الأرض للعلم بكيف بدأ الخلق، والعلم بعاقبة حركة التاريخ .

الله نزَّل كتابه بلسان عربي مبين كما هو معروف، ووجه خطابه للإنسان العاقل الذي هو كائن اجتماعي ضرورة، وكون الإنسان عاقل، فهو محل الخطاب ويشارك المتكلم بالوصول للمعنى والمقصد.

فعندما قال المشرع: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:23]، علم المخاطب أن محل التحريم هو النكاح، وليس الأكل، وذلك بتفكيره وربط الخطاب بالواقع.

وكذلك عندما سمع الخطاب: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾. [المائدة:3]، علم من خلال التفكير وربط الخطاب بمحله من الواقع أن التحريم متعلِّق بالأكل، وليس بالنكاح، رغم عدم وجود كلمة النكاح أو الأكل في النصين، فالمشرع والمتكلم ربط خطابه بمحله من الواقع، وجعل المخاطب يشارك بالوصول للمعنى من خلال التفكير.

وهذا يعني أنه صار لدراسة الخطاب الإلهي مفاتيح كبرى غير المفاتيح الصغرى، وهي:

1. الخطاب نزل بلسان عربي مبين، وهذا يعني التقيُّد بالمنهج العربي المبين حكمًا ولسانًا والعلاقة بينهما وبين الوجود.
2. الخطاب متعلِّق بكائن إنساني اجتماعي ضرورة، وهذا يعني لا بُدَّ من دراسة القرءان وفق منهج إنساني اجتماعي.
3. كون الخطاب موجهًا للإنسان العاقل، وهو يشارك بالوصول للمعنى والمقصد، فهذا يدل على أن التفكير أصل أصيل في دراسة وفهم الخطاب.
4. عندما ربط المتكلم خطابه بالواقع جعل الواقع قاعدةً وأصلًا لدراسة الخطاب من خلال إسقاط النص على محله من الواقع.

أما المفاتيح الصغرى، فهي موجودة داخل الكتاب ذاته، مثل مفتاح المقاصد والرحمة للناس أثناء وضع التشريع، وغيرها من المفاتيح الموجودة بالقرءان ذاته، ويعلَمُها من درس القرءان وجعله إمامًا له .

ونهاية ؛ هذا الكلام موجز يناسب المقام المعروض، وإلا فالأمر أكبر من ذلك بكثير، وهو مشروح في مكانه بأبحاثنا وكتبنا المنتشرة بكثرة بفضل من الله وعونه على يد باحثين ومفكرين أفاضل، ومن شاء فليقرأها وليبحث ويفكر ويحاور، ونحن نمدُّ له يد العون والمساعدة من الحوار والنقاش الجاد والهادف. والله المستعان وعليه الاتكال .

وأخيرًا، أنهى «نهرو طنطاوي» تساؤلاته السطحية بقوله:

وهذه الأصول الأربعة لا يوجد عليها دليل واحد من القرءان الكريم؛ مما يعني أن أصول أفكار القرءانيين ما هي إلا محض اختلاق، وهي عبارة عن دين جديد ليس هو دين الله الإسلام قطعًا.

ج . ونحن بدورنا نترك الحكم للقارئ؛ ليعلم: هل فعلًا لا يوجد أي برهان ولا دليل على الأصول الأربعة، وهل فعلًا هي محض اختلاق، وهل هي عبارة عن دين جديد غير الإسلام ولا علاقة لها بالقرءان قط؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مجموعة من القواعد المهمة في أصول الفقه

- الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما ورد تحريمه في النص القرءاني أو النهي عنه.
- الأصل في أكل اللحوم والدماء الحرمة إلا ما ورد النص به أو ما دل عليه النص قطعًا.
- الطعام الخبيث لحمًا أو غيره يمنع تناوله مادامت صفة الخبث فيه.
- الأصل في الشعائر التعبدية التقيد بالنص.
- الحرام مقيد بالنص، والمباح مطلق ولا يحتاج إباحته لنص، ولا يطبق إلا مقيدًا بنظام المجتمع.
- الأصل في البيوع والتجارة الإباحة إلا ما ورد النص به.
- الأصل في العادات والتقاليد وما شابه ذلك الإباحة إلا ما ورد النص به.
- نتساهل في طرق الأعمال الصالحة، ونتشدد في طرق الشعائر.
- لا مانع من التطوع والنفل في عبادة لها أصل مشروع في القرءان، مثل الصلاة والصيام
- مفهوم المنظومة التشريعية والمقاصد تضبط فهم النص وتوجه حركته

مفهوم الجهل والأُمِّيّة

كلمة (جهل) لا تعني عدم المعرفة أو العلم، وإنما تعني صدور السلوك من إنسان دون ضوابط علمية أو تشريعية سواء أكان عنده علم أم لم يكن. فالجاهلية مرتبطة بالسلوك لا بالعقل أو العلم.

انظر قوله: ﴿**أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [المائدة: 50].

﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: 33].

﴿**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ [النمل: 55].

ونستخدم كلمة الجاهلية في حياتنا المعيشية بهذا المعنى، انظر لقولنا إذا بلغ الرجل سن الأربعين وبدأ يتصرف بشكل غير مسؤول أو غير لائق نقول: جَهْلَنة الأربعين!.

- وكلمة أُمِّي تم ربطها بعدم المعرفة أو العلم بالشيء؛ لأنها أتت في النص القرءاني بسياق واحد مع كلمة العلم نحو: ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ**﴾ [البقرة: 78]، فعندما تم نفي العلم بالكتاب مع إثبات صفة الأمية لهم ظنوا أن الأمية تعني عدم العلم بالشيء.

- وكذلك عندما أتت كلمة الأمية بسياق واحد مع الذين أوتوا الكتاب بقوله: ﴿**وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ**﴾ [آل عمران: 20]، ظنوا أنها مفهوم يقابل أهل الكتاب أو الذين أوتوا الكتاب.

- وعندما أَتوا للنص القرءاني ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعونَ الرَّسولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ**﴾ [الأعراف: 157]، وشاهدوا أن الله يصف نبيه بالأمية، والنبي هو عالم بالضرورة، اضطروا لتحديد عدم العلم بتلاوة المخطوط أو نسخه فقط، وفاتهم أن صفة الأمية مدح للنبي وليس ذمًّا أو إنقاصًا له، ونفي تلاوة الخط أو نسخه موجود في نص آخر، انظر قوله: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾ [العنكبوت: 48]، فالنبي عندما نزل عليه القرءان صار يتلوه من صدره دون صحيفة انظر قوله: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [الجمعة: 2]، فما هو الشيء الذي نفاه الله عن نبيه في النص السابق قبل تلاوة النص القرءاني؟ لقد نفى عنه تلاوة أي نص مقدس من أي كتاب سماوي أو غيره أثناء حياته المعيشية بين قومه لا من صحيفة ولا من ذاكرته، وكذلك نفى عنه عملية الاهتمام بخط أي نص بيده أو بيد غيره إذن لارتاب المبطلون.

بمعنى أن النبي قبل نزول القرءان لم يظهر عليه أي اهتمام بتلاوة أي نص ديني أو مقدس موجود عند الناس، وكذلك لم يُبدِ أي اهتمام بخط أو جمع هذه النصوص لا بيده ولا بيد غيره من جماعته أو أصدقائه، وهذا الأمر معروف في مجتمعه لصغر المجتمع الذي ينتمي إليه، ولكن بعد نزول القرءان صار عنده اهتمام بتلاوة النص القرءاني من ذاكرته، وجمعه وخطه بواسطة أصحابه أو أصدقائه أو أتباعه مع الإشراف على تلك العملية.

فكلمة الأمية لا علاقة لها بعدم المعرفة أو العلم، وكذلك ليست مفهومًا يقابل أهل الكتاب أو الذين أوتوا الكتاب.

فماذا تعني كلمة أُمِّيَّة؟

أم: الأصل والمرجع والجماعة والدِّين. انظر ابن فارس مقاييس اللغة.

أ: الهمزة صوت تابع لصوت المد (آ) بشكل مصغر، وهو يدل على ظهور زمكاني خفيف متوقف.

م: صوت يدل على جمع متصل.

وبجمع الصوتين مع بعضهما بهذا الترتيب (أُم) التي تدل على ظهور الشيء مكانيًّا منضم على نفسه ممتد زمانيًّا بجمع متصل لا ينقطع. ومن هذا المفهوم الفيزيائي ظهر استخدام صور الكلمة في الحياة المعيشية ثقافيًّا.

الأم: المرأة التي تحتضن الصغير وتعتني به تربية وتعليمًا وحبًا وعاطفة. لاحظ شدة العلاقة والاتصال الدائم بينهما.

الإمام: الإنسان الذي يقود الناس، ويرجعون إليه في شؤون أمورهم. انظر إمام الصلاة، إمام العلم...

أم القرى: الأصل والمركز التي يتبعها القرى الأخرى.

الأمة: مجموعة من الناس يتحركون وفق منظومة واحدة تشدهم لبعضهم بعضًا.

فعندما وصف النص القرءاني النبي أنه أمِّي قصد به النبي الأصيل الفطري الجامع للناس كلهم إضافة لانتسابه إلى أم القرى. وكلمة الفطري لا تعني أن الإنسان خال من أي شيء اكتسابي ومنها التلاوة للمخطوط أو نسخه، وإنما تعني أن هذا الإنسان ما زال طاهرًا أصيلًا، وأي شيء اكتسبه بعد ذلك إنما وفق أصالته وطهارته لم تَفسد فطرته، انظر لصفة النبي إبراهيم، ﴿**قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾ [البقرة: 12]، ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [النحل: 120]، فكلا النبيين لهما صفة الأمية، بخلاف النبي لوط أو نوح.

أما وصف قوم النبي بالأميين بقوله: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [الجمعة: 2]، ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**﴾ [القصص: 59]، فقوم النبي هم الجماعة المقيمة في أم القرى، وبالتالي هم أميين نسبة لها، كنسبة أي قوم لبلدهم مثل: الشاميين، والمصريين.

إذن؛ لا علاقة لصفة الأمية بعدم معرفة تلاوة المخطوط أو نسخه، فالإنسان يمكن أن يكون أميًّا وهو يتقن الخط وتلاوته، وقد يكون عالمًا، ويمكن أن ينتفي عنه صفة الأمية رغم أنه لا يتقن الخط ولا تلاوته !.

فصفة الأُمِّية لنبينا محمد صفة مدح وعظمة؛ لأنها تدل على الأصالة والنقاء والطهارة والجامع والمرجع للناس في أمور حياتهم غير أنه ينتسب إلى أم القرى، وأضف لها صفة الخاتمية، فهو أم الأنبياء وبُعث في أم القرى، وبعث في الأميين.

لذا؛ ينبغي عدم استخدام كلمة الأمي للإنسان الذي لا يعرف تلاوة المخطوط أو رسمه، واستبدالها بكلمة (لا يعرف)، وكذلك لا يصح استخدام كلمة (جاهل) عليه؛ لأنها تدل على نفي الأخلاق عنه، وعلى عدم الالتزام بالقيم.

ووصلنا الآن لضبط مفهوم قرأ وكتب.

مفهوم قرأ وكتب وتلا

(قرأ) يُسمى كلام اللهّ تعالى الذي أَنزله على نبيه كتابًا وقرءانًا ومعنى القرءان معنى الجمع وسُمِّي قرءانًا ؛ لأَنه يجمع السُّوَر فيَضُمُّها، وقوله تعالى: إِنَّ علينا جَمْعه وقرءانه، أَي: جَمْعَه وقِراءَته فَإِذا قرءاناهُ فاتَّبِعْ قرءانهُ.

إذن عند أهل اللغة: قرأ كلمة تدل على قرن شيء بشيء من جنسه، وهذا الذي عبروا عنه بكلمة الجمع والاجتماع، وهو معنى قاصر انظر قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقرءانهُ**﴾ [القيامة: 17]، فدلالة الجمع غير دلالة قرءانه، وبالتالي كلمة جمع غير قرأ ضرورة.

قرأ: كلمة تدل على جمع شيء إلى شيء آخر من جنسه لوجود علاقة مستمرة بينهما وفق نظام معين مع ظهوره مع الزمن. ويقول العرب عن المرأة الحامل: قرأت، بمعنى جمعت حملها ولم يسقط وتعلق بها وهو من جنسها الإنساني.

فالإنسان عندما يقرأ شيئًا ما من صحيفة أو الكون من سموات وأرض.... يقوم بجمع المعلومات المتعلقة بالشيء المعني في القراءة إلى بعضها ويجدولها ويصنفها ويحللها ليصل إلى نتيجة علمية يبني عليها موقفه من الشيء ويحكم عليه، ومن هذا الوجه قلت: إن القراءة هي جمع للمعلومات وتفكير ودراسة وتحليل والخروج بنتيجة.

ومن هذا الوجه ظهر لنا الفرق بين قارئ القرءان، وتالي القرءان، والشيخ «عبد الباسط عبد الصمد» يتلو القرءان ولا يقرؤه ! والمذيع للأخبار يتلو نشرة الأخبار علينا ولا يقرؤها، ومن هذا الوجه أتى الأمر الإلهي: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ القرءان فَاسْتَعِذْ**

بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98]، وليس إذا تلوته! وانظر أيضًا: **﴿وَإِذَا قُرِئَ القرءان فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** [الأعراف: 204]، وليس إذا تُلي من قبل «الحصري» أو غيره من التالين!

كلمة كتب: تدل على القيام بجهد خفيف في جمع شيء إلى جنسه، انظروا إلى كتب زيد كتابه على زينب، وكتب عمرو الوظيفة، وانظروا إلى كتاب الفقه وفي داخله كتاب الصلاة وكتاب الزكاة وكتاب الصيام.....، وسُمِّي الذي يخط الكلام كاتبًا ؛ لأنه يجمع الحروف إلى بعضها، وكذلك المؤلف ؛ لأنه يجمع الأفكار مع بعضها، والكاتب يمكن أن يكون هو المؤلف فقط، ويقوم غيره بالخط، والنبي كان هو الذي يكتب رسائله إلى الملوك بمعنى يؤلفها ويمليها على الناسخ فيقوم بخطها، وكان النبي هو الذي يقرأ رسائله بمعنى يفهمها ويحلل خطابها من خلال قيام رجل بتلاوتها عليه من المخطوط، فكلمة (كتاب) تدل على الأشياء المجموعة من جنس واحد.

لننظر الآن:

- هل أمر الله لنبيه الخاتمي بالقراءة صواب أم لا (اقرأ باسم ربك)؟
- وهل يشترط لفعل القراءة وجود فعل التلاوة للمخطوط؟
- أليس فعل القراءة قوة ذاتية كامنة في كل إنسان يستطيع أن يُفعّلها عندما يريد؟
- أليس نفي فعل القراءة أو الكتابة عن إنسان هو نفي لقوته الإدراكية والوعي والربط والتحليل والاستنتاج؟

والسؤال الآن:

- هل كان النبي كاتبًا قارئًا قبل النبوة، بمعنى: هل كان النبي مفكرًا محللًا فاهمًا للكلام ومتدبرًا في الأحداث ولما يجري حوله؟

والجواب عندك أيها القارئ الحر

اسم أحمد ليس للنبي محمد

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: 6].

اسم التفضيل

صفة تؤخذ من الفعل لتدل على أن شيئين اشتركا في صفة، وزاد أحدهما على الآخر فيها.

ويأتي اسم التفضيل على وزن (أفعل) ومؤنثه (فُعلى) ويصاغ من فعل ثلاثي الأحرف، ويشترط أن يأتي في سياق التفضيل بين أمرين أو شيئين نحو: زيد أكبر من عمرو.

فإن أتت الكلمة على وزن (أفعل) ولم تكن في سياق التفضيل بين شيئين ينتفي عنها اسم التفضيل وتصير عارية أو خالية من التفضيل وتفهم حسب سياقها، فالحكم دائمًا هو لمحل الخطاب ومعنى الكلام وليس للمبنى أو الوزن.

وكلمة (أحمد) هي على وزن (أفعل) وسياق الكلام هو الذي يحدد هل استخدمت على قصد اسم التفضيل أم هي خالية من التفضيل.

النص أتى بسياق (مبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد..) والسياق لا يوجد فيه شيء يفضل على شيء آخر، وهذا يدل على أن كلمة (أحمد) في النص لا يقصد بها التفضيل، وبالتالي ليست هي اسم تفضيل وتفهم حسب السياق ومحل الخطاب.

ونلاحظ أن النص لم يستخدم كلمة (مبشرًا بنبي من بعدي) وإنما استخدم كلمة

(برسول) ولو كان المقصد شخص الرسول الإنساني لاستخدم كلمة النبي، وصار ما يعرضه المسلمون صواب وأن النبي محمد هو بشرى من النبي عيسى.

ولكن عندما أتى النص بكلمة (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ) يجيء بالبينات ووصفوه بالسحر، ونحن نعلم أن صفة الساحر أطلقها الكفار على النبي، وما أتى به يكون سحرًا الذي هو القرءان، مما يدل على أن الذي جاء بالبينات هو القرءان، خاصة أن الأصل في دلالة كلمة الرسول في اللسان العربي هو الرسالة، وكل نبي رسول والعكس غير صواب (راجع بحث مفهوم الرسول والرسالة في القرءان) فتكون كلمة (أحمد) اسم للقرءان وليس لشخص النبي المسمَّى محمد بنص القرءان ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**﴾[الفتح: 29] ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ [الأحزاب: 40].

وللتأكيد نقوم بمقارنة بين نصين:

﴿**إِذْ قَالَتِ المَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ**﴾ [آل عمران: 45].

فلو أن النبي محمد اسمه أحمد لأتى النص مثل النص السابق (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ الأَحْمَدُ محمد بن عبد الله...) ولكن النص أتى (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...) دون إرجاع ذلك لمحمد، وأتت كلمة أحمد بصيغة نكرة لتدل على وجود أسماء أخرى للمسمَّى، ونجد أن للقرءان أسماء متعدِّدة مثل اسم (مبارك). ﴿**وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾ [الأنعام: 92].

فاسم أحمد في النص المعني هو للرسول القرءاني (الرسالة)

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: 6].

﴿فَلَمَّا جَاءهُمُ الحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ إِنَّ هَـذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: 76].

﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: 5].

﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 89].

﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 101].

لاحظوا أن فعل المجيء متعلق بالرسول القرءاني وليس بالرسول البشري، وتهمة السحر متعلقة بالقرءان وليس بالنبي فهو وصفوه بالساحر.

واسم محمد في النص القرءاني هو للشخص الإنساني الرسول النبي التاريخي.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 40].

فماذا يعني (اسم أحمد) للقرءان؟

وجذر كلمة (اسم) من وسم، وهي غير الصفة.

وجذر كلمة (أحمد) من حمد، وهي غير الشكر.

وهذا يحتاج دراسة مستقلة لاحقة.

مفهوم ختم النبوة

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 40].

كلمة (خَتَمَ) الخاء والتاء والميم تدل على عملية ارتخاء ودفع خفيف منته بجمع متصل. وظهر ذلك في حياتنا المعيشية عندما نريد أن نُنهي أمرًا معينًا متفقًا عليه، فنبدأ بذكر البنود واحدًا تلو الآخر، مع وقفة عند كل واحد للتحقق والتأكد منه وتثبيته، وهذا الفعل هو دلالة صوت (الخاء والتاء) إلى أن نصل إلى عملية النهاية فنضع البند الأخير الذي يُعطي لما سبقه صفة التصديق، والتواصل، والإكمال والتثبيت، والاستمرار لمضمون الاتفاق دون زيادة أو نقصان، وهذا دلالة صوت (الميم).

ومن هذا الوجه، يتم استخدام فعل (ختم) لكل **عمل تم الانتهاء منه بصورة كاملة، مع إعطائه صفة التواصل، والصلاحية والاستمرار، والتثبيت والمصداقية،** وهذه الصور لفعل (ختم) اقتضى في واقع حال المختوم؛ أن يكون الخاتَم هو الآخر ضرورة لازمة، وإلا انتفى عنه صفة الختم. وظهر ذلك الاستخدام في ختم العقود والوثائق، فبعد عملية الختم لا يصح أي زيادة أو تغيير.

فمفهوم الآخر وحده؛ يدل على نهاية الأمر المتكلم عنه، ولا يُفيد نفي وجود شيء بعده في الواقع إلاّ بقرينة تُحدد ذلك، نحو قولنا: جاء زيد آخر الناس. فهذا الكلام لا يفيد نفي مجيء أحد بعده، لأنه من المحتمل أن يجيء إنسان بعده. فهو يُفيد الآخرية في زمن التكلم فقط، ولا ينسحب إلى المستقبل، غير أنه لا يُفيد صفة التواصل والمصداقية والإكمال للناس الذين سبقوه، فكلمة الآخر؛ تدل على مجرد وصف حال الأمر من

حيث هو آخر شيء حصل إلى زمن التكلم مع احتمال استمراره.

إذن؛ دلالة كلمة (الخاتَم) أعم وأشمل من دلالة كلمة (الآخر)، ولا يصح استخدام كلمة (الآخر) بدل كلمة (الخاتَم).

قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [يس: 65] فختم الأفواه؛ هو تثبيت وتوقيف وظيفتها على شيء كامن في داخلها يقوم به جهة أخرى، وليس إغلاق الأفواه كما تُغلق الأبواب !، لأن عملية إغلاق الفم يقوم الإنسان نفسه بها، بخلاف عملية الختم؛ فلا بُدَّ لها من جهة أخرى تختم عليه، وعملية الختم لا يمكن أن يتم فتحها، أو إلغائها إلا من الفاعل الذي قام بالختم. مثل إن قامت السلطات بختم محل تجاري لوقوعه بمخالفة ما. فإن قام صاحب المحل بفك الختم؛ كان فعله غير شرعي ومحاسب عليه.

قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ**﴾ [الأنعام: 46]. وقال: ﴿**يسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ، خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ [المطففين: 26 -25].

فالمختوم؛ هو شيء تم صنعته بصورة معينة، وتم إنهاؤه وتثبيته على ما هو عليه، والمحافظة على أن لا يتم عليه الزيادة أو النقصان، وإعطاءه صفة الاستمرار والصلاحية.

وبعد هذا المدخل المختصر؛ نصل إلى المفهوم الذي هو محل الدراسة ألا وهو:

نقاش الجماعة الأحمدية

﴿رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾

قال تعالى: **﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾** [الأحزاب: 40].

يخبرنا الله كونه صاحب العلاقة في بعث النبيين، أنه قد جعل النبي محمدًا خاتَمًا للنبيين، بمعنى أن ما تم إرساله للناس عن طريق هذا النبي الكريم هو خاتَم لكل ما سبقه من الكتب الإلهية، حيث تواصل معها، وأعطى صفة التصديق لأصلها، ولمجموعة من مضمونها، ونسخ أو عدَّل أمورًا أخرى، وأضاف أمورًا، إلى أن تم إكمال المشروع الإلهي، وتثبيته وإنهاؤه، وجمعه في كتاب واحد، فكان هو (القرءان) آخر الكتب نزولًا، وأخذ صفة الكامل والجامع.

وكلمة (خاتَم) بفتح التاء، هي تلاوة حفص عن عاصم، أما التلاوات الأخرى فقد أتت كلمة (خاتِم) بكسر التاء، وبالتالي يصير معناها أن النبي محمد هو الفاعل بحضوره الشخصي الذي قام بعملية الخَتْم للنبيين، ومقام الفاعل ليس من النبي نفسه، وإنما جعله الله كذلك، فصار النبي محمدًا خاتَمًا يتم الختم به بواسطة القرءان، وصار خاتِمًا بشخصه يتم به بواسطة القرءان ختم كل ما سبق من دعوات للنبيين.

فَتَمَّ توقيف عملية بعث النبيين لانتهاء مهمتهم، وبلوغ المشروع الإلهي صفة الكمال ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

فكل نبي هو رسول ضرورة، والعكس غير صواب، فليس كل رسول نبي، والرسول النبي هو على حالتين، أحدهما **صاحب رسالة،** والآخر **تابع له،** وكلاهما مأموران بالتبليغ والدعوة والتعليم وقيادة الناس، ومَثل ذلك مَثل الرسول النبي موسى القائد، والرسول النبي هارون التابع لأخيه ووزيرًا له.

فعندما قال الله: ﴿ **رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ دلَّ ذلك ضرورة على ختم مقام النبوة بنوعيها: الرسول النبي صاحب الرسالة، والرسول النبي التابع له، وهذا ما يقتضيه عموم النص، ولا يوجد مبرر أو قرينة لاستثناء الرسول النبي التابع من عملية الختم، وحصر الختم بالرسول النبي القائد؛ لأن ذلك تدخّل في مفهوم النص، وإلغاء جزء من دلالته دون برهان، والختم أتى متعلقًا بمقام النبوة فقط دون مقام الرسول، وهذا يدل على استمرار مقام الرسول دون النبوة، وهذا تحقق في كل من حمل الرسالة من بعد النبيين طوعًا من العلماء والدعاة والقادة الراشدين، **واستمرار وجود مقام الرسول ضرورة اجتماعية وإيمانية لإقامة الحجة على الناس، والأخذ بأيديهم إلى طريق الصواب والرشاد.**

لاحظ أن كلمة (خاتَم) في تلاوة عاصم لم تأت بصيغة اسم فاعل، لأن النبي محمد ليس هو الفاعل لعملية الختم، وإنما الفاعل هو الله، لذا أتت كلمة (خاتَم) اسم للشيء الذي يتم الختم به (أداة)، وهذا ما نستخدمه في حياتنا العملية من قيامنا بتسمية الشيء الذي نختم به (خاتَم)، ومن يقوم بالختم يكون خاتِمًا، اسم فاعل،، أما تلاوة الآخرين (خاتِم) بالكسر، فالفاعل هو النبي بشخصه، ولكن ليس أصالة، وإنما تكليفًا وجعلًا.

إذن، عملية الختم في واقع الحال موجهة لمقام النبوة بنوعيه (القائد والتابع)، وذلك نتيجة إكمال الرسالة، وبالتالي انتهى دور النبيين، فتم توقيف بَعثهم، واستمرت الرسالة الكاملة التي تحتوي مصداقيتها في مطابقة خطابها مع محلها من الواقع من خلال البيِّنات، وآيات الآفاق والأنفس، ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ**

﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53] ؛ لأن بَعث النبيين كان أمرًا لا بُدَّ منه عند تشكل وتراكم نزول الرسالة الإلهية، وذلك للأخذ بيد المجتمعات الإنسانية القاصرة، وعندما وصل المجتمع الإنساني إلى بداية سن الرشد والنضج، اقتضى رفع الوصاية الإلهية المباشرة، وتوقيف بعث النبيين لإكمال الرسالة، والذي دَلّنا على وصول الإنسانية إلى بدء سن الرشد؛ هو اكتمال التشريع وحفظه، وتوكيل الأمر إلى الرسل من العلماء والدعاة وقادة المجتمع ليستمروا في عملية التفاعل، والدراسة للرسالة الإلهية الكاملة، ويُسقطوها على الواقع، ويمارسوا مقام الخلافة في الأرض، الذي منحهم إياه الله. **﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾** [البقرة: 30].

فدلالة كلمة (خاتَم أو خاتِم) تُفيد التواصل، والمصداقية، والصلاحية، والكمال والاستمرار، والإنهاء، والتثبيت، وآخر الشيء. كل هذه الأمور مجتمعة؛ هي مفهوم (الخاتمَية أو الخاتِمية)

لذا؛ لا يَصح وضع مفهوم (الخاتَمية أو الخاتِمية) مقابل مفهوم (الآخر)، لأن هذا المفهوم قاصر، ولا يدل على تمام وكمال مفهوم الخاتَمية، بينما مفهوم الخاتَمية يشمل مفهوم الآخر، فكل عمل مختوم لا يمكن فتحه، والإضافة له، أو تعديله دون إلغاء عملية الختم، فعندما قال الله **﴿رَّسولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾** أنهى وأغلق باب بعث النبوة بكمال الرسالة، وبشخص النبي محمد نفسه، ولن يبعث الله نبيًّا بعد نبيه محمد أبدًا؛ لا نبيًّا قائدًا، ولا نبيًّا تابعًا.

وبالتالي من يَدَّعي النبوة فهو مُفترٍ، ويكذب على الله وعلى الناس، أو واهم بسبب تماهيه مع الأفكار حتى صارت هاجسه!.

ولا يصح القول: إن استمرار وحي النبوة، وتواصل الله مع خلقه من خلاله، هو رحمة ونعمة، وأمة محمد أَولى من الأمم السابقة في استمرار النبوة فيهم !، وذلك

للاختلاف بينهما، فالأمم السابقة أمم ناشئة مبتدئة تحت الوصاية الإلهية، أما حينما وصلت الإنسانية إلى بداية سن الرشد؛ نزل القرءان بصفته المكملة والجامعة، وأعلن الله رفع الوصاية المباشرة عن المجتمع الإنساني، وطلب منهم الاعتماد على أنفسهم في عملية التعامل والتفاعل مع القرءان، وربط خطابه بمحله من الواقع، ليصيرا -القرءان والعلم - توءمان لا ينفكان عن بعضهما، وأتمَّ نعمته على الناس بإكمال الدِّين، وبرفع الوصاية عنهم، وتسليمهم مقام الخلافة ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾ [المائدة: 3].

والأمر أشبه بالوصاية على اليتامى، فإذا بلغوا بداية سن الرشد ينبغي أن تُرفع عنهم الوصاية، ويعتمدون على أنفسهم وفق التعليمات والإرشادات التي تعلموها من الوصي، وإذا استمرت الوصاية بعد ذلك، تَحَوّل الأمر من نعمة ورحمة؛ إلى نقمة وشقاء، وانتفى الاحترام لهم، وفقدوا فاعليتهم، وكذلك مفهوم إمكانية استمرار النبوة بعد إكمال الرسالة، ووصول الإنسان كجنس إلى بداية سن الرشد، هو نقمة وشقاء، وليس نعمة، ولا رحمة، لأن ذلك تعطيل لمقام الخلافة للإنسان، وانتفاء التكريم له، والأقوام السابقة لم يكتمل الدِّين في زمنهم.

وبالتالي لم يُتمَّ الله النعمة لهم، ولم يرض عن الدِّين لانتفاء كماله بعد، وكل ذلك حصل في الأمة الإسلامية، **الإكمال للدين، وإتمام النعمة، والرضا من الله**، فهذا فضل ونعمة ورحمة وتكريم للأمة لم ينله السابقون، لذا فَقَد سؤال هل استمرار النبوة نعمة أم نقمة مبرر عرضه، لأن هذا السؤال قاصر وبحاجة إلى ضبط، وهو تحديده بقبل **إكمال الدِّين، وإتمام النعمة، ورضا الرب**، أم بعد حصول ذلك كله؟ فإن كان قبل ذلك فلا شك أن بعث النبيين رحمة ونعمة، وإن كان بعد ذلك فهو عبث وخطأ وجبر وقهر وفقدان الاحترام للناس وإهدار كرامتهم، وتعطيل مقام الخلافة، فصيغة السؤال خطأ، وهو مثل من يقول: الرحمة ظلم أم عدل، وهذا خطأ، لأن الرحمة قطعًا ليست ظلمًا، وهي فوق العدل، وكذلك قول أحدهم: إن لم تكن معي فأنت ضدي.

وهذا خطأ أيضًا ؛لأنه يوجد احتمال ثالث، وهو ليس معك ولا ضدك، وإنما موقف حيادي. وكذلك السؤال السابق: بَعث النبيين نعمة أم نقمة؟. فلا شك أن بعثهم نعمة، ولكن عدم بعثهم ليس نقمة، فالعطاء للناس إحسان وعدم العطاء ليس ظلمًا أو كفرًا. وهذه أمثلة لتقريب خطأ السؤال وعدم ضبطه.

فالوصاية على اليتامى نعمة ورحمة، ورفعها عن الراشدين نعمة ورحمة وتكريم واحترام وثقة.

وانقطاع النبوة في الناس؛ لا علاقة لها بمسألة انقطاع الوحي، فقد تتم عملية الوحي من الله لبعض الناس لأمر خاص بهم، لا علاقة للمجتمع به، مثل قوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ**﴾ [القصص: 7]، فهذا الوحي الإلهي، ليس وحيًا للتكليف بمقام النبوة، وليس وحيًا تشريعيًّا، وإنما هو وحي خاص للإنسان، كرامة، وتأييدًا وتوفيقًا، أو توجيهًا أو بُشرى..، ولا يصلح أن يكون برهانًا لشيء بالنسبة للمجتمع أبدًا، ولا ينسخ حكمًا شرعيًّا بحق الفرد، ولا يضيف أي شيء، ولا يُلزِم الآخرين باتِّباعه، أو جعله إمامًا، أو يُسمح له بادِّعاء الإمامة، والقيادة من قبل الله !.

ومن هذا الباب، الإشارات والموافقات، والرؤيا، وما شابه ذلك؛ التي يمكن أن تحصل مع الإنسان، فهي كلها خاصة له، لا تعني المجتمع بشيء من الناحية الفكرية، أو التشريعية، وقد تعني من ناحية الأحداث، مثل رؤيا الملك لسبع بقرات سمان في قصة النبي يوسف، ﴿**وَقَالَ المَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ**﴾ [يوسف: 43].

وينبغي على الإنسان أن ينتبه لهذه الأمور فلا تخدعه نفسه ويتماهى مع الأفكار، ويظن أنه نبيًّا، أو مبعوثًا من قبل الله!، فكل العلماء والدعاة

رُسلًا، والناس عمومًا مكلفين بالعلم والدعوة، حسب مستواهم العلمي، والثقافي، ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ**﴾ [آل عمران: 110].

أما مسألة الاستدلال على استمرار وجود الأنبياء؛ بنزول عيسى في آخر الزمن، فهذه مسألة قد تم صنعها كهنوتيًا لتبرير ادِّعاء النبوة، فالنبي عيسى أكمل مهمته الرسالية كما أمره الرب، وقد عصمه من القتل بأي طريقة كانت، سواء صلبًا، أم قطع الرأس، أم غير ذلك، وأطال عمره حتى أكمل المهمة التي كلفه الله بها، فالنبيون أصحاب الرسالة من أولي العزم معصومون عن القتل المادي الذي يُزهق حياتهم، وذلك موجه لطبيعة المهمة التي كُلِّفوا بها، والقتل للنبيين القادة الذي مارسه اليهود إنما هو قتل معنوي تمثل بكفرهم وعدوانيتهم، بخلاف قتلهم للأنبياء التابعين فقد كان قتلًا ماديًّا، وهذا هو القتل بحد ذاته، وهو غير مرتبط بزمان أو حياة النبي نفسه، بدليل أن القتل لدعوة النبيين مستمر إلى الآن ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الِّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [آل عمران: 21].

فهاهم الذين ينتسبون إلى الإسلام يقتلون نبيهم محمدًا من خلال محاربة دعوته بوعي أو دون قصد، وكذلك مسألة رفع عيسى فهي رفع قيمة، وليست رفع مكان. قال تعالى على لسان عيسى: ﴿**مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [المائدة:117]، والوفاة للنفس بغير رجعة تكون حين موتها ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الزمر: 42].

ولا يوجد وفاة للنفس دون رجعة إلا بموتها، وذلك خلاف وفاة النفس أثناء

المنام، فإنها ترجع للحياة الفاعلة في الدنيا، فالنبي عيسى توفاه الله بعد أن مات، وانتهت مهمته الرسالية، لذلك؛ لا يصح أي خبر، أو حديث في نزول عيسى في آخر الزمن، والآيات القرءانية التي يستدلون بظاهرها لإثبات فكرتهم؛ لا علاقة لها بالموضوع أبدًا؛ وإنما يتم صرف معناها، وتحميل النص ما لا يحتمل.

وما ينطبق على النبي عيسى، ينطبق على مفهوم الإمام المهدي، فما يستدل به أصحاب فكرة الإمام المعصوم، يدحضه أصحاب فكرة الإمام المهدي المسيح، والعكس أيضًا، وهذا لأن كِلا المفهومين غير صواب.

والغريب أن من يُثبت إمكانية وجود الإمام المهدي المسيح؛ يعتمد على مسألة نزول عيسى في الموروث الإسلامي، وبعد استخدامها لإثبات بعث الإمام المهدي المسيح، يقومون بإثبات موت عيسى، وأنه لن ينزل في آخر الزمن.

والمقصود بهذه الأخبار هو الإمام المسيح الذي يخصهم، وذلك بقولهم: إن الذي سوف يُبعث ليس هو عيسى بشخصه، وإنما المقصود مثيله بالصفات؛ من حيث قيامه بعملية المسح للأرض، وإزالة الكفر، ونشر الإسلام !، ويقولون بنبوته دون رسالته، ويعدّونه تابعًا للرسول محمد مثل تابعية النبي هارون لأخيه الرسول موسى، ويصفونه بالنبي الخادم أو الظلي للنبي محمد.

ولا أدري ما فائدة هذا النبي مع تمام وكمال، وحفظ الرسالة !، فإن كان لدراستها، وتعليمها للناس، فهذا يحصل من خلال العلماء على كافة الاختصاصات، وما رأي هذا النبي المسيح؛ إلا رأيًا خاصًّا به، يخطئ ويصيب، والمعيار هو **القرءان والعلم والمنفعة للناس**، وإن كان لتجديد ما انقرض أو تحرف من الرسالة، فهذا أيضًا غير موجود لتمام، وكمال، وحفظ الرسالة، كما تعهد الله بذلك، ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا**﴾ [النساء: 87].

فلماذا نسميه نبيًّا أو مسيحًا؟ وكيف نجعل الإيمان بنبوته ركن من أركان الإيمان

رغم أن الله لم يطالبنا بالإيمان بالأنبياء، وإنما طالبنا بالإيمان بالرسل النبيّين، انظر إلى قوله تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: 285].

والرسل النبيّون القادة هم أصحاب الكتب، فيجب الإيمان بهم، واحترام أتباعهم، والتعايش معهم، أما الأنبياء التابعة؛ فليس المطلوب الإيمان بهم، وذلك لعدم وجود رسالة عندهم، ونفي الإيمان بمعنى نفي الاتِّباع، وهذا شيء طبيعي لانتفاء وجود الرسالة، وانتفاء وجودهم الشخصي على قيد الحياة، ولكن نصدق بوجودهم؛ لأن الله أخبر بقصصهم.

فينبغي التفريق بالدلالة بين **مفهوم الإيمان الذي يدل على التصديق والاتِّباع معًا، ومفهوم التصديق الذي يدل على مجرد القناعة والإقرار بصواب أمر**، فالسؤال الذي يفرض ذاته هو: هل من يدَّعي النبوة يعتقد بوجود رسالة خاصة له ؟ فإن كان الجواب بالإيجاب؛ فقد كفى الله المؤمنين القتال، لأن الرسالة كاملة على ما هي عليه، وبالتالي؛ أي رسالة أخرى بعدها هي كذب وافتراء على الله، وصاحبها مُدَّعي للنبوة والرسالة.

وإن كان مُدَّعي النبوة يقول: أنا نبي تابع للرسول محمد، ولم ينزل عَلَيّ أي رسالة أبدًا، يكون قد نفى عن نفسه صفة الإيمان به؛ لأنه ليس رسولًا نبيًّا قائدًا، وانتقل إلى مسألة التصديق، أو التكذيب بنبوته، وسواء أكان يمكن أن يكون نبيًّا، أم لا، فالأمر لا يُقدم ولا يُؤخر، لأن المفهوم قد تفرغ من محتواه، وصار اسمًا وشكلًا، دون مضمون، لعدم وجوب الإيمان به لانتفاء نزول رسالة عليه تكون محل الاتِّباع، ومثل ذلك كمثل مَن يُطالب بالإيمان بالرسول النبي هارون!

فكيف نصدق ونتبع النبي هارون؟

المطلوب هو التصديق، وليس الاتِّباع له. فدعوى وجوب الإيمان بإمامة ونبوة

المسيح المهدي دعوى باطلة، فما بالك إذا كان ادِّعاء النبوة له باطلة أصلًا، وغير ممكنة لتناقضها مع صفة الخاتمَية، والخاتِمية للرسول النبي محمد الذي لا يحتاج إلى وزير نبي معه أو بعده.

ويوجد مسألة مهمة أيضًا **متعلقة بِنَسَب من يمكن أن يصطفيه الله لمقام النبوة، وهي أن يكون من ذرية نوح وإبراهيم، أو من ذرية أحدهما ضرورة.**

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 26].

أما ذكر كلمة النبيين في سياق الإيمان، نحو قوله تعالى: **﴿وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾** [البقرة: 177]، فهذا المقصود به مفهوم النبيين القادة، لأن الإيمان موجه إلى الرسالة، وليس إلى شخص النبي، فالإيمان المطلوب هو التصديق والاتِّباع لما نزل على النبي من أوامر وأحكام، فإن لم ينزل على النبي شيء، فكيف نؤمن به تصديقًا واتباعًا ؟

وإن نزل عليه وحي تكليفي متعلق بسلوك الناس صار رسولًا نبيًّا!.

وقد يقول قائل: كيف طلب الله الإيمان بالنبيين من الأقوام السابقة، ولم ينزل عليهم رسالة، وإنما كانوا تابعين للرسول النبي السابق ؟ والجواب عن هذا؛ هو أن الرسالة لم تكتمل بعد، والمجتمعات الإنسانية لم تصل إلى بداية سن الرشد، فكان لا بُدَّ من بعث النبيين للأخذ بيد الناس، وقيادتهم للوصول إلى بداية سن الرشد والنضج، أما بعد أن اكتملت الرسالة نزولًا - وهذا الحدث مؤشر على أن المجتمع الإنساني قد وصل إلى بدء سن الرشد- انتفت الحاجة والضرورة من استمرار الوصاية الإلهية عن طريق الأنبياء، **فتمت عملية ختم النبوة بالنبي محمد بنوعيها القيادية والتابعية**، غير أن الإيمان المطلوب هو موجه إلى الأنبياء الذين ذكرهم الله في القرءان.

وبالتالي، فنحن غير ملزمين بأي نبي لم يرد اسمه في القرءان، ومن العدل أن لا يحاسب الله الإنسان على شيء لم يطلبه منه، أو لم يبينه في كتابه، وما ينبغي أن يُبنى هذا المفهوم على الظن والاجتهاد أبدًا، فالأحاديث المنسوبة إلى النبي لا تصلح أن تكون برهانًا، وذلك لأمرين:

الأول: ظنية ثبوتها، والاختلاف في صوابها، ودلالتها.

الثاني: نفي صفة الوحي، والحفظ الإلهي عنها.

خاصة أن الكتاب الإلهي قد اكتمل نزولًا، وجُعل النبي محمدًا خاتِمًا لما سبق، فصارت العلاقة بين صفة الكمال للدين، والختم للنبيين جدلية، الكمال يقتضي الختم، والختم يلزم الكمال.

وعملية استمرار بعث الأنبياء مرتبطة بمفهوم كمال الرسالة، ووصول المجتمعات الإنسانية إلى بداية سن الرشد، فمن ثبت عنده ذلك، يقتضي انتفاء بعث الأنبياء ضرورة، ومن يعتقد بعدم كمال الرسالة، وانتفاء وصول الإنسانية إلى بداية سن الرشد، يقتضي ذلك استمرار بعث الأنبياء، **أما الاعتقاد بكمال الرسالة، وإتمام النعمة، ورضا الرب، ووصول الناس إلى سن بداية الرشد، واكتمال اللسان العربي، ومع ذلك تعتقد بإمكانية استمرار بعث الأنبياء، فهذا تناقض واضح وغير منطقي!.**

لأن الأمر يصير مثل بلوغ اليتامى بداية سن الرشد، والنضج، واكتمال التعاليم لهم، وقدرتهم على التعامل معها مباشرة، ومع ذلك مستمرة عليهم صفة الوصاية !، لا يجتمعان أبدًا، ولا تقبله المجتمعات الإنسانية، ولا يصح تسمية ذلك رحمة، أو احترامًا، أو محبة !، إنها الهيمنة والاستبداد، والحجر على العقول، واغتيال حق الآخر في عملية الإبداع، ونفي الاجتهاد والاختيار، وتعطيل وظيفة مقام الخلافة للإنسان.

نقاش وحوار

لقد قرأتُ بوعي «مفهوم الخاتمية» عند الجماعة الأحمدية، فلاحظت أنهم تجاوزوا نقاش النص المركزي في الموضوع، وأخذوا يعرضون أدلة على إمكانية استمرار بعث الأنبياء، وذلك بسرد نصوص **لا تدل بصورة قطعية على فكرتهم، وبالتالي لا يمكن أن يُحسم النقاش فيها،** وقياس الأمة الإسلامية على من سبق من الأمم قياس غير صواب، وذلك للفروق بينهم، التي منها:

1. خصوصية دعوة الأنبياء والرسل لأقوامهم، بينما رسالة النبي محمد عالمية وإنسانية.
2. لم يتم إكمال الدِّين في بعث الأنبياء السابقين، بينما تم الإكمال للدين نزولًا في بعث النبي محمد.
3. لم تتم النعمة على مَن سبق من الأقوام بينما تمت النعمة علينا.
4. ولنفي عملية الإكمال للدين في بعث الأنبياء سابقًا، ونفي إتمام النعمة، ولم يحصل رضا الرب بعد، لم يصرح الله بصفة الخاتمية لهم، بينما عندما أكمل دينه ببعث النبي محمد، وأتم نعمته، ورضي الإسلام دينًا، صرح بصفة الإكمال للدين، ولشخص النبي بالخاتمية.

والأَولى أن يُناقشون مفهوم الخاتمية فقط المبني على **إكمال الدِّين، وإتمام النعمة، ورضا الرب، نتيجة إكمال اللسان العربي، ووصول الإنسانية إلى بدء سن الرشد،** فإن استطاعوا أن يَنفوا تَضمن دلالته على (الآخر) إضافة للدلالات الأخرى التي ذكرتها في مقالي، مثل المصداقية، والكمال، والاستمرار، يكونون قد أنهوا النقاش، وأثبتوا فكرتهم، وإن لم يستطيعوا ذلك، تكون فكرتهم واهية.

وسأناقش مثلًا واحدًا مما يعرضونه، وهو:

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: 35].

يقولون: (والخطاب في هذه الآية جاء بصيغة المضارع، التي تفيد الاستقبال، أي: أنَّ الخطاب لبني آدم في المستقبل، والآية تطلب من هؤلاء أنْ يؤمنوا بالمرسَل إليهم منهم. ولو فرضنا أنْ لا أحد سيأتي في هذه الأمة مبعوثًا من عند الله؛ لما كان لهذه الآية أية فائدة، وحاشا لله من ذلك).

- إن خطاب (يا بني آدم) شامل كل الناس إلى يوم القيامة كما ذكروا، وهذا لا خلاف فيه، وكلمة (يأتينَّكم) فعل مضارع تفيد الاستمرار والمستقبل، فأيضًا صواب لا غبار عليه، ولكن من أين أتوا بكلمة (مبعوثًا) في النص؟ والنص ذَكر كلمة (يأتينَّكم) ! ودلالتها غير دلالة كلمة (بعث)، وكذلك النص ذكر كلمة (رُسل) ولم يذكر كلمة (نَبيّين).

ويوجد فرق بين دلالة الكلمتين كما ذَكرتُ سابقًا من حيث أن كل نبي رسول ضرورة، والعكس غير صواب، **والنبوة مختومة بنوعيها (القائد والتابع) ببعث النبي محمد، بينما مقام الرسول مستمر إلى يوم الدِّين ضرورة لإقامة الحجة على الناس، لذلك أتى في النص كلمة (منكم) ولم تأت كلمة (منّي) ! مع غياب كلمة (بعث) المتعلقة بالنبيين**، وإدخال النبيين في دلالة كلمة الرسل بحاجة إلى قرينة، والإيمان مطلوب بكل الرسل (النبيون خلال حياتهم)، (والعلماء والدعاة والقادة الراشدون).

وهذا يقتضي حياتهم لأن من المعلوم أن الطاعة متعلقة بحياة الآمر، ولا تكون الطاعة للأموات، وبالتالي يجب تصديقهم واتِّباعهم فيما يأمرون من الحق والصواب وما ينفع الناس، وبالتالي ثبت أن النص له فائدة مستمرة، ولا علاقة له بمفهوم استمرار النبوة قط، وعلى أقل احتمال إن الدلالة لهذا المفهوم ظنية في النص، وإذا طَرأ الاحتمال بَطُل الاستدلال.

إن الشعر، وتراث العرب، وغير ذلك، ليست أدلة أو براهينَ لإثبات مفهوم أو دلالة كلمة، وذلك لعدة اعتبارات:

1. لم يتعهد الله بحفظ الشعر، وتراث العرب من أن يصيبه التحريف أو الضياع.

2. إن استخدام الإنسان للألفاظ أيًّا كان مستواه في اللسان العربي بلاغة أو فصاحة، لا يخلو من عجمة، وذلك لاتصافه بالمحدودية والقصور، فيستحيل أن يكون خطابه مطابقًا لمحله من الخطاب، ويصلح التعامل معه في كل زمان ومكان، لذا؛ لا يصح الاعتماد عليه، أو جعله برهانًا لدلالة كلمة معينة.

3. إن التراث كونه نتيجة تفاعل الإنسان المحدود في صفاته، وحصول عملية التحريف فيه زيادة أو نقصانًا، بسبب الصراع السياسي، أو لنصرة الأفكار، نجد أنه قد احتوى الفكرة ونقيضها، فكل صاحب فكرة يستطيع أن يُدلل عليها من التراث.

انظروا إلى الأحاديث التي تنفي وجود بعث أي نبي بعد محمد ؟ وأشهرها (لا نبي بعدي) وإن حكمتم عليها بالضعف، أو الوضع؛ فهذا لا ينفي صحتها عند الآخرين، ونهاية القول؛ يكون كلامكم مقابل كلامهم، ولا يستطيع أي منكم أن يُقيم الحجة على الآخر، **وليس لكم إلا الرجوع إلى القرءان فقط.**

وبالنسبة لمفهوم (الخاتمية) أيضًا يكون فهمكم مقابل فهمهم، انظروا للأحاديث التي استخدمت كلمة (ختم) كيف أتت تتضمن مفهوم الآخر ضرورة نحو (من قرأ خواتم سورة الكهف كفاه الله فتنة الدجال).

إن النص القرءاني هو الوحيد الذي يُمثل أصالة اللسان العربي، وهو الوحيد الذي لا يوجد في صياغته عجمة، لذا؛ ينبغي حصر الاستدلال فيه من خلال دراسة استخدام الكلمة في النص كله، وفهم دلالتها من خلال إسقاطها على محلها من الخطاب، لارتباط النص بالواقع.

أما ما يتعلق بموضوع الأحاديث التي ذكرت المسيح أو المهدي، فهي لا تصلح أن تكون برهانًا لإثبات مسألة على هذه الأهمية والعظمة، فالأصل أن تَثبت هذه المسائل في النص القرءاني، غير أن هذه الأحاديث مُنتفي عنها صفة القطعية الثبوت، ولا يصح استخدام كلمة التتابع على الحديث لأن التتابع يتعلق بالحدث والفعل، وينبغي أن يكون ابتداء في المجتمع الأول الذي زامن الحدث، والتتابع لا يوجد له سند معروف، فإن وُجد له سند، فهذا برهان على نفي التتابع عن الحدث.

وكذلك لا يصح أن يأتي باحث في زمن لاحق يقول: اكتشفت أن هذه الأحاديث متتابعة!، فهذا خطأ لأن التتابع يتعلق بالحدث والعمل، وبالتالي من الخطأ استخدام هذه الأحاديث براهينَ أو أدلة، وينبغي حصر النقاش في النص القرءاني فقط.

ليس كل أصحاب النبي أتباعه

إن مفهوم الصحابي؛ ليس له مفهومًا دينيًّا محدد مثل مفهوم الصلاة والصيام والحج، وبالتالي؛ يرجع ضبطه إلى دلالته لسانًا وثقافة (القرءان).

إن كلمة صحابي ترجع في جذرها إلى كلمة (صحب)، فعلى ماذا تدل كلمة صحب؟

ص: صوت يدل على حركة متصلة محددة.

ح: صوت يدل على تأرجح شديد منضبط.

ب: صوت يدل على جمع مستقر.

وباجتماع هذه الأصوات الثلاثة بالترتيب المذكور، نصل إلى أن دلالة كلمة صحب هي حركة متصلة محددة مؤرجحة بشدة، منتهية بجمع مستقر. وتحقق ذلك بعملية الصحبة، عندما يقوم زيد بإيجاد علاقة اجتماعية مع آخر مستمرة في الزمن، وليست مؤقتة. فالصاحب ليس هو عابر سبيل في العلاقة الاجتماعية.

لننظر إلى استخدام القرءان لمفهوم (الصاحب).

1. ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ**﴾ [يوسف:39]، نلاحظ أن النبي يوسف قد خاطب من معه في السجن بكلمة (يا صاحبيَّ)، رغم أنهما مختلفان معه في الفكر، ولكنهما مشتركان معه في المكان والحياة المعيشية، وبينهما علاقة معينة.

2. ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: 37].

إذن؛ لا يُشترط للصاحب أن يكون موافقًا في فكره لصاحبه.

3. ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ [المعارج: 12-13].

4. ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 101].

إذن؛ الصحبة يلزم لها العلاقة المستمرة مع الزمن، مثل علاقة الزوج بزوجته. ومن هذا الوجه نقول: أصحاب الجنة، أصحاب النار، صاحب الدار، صاحب المال، وبذلك العرض؛ يظهر لنا أن القرءان لم يُعط لمفهوم الصحبة أي ميزة، أو فضل، لاحتمال وجود الصاحب المخالف بالفكر، والسلبي في التعايش، مثل صاحبي الجنة، فأحدهما كفر باليوم الآخر، ولكنه ما زال صاحبًا للآخر المؤمن، لأنه ليس كل كفر أو مخالفة، هو موقف عداء وحقد، فالكفر كُفران.

أنواع الكفر

أحدهما، كفر سلبي، وهو الموقف الحيادي الانعزالي الخاص بصاحبه، لا يعادي أو يحارب أحدًا.

والثاني: كفر إجرامي، وهو موقف عدائي حاقد على الآخرين المخالفين له، ويكون معياره في تصنيف الناس هو، من لم يكن معي فهو ضدي ضرورة، بينما المؤمن صاحب الحق يكون معياره هو التعايش السلمي والإيجابي مع الناس كافة، ولا يُعادي إلا من يُعاديه، ومن لم يكن معه فليس من الضرورة أن يكون ضده.

قال تعالى: ﴿**وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ**﴾ [التكوير: 22]، ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**﴾ [النجم: 2]، فلقد وصف الله النبي محمد أنه صاحب لقومه الكفار الذين اتهموه بالجنون، والسحر والشعر، وغير ذلك من المعاداة الإعلامية الثقافية، ومع ذلك فهو صاحبهم.

إذن ؛ يمكن أن يكون الصاحب عدوًا لدودًا لصاحبه!.

وبناءً على ما ذكرت يحق لنا أن نسأل **من هم أصحاب النبي**؟

1. هل هم كل من رأى النبي ولو لحظة واحدة؟ والجواب قطعًا بالنفي.
2. هل هم كل من رآهم النبي ولو لحظة واحدة؟ والجواب قطعًا بالنفي.
3. هل هم كل من عاصر النبي واجتمع معه مرة أو مرتين؟ والجواب قطعًا بالنفي.

4. هل هم كل من آمن بالنبي وعاصره، ولم يجتمع معه أبدًا؟ والجواب قطعًا بالنفي.

5. هل هم كل من عاصر النبي وشاهده وآمن به؟ والجواب قطعًا بالنفي.

6. هل هم كل من عاصر النبي، وآمن به، وعاش بصورة إيجابية في حركة وأحداث الدعوة الإسلامية ينطبق عليه وصف الصحابة؟ والجواب قطعًا بالنفي، فهؤلاء هم أتباع للنبي، وليسوا أصحابه.

7. هل كل من روى ونقل عن النبي حديثًا أو موقفًا وهو مؤمن به يصير صحابيًّا؟ والجواب قطعًا بالنفي.

8. هل كل أصحاب النبي كانوا متبعين له ومؤمنين بدعوته؟ والجواب قطعًا بالنفي؛ لأن قوم النبي هم أصحابه، وهو صاحبهم، ومعظمهم كفروا به وناصبوه الحقد والعداء واتهموه بالجنون والسحر.

9. هل أصحاب النبي كل من غزا مع النبي غزوة أو غزوتين؟ والجواب قطعًا بالنفي، لأنه شارك بالغزو معظم أتباع النبي.

من خلال هذه التساؤلات نصل إلى بضعة أمور مهمة وهي:

1. ينبغي أن نفرق بين **مقام التابع، ومقام الصاحب**، فلا يشترط للتابع أن يكون صاحبًا، كما أنه لا يُشترط للصاحب أن يكون تابعًا.

2. مفهوم أصحاب النبي عام يشمل المؤمنين به، والكافرين به. وللتمييز بينهم ينبغي أن نحدد المفهوم ونضبطه بإضافة كلمة (تابع) بالنسبة لصاحب النبي المؤمن بدعوته، فيصير (الصاحب التابع).

وبهذا العمل نميز الصحابي التابع عن الصحابي الكافر، لأنهم جميعًا أصحاب النبي. فليس كل أتباع النبي يتحقق فيهم مفهوم الصحبة، وبالتالي لا يصح

وصفهم بأصحاب النبي. وكذلك ليس كل أصحاب النبي اتبعوه وآمنوا بدعوته، وبالتالي لا يصح وصف أصحاب النبي بصفة أتباع النبي !، والأمر يلزم له الضبط والتحديد لاستخدام المفاهيم.

3. مفهوم الصحبة ليس له أي ميزة أو فضل أبدًا، لأن الفضل والميزة هي لمفهوم الاتِّباع وليس لمجرد الصحبة.

4. لم يذكر القرءان أبدًا مفهوم أصحاب النبي كما هو موجود في التراث الفقهي، ولم يذمهم أو يمدحهم ولم يأمر باتِّباعهم، وإنما أمر باتِّباع سبيل المؤمنين، وهم الذين اتبعوا النبي فصاروا أتباعًا له سواء أكانوا من أصحابه أم من غيرهم.

5. أصحاب النبي المؤمنين بدعوته هم مثل الآخرين المتبعين لدعوة النبي لا فرق بينهم أبدًا، إلا بالتقوى والعمل الصالح.

6. لا يوجد أي عصمة لصحابي تابع للنبي عن غيره من التابعين للنبي، وليسوا من أصحابه.

7. يمكن لأصحاب النبي أن يكفروا به، وبدعوته ويحاربوه كما حصل من قومه.

8. يمكن لأصحاب النبي التابعين له في الدعوة، أن ينقلبوا ضده فيما بعد.

9. يمكن لأتباع النبي أن يكفروا، وينقلبوا ضده، كما حصل لمجموعة منهم في ذلك العهد.

إذن؛ لا يوجد عصمة لأتباع النبي، ولا لأصحابه التابعين أبدًا. فالجميع في دائرة التكليف والحساب والمسؤولية، والجميع خاضع لعملية الجرح والتعديل، وإمكانية وقوع الكذب، أو الخطأ، أو الكفر واردة على الجميع دون استثناء لأي أحد منهم. وبناء على ما ذكرت من ضبط **مفهوم الصاحب، ومفهوم التابع**، نضرب أمثلة للتساؤل والنقاش.

1. هل أبو جهل وأبو لهب وغيرهم من سادة قريش من أتباع النبي أو من أصحابه؟

2. هل أبو سفيان ومعاوية وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم ممن دخل إلى الإسلام بعد الفتح هم من أصحاب النبي، أو من أتباعه؟

3. هل عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وغيرهم من الصغار، هم من أصحاب النبي، أو من أتباعه؟

4. هل من دخل في الإسلام بزمن النبي من القبائل العربية المجاورة، سواء رأوا النبي أم لم يروه، وحاربوا معه أم لم يحاربوا، هم من أصحاب النبي أو من أتباعه؟

5. أبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وغيرهم، هل هم من أصحاب النبي، أو من أتباعه؟

6. أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبو عبيدة الجراح، هل هم من أصحاب النبي، أو من أتباعه، أو من الأصحاب المتبعين للنبي.

7. هل أبو هريرة وأمثاله، من الصحابة التابعين للنبي، أو من الأتباع فقط ؟

8. هل أصحاب النبي التابعون له، أكثر عددًا، أو أتباع النبي أكثر؟

9. هل صفة الاتِّباع يُشترط لها المعاصرة للنبي، أو هي مستمرة إلى يوم الدِّين؟

الخلاصة:

يوجد أصحاب، ويوجد أتباع، ويوجد أصحاب أتباع. والقرءان لم يذكر إلا صفة الاتِّباع، وهي صفة متحركة مفتوحة إلى يوم الدِّين مرتبطة باتِّباع الرسول فيما أُوحِيَ إليه، لا علاقة لأي مجتمع سابق بذلك، وما ينبغي أن يتم اتخاذ أي مجتمع، ولو كان

الذي زامن نزول الوحي وصيًّا على فهم النص القرءاني، وكل الأفهام أمام النص القرءاني سواء، يؤخذ منها ويُرد عليها، والحكم الفاصل للجميع هو القرءان والواقع.

ولا فضل لأحد من الناس في حفظ وتوصيل القرءان إلينا، لأنه وصل من خلال ظاهرة التتابع المتنامية مع الزمن بوسيلة الحفظ والتلاوة له باللسان وفي الصلوات، والتوثيق له خطًّا في الصحف، ومطابقة خطابه لمحله من الواقع. والتتابع مسألة اجتماعية لا تخضع لعملية السند والعنعنة.

لذا؛ ينبغي أن يزول جدار العصمة والتقديس عن أصحاب النبي المتبعين له، وعن أتباعه. ويخضع الجميع للدراسة والنقد التاريخي مثلهم مثل أي مجتمع. والعلاقة بيننا وبين المجتمعات السابقة مبنية على مفهوم الاتِّباع للرسول النبي فهو المقياس لحركة التواصل والرضا عنهم، ولا علاقة لمفهوم الصحابة في ذلك أبدًا؛ لأن هذا المفهوم هو خاص بالنبي وحياته الشخصية والاجتماعية، فقسم من صحابته اتبعوه، وقسم آخر كفروا به.

أما أتباع النبي شخصيًّا فهم الذين آمنوا بدعوته ونصروه في زمنه، أما من جاء بعد النبي فهم أتباع الرسول دعوة وعلمًا وإيمانًا، وليسوا أتباعًا للنبي، لوفاة النبي الحبيب ، فانحصرت تابعيتهم في الرسالة المتمثلة بالقرءان العظيم.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القرءان لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 19].

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

مفهوم التتابع بدل مصطلح التواتر

التواتر من وتر وتدل على الواحد أو خلاف الشفع. والتواتر يدل على تتابع الآحاد من الناس على شيء، والوتيرة هي تتابع الشيء على مستوى واحد مع انقطاع أو فاصل زمني يسير بين الحالتين.

فالتواتر لا يدل على الممارسة الجمعية المستمرة دون انقطاع، ولذلك ينبغي إبعاد مصطلح التواتر من الدراسة القرءانية، خاصة أن الكلمة غير مستخدمة فيه، ويترتب عليها إشكال كثير، وورد في القرءان كلمة الوتر بمعنى الفرد أو الواحد ﴿**وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ**﴾ [الفجر: 3] وهي مقابل الشفع، واستبدال مصطلح التواتر بمفهوم التتابع وهو مفهوم قرءاني من الاتِّباع.

بداية ؛ مفهوم الاتِّباع للأكثرية أو الآبائية مجردًا دون علم ولا برهان ولا عن بصيرة هو مذموم في القرءان وهذا أمر لاخلاف عليه وليس محل النقاش، فالآباء والأكثرية ليسا مصدرًا علميًّا أو دينيًّا تشريعيًّا ولا برهانًا على صواب شيء أو خطئه أو الحكم عليه، ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: 170].

ولكن القرءان لم يذم اتِّباع الواحد عن علم وبينة وإثبات ومن باب أولى اتِّباع الآباء أو الأكثرية عن علم وبينة وبرهان وليس اتباعًا شخصيًّا لقولهم فقط. لنقرأ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [الحجرات: 6].

من خلال مفهوم النص يدل على أن نبأ العدل والثقة يفيد الاتِّباع لنبئه بداية، وإن كان فاسقًا يجب أن نتبين ونتثبت صدق نبئه من خلال البرهان والتأكد والمشاهدة والعلم بالشيء قبل أن نتخذ أي قرار متعلق بالقوم، وهذا العمل لا علاقة له بالتشريع أو العلم، وإنما هو متعلق بأمور الناس المعيشية والممكنة الحدوث في حياتهم، وليست مستحيلة ولا مخالفة لما هو ثابت ويقين.

والنبأ عن حصول شيء لا يتعلق بكيف حصل؛ لأن ذلك محله العلم وليس النبأ، كما أنه لا يتعلق بحكم هذا الشيء؛ لأن محل مصدر الحكم الدِّيني هو القرءان وليس الأخبار والأنباء والممارسات.

وهذا يعني أن النبأ هو متعلق بحصول الشيء فقط وفق المعقولات والممكنات دون مخالفة الثوابت ولا علاقة له بالتشريع كحكم، ولا بالعلم كيف حصل الشيء، ونتعامل معه بداية على ثقة المخبر وصدقه.

هذا مع نبأ الواحد فما بالكم إن كان النبأ تتابع بالمجتمع كظاهرة مستمرة سلوكًا في ممارسة عمل معين تحقق فيه الشروط التالية:

1. أن يكون وفق المعقولات والممكنات.
2. لا علاقة له بتشريع حكم في الدِّين.
3. لا علاقة له بكيف حصل الحدث كسنن وقوانين.
4. لا يتعلق بالمفاهيم والفكر.
5. إن كان متعلقًا بالدِّين فينبغي أن يأتي حكمه في المصدر التشريعي أولًا الذي هو القرءان.
6. أن يتعلق بالأفعال وليس بالأقوال.
7. أن لا يخالف الأمر الثابت والحق.

إن تحققت هذه الشروط بممارسة معينة في المجتمع وتتابعت كظاهرة اجتماعية يدل

على ثبوتها قطعًا عمن بدأها، وهذا تحقق بممارسة الصلاة والحج في الدِّين الإسلامي.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 199].

لاحظوا الأمر القرءاني كيف يُحيلنا في ممارسة الإفاضة إلى حيث أفاض الناس وهذا أمر باتِّباعهم في ذلك، وهذا الاتِّباع ليس مذمومًا.

فالصلاة ثبت حكمها في الدِّين بالمصدر القرءاني وأتى هيئتها العامة فيه، ومارسها النبي وقومه في مجتمعهم، وتتابع ذلك الفعل منهم وعنهم إلى المجتمع اللاحق دون انقطاع مما أفاد القطع بحصول الصلاة على الشكل الحالي المعروف، وبالتالي ليس من العلم والمنطق أن يأتي أحدهم ويرفضها بحجة عدم ثبوتها أو التشكيك بها أو جعلها من الاتِّباع للآباء المذموم.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115]، فاتِّباع سبيل المؤمنين عن علم وبصيرة وبينة أمر مطلوب وحض عليه المشرع.

ومن هذا الوجه يظهر خطأ مقولة أحدهم: (**إن التواتر للحدث له بداية، والبداية لا شك أنها من خبر آحاد الناس**).

وخطأ هذه المقولة ناتج عن قصور فهم لمفهوم التتابع، لأن حصول الحدث ابتداء، ينبغي أن يكون بصورة جماعية مستمرة، يُحيل العقل تواطؤهم على الكذب، وهذا يعني في واقع الحال أن الجماعة الأولى الممارسة للحدث، مؤلفة من مختلف شرائح الناس، مع كثرتهم، وتفاوت ثقافاتهم، واختلاف عقائدهم، وانتفاء العلاقة بينهم، وعدم وجود مصلحة تجمعهم، وتكرار الممارسة، مع عدم ثبوت نفيها بصورة علمية من أحد، لأن نفي الحدث، غير مسألة إنكاره، فالنفي مرتبط بالبرهان، أما الإنكار، فهو موقف شخصي.

وكذلك يظهر خطأ مقولة المحدثين: (إن هذه الأحاديث المتعلقة بنزول المسيح، أو المهدي، أو غير ذلك، تَبَيّن بعد الدراسة أنها متواترة!).

وخطأ هذه المقولة ناتج عن خلط ما بين **تتابع ممارسة عمل معين، ورواية الأخبار المتعلقة بالألفاظ والأقوال**، وقد بينا آنفًا، أن التتابع يتعلق بممارسة فعلية، دون الدخول في التفاصيل القولية، ودون الالتفات إلى اختلاف الألفاظ التي حملت الخبر بحصول الحدث، ولا يوجد تتابع لنقل ألفاظ وأحاديث صدرت من أي إنسان قط، غير أن التتابع في أسرة، أو قوم، أو مجتمع هو أمر معروف لديهم بالضرورة لا يحتاج إلى دراسة وتبيين، وبالتالي يظهر خطأ من يقول: إن هذه المسائل قد ظهر تتابعها بعد أن لم تكن كذلك. فهذا القول برهان على نفي حصولها ابتداء.

فالتتابع ليس رواية الآحاد ابتداء؛ لأنه ليس قولًا أو حديثًا وإنما هو تتابع لممارسة جماعة حاضرة للحدث، **يُحيل العقل تواطؤهم على الكذب، مع إفادة هذا التتابع صدق حصول الحدث ابتداء من جراء معطيات واقعية، ومفاهيم كلية.**

وهذا الكلام يوصلنا إلى سؤال آخر يعرضونه وهو، (**ما ضابط التواتر، وما الحد الأدنى لحصوله؟**) وهذا القول، يرجع أيضًا إلى إغفال تعريف مفهوم التتابع وتعلقه، **وذلك لأن من مقومات العقل الإنساني، قَبول تتابع ممارسة حدث في مجتمع دون انقطاع، ويُحيل العقل كذب حصوله، وذلك من خلال استحضار معطيات الواقع الذي حصل فيه الحدث، من إمكانية حصوله في الواقع المعني، وعدم تناقضه مع الثوابت الكونية (آفاقًا وأنفسًا).**

لذا؛ لا يوجد عدد معين من الناس يكونون حدًا أدنى لصدق التتابع، وإنما يوجد صفات له، وهي:

1. وجود مجموعة كبيرة من الناس مارست الحدث بصورة واعية ابتداء دون انقطاع.

2. تنوع ثقافتهم، وتفاوتهم بالعلم والمكانة الاجتماعية.

3. استمرار الممارسة وتتابعها في الجيل اللاحق دون انقطاع، وتأكيدها من قبلهم.

4. اشتهار الممارسة في زمنها وتتابعهم على فعلها في زمن حصولها؛ والقطع والصدق بها من قبل الأسرة، أو المجتمع الذي تتابع فيه ممارسة هذا الحدث.

5. عدم تعلق الممارسة العملية بتفسير كيف حصل الحدث، وإنما بإثبات الحصول فقط.

6. وجود الإمكانية، والأدوات العلمية والمعرفية في المجتمع التي تسمح بحصول هذا الحدث.

7. عدم تناقض الحدث مع الثوابت الكونية (آفاقًا وأنفسًا).

8. عدم القيام بتقديم برهان على نفي حصول الحدث من أحد الذين زامنوا بداية الحصول.

9. **إفادة الممارسة الجماعية وتتابعها الصدق حسب المعطيات، واستحالة كذبها.**

وينبغي أن ننتبه إلى **أن التتابع لممارسة فعل يتعلق بالأفعال فقط، وليس بنقل الأقوال، لأن الأقوال لا يمكن أن يتم استمرار تتابعها دون أن تتغير، أو تتبدل الألفاظ، مع تدخل الراوي في فهمه للرواية، واحتمال وقوع الخطأ والكذب، وهذا يدل على انتفاء وجود أحاديث للناس يتحقق بها التتابع ممارسة جماعية قط.**

وقد يقول قائل: (**أليس النص القرءاني أقوالًا وألفاظًا، وبالتالي ينطبق عليه استحالة تتابعه؟**) فنقول له: إن نزول النص القرءاني في ذلك الزمن كان حدثًا عظيمًا ارتبط بنهضة أمة، وهذه الأمة قامت بالاهتمام بحفظ لفظ النص حرفيًّا، ولم تتدخل بفهمها به، مع توثيقه كتابة، وتتابع حين نزوله بصورة اجتماعية، وتعهدت ذلك التتابع من خلال تلاوته في الصلوات ودراسته وتدبره والاعتناء به، وتتابع كذلك

كممارسة دون انقطاع إلى الأجيال اللاحقة، مما أدى إلى الحكم بصدق نسبته إلى محمد بن عبد الله، دون تحريف أو تغيير، حتى أن الكفار لم يطعنوا بنسبته إليه، وإنما أنكروا مصدريته الربانية، وهذه مسألة أخرى، لا علاقة لها بتتابع النص القرءاني، وإنما تخضع للعلم والدراسة والتفكير.

فالتصديق بمسألة تتابع النص القرءاني في المجتمعات الإسلامية ثابت، لا شك فيه، أما التصديق بمصدريته الربانية، فتحتاج إلى تفكير، ودراسة من كل إنسان، ولا يلزم من حصول التصديق بتتابعه، والتصديق بمصدريته الربانية عملية الإيمان به، لأن الإيمان-إضافة للتصديق- انقياد وعمل، إذ، لا يوجد إيمان دون عمل، كما أن الكفر، لا يعني عدم التصديق، لأن الكفر هو تغطية وإنكار للشيء قولًا، أو فعلًا، ومن الأمور التي تتابعت في الأمة الإسلامية، فعل الصلاة، وهي حدث، وليست أقوالًا، (**صلوا كما رأيتموني أصلي**)، مما يدل على صدق نسبتها إلى النبي، وأصحابه المتبعين له قطعًا، وإنكار فعل الصلاة، هو في الحقيقة طعن في صدق النبي، ونقض للعقل، إذ أنكر ما هو من مُسَلمات العقل والمنطق، لأن العقل يقَبل صدق حصول الحدث المتتابع ممارسة دون انقطاع، فالنبي وأتباعه؛ قطعًا؛ قد أقاموا الصلاة بصورتها المعروفة، وتم تتابع ممارسة ذلك الفعل في مجتمعهم، وانتقل إلى المجتمعات الأخرى بصورة أفعال متصلة، لا تنقطع، وإنكارها مكابرة للعقل، وإغماض العين عن الواقع، والجري خلف السراب.

الخلاصــة:

1. التتابع ممارسة أداة معرفية، وليس أداة علمية.
2. التتابع ممارسة يُفيد حصول الأمر، ولا يفيد في معرفة كيف حصل الحدث.
3. تصديق حصول الحدث المتتابع ممارسة ضرورة عقلية ومنطقية، وإنكاره اغتيال للعقل، ونقض للمنطق.

4. لا علاقة للتتابع ممارسة لفعل بمصطلح الحديث، ولو تم وضعه في كتب الاصطلاح.

5. لا يوجد للتتابع لممارسة فعلية سندًا (رواة) حتى يخضع للجرح والتعديل.

6. وجود الإشكاليات والشبهات، لا ينقض صدق تتابع حصول الحدث كممارسة، لأن اليقين لا يزول إلا بيقين مثله.

7. تتابع ممارسة جماعية دون انقطاع غير قابل للنفي، ولا يصح القول بتتابع فعل كممارسة لفعل شيء تاريخي بعد أن لم يكن كذلك.

8. النص القرءاني، حدث عظيم، تتابع كممارسة تلاوة في الصلاة، وتوثق خطًا، منذ بدء نزوله.

9. فعل إقامة الصلاة، تتابعت بصورة اجتماعية ابتداء، واستمر ذلك التتابع الفعلي.

10. ارتبط فعل الصلاة بالأمر بها في النص القرءاني، وتتابعا مع بعضهما مع بعضهما.

11. التتابع المعتبر وهو محل الاتِّباع الذي يعتمد على حكم نزل بالقرءان.

مفهوم أهل البيت في القرءان
لا علاقة له بأقرباء النبي

استُغِل مفهوم أهل بيت النبوة كثيرًا في التاريخ، وأُعطي مضمونًا إلهيًّا، وقامت الحروب على هذا المفهوم، وما زال إلى الآن يُعبأ إيديولوجيًّا ويُسيَّس، وتُحشد الجماهير على موجبه، وتُجمع الأموال باسمهم وتراق الدماء.

لننظر؛ هل أعطى القرءان لقرابة النبي محمد أو غيره من النبيين أي امتيازات عن الناس المؤمنين؟

قال تعالى:

1. ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ [هود: 45-46].
2. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: 74].
3. ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114].
4. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: 26].
5. ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ

وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124].

6. ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: 10].

7. ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: 21].

8. ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: 13].

9. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

10. ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: 67].

11. ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: 11].

12. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: 33].

واضح في النصوص المذكورة أن النبي الوالد لا يُجزي عن ولده شيئًا، والنبي الولد لا يُجزي عن أبيه شيئًا، وكذلك النبي لا يُجزي عن زوجته شيئًا، والزوجة الصالحة لا تُجزي عن زوجها شيئًا، ومن باب أولى القرابة الأبعد كالعم وابن العم والأحفاد من

الجهتين، ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ**﴾ [المؤمنون: 101]، ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾ [عبس: 34–37].

القرابة من النبيين أو العظماء أو الصالحين ليست معيارًا للصلاح، وليست ميزة لأي إنسان، فالجميع أمام القانون الإلهي سواء كلهم لآدم؛ وآدم من تراب.

وهذا يوصلنا إلى دراسة نص: ﴿**ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [الشورى: 23].

ينبغي أن نعلم أن دلالة كلمة (قل) في النص القرءاني مجردة عن قرينة تقيدها للنبي تكون عامة لكل من يصل إليه الرسالة مؤمنًا بها.نحو ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: 1]، ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ [الفلق: 1]، والنص المعني بالدراسة هو من هذا القبيل ﴿**...قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...**﴾، **وكلمة (قربى) ليست جمعًا لكلمة (قريب) وإنما هي مصدرًا**، لأن كلمة (قريب) تجمع على (أقرباء) أو (قريبين) ومصدرها قرابة، بينما كلمة (قربى) تدل على الطاعات والأعمال التي يبذلها الإنسان في سبيل الله ولوجه لله ﴿**وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: 99].

ولو كان المقصد بكلمة (القربى) قرابة النبي لقريش ويطلب منهم مودته لكان ينبغي أن تأتي بصيغة تدل على تعلقها بالنبي مثل: (إلا مودتي في القرابة)، ولو كان المقصد طلب المودة لأقرباء النبي لأتت الجملة بصيغة (إلا أن تُوِدُّوا أقربائي)، ولو حصل ذلك لصار النص كذبًا وينقض نفي عدم طلب الأجر، لأن ذلك الاستثناء هو أجر في واقع الحال، ولكن الجملة أتت ﴿**...قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي**

القُرْبَى...﴾ غير متعلقة بالنبي ولا بقرابته قط، وهذا يدل على أن دلالة كلمة (قربى) غير دلالة كلمة (قرابة أو أقرباء).

﴿وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُوْلُواْ القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: 8].

وكلمة (قربى) في النص هذا لا يقصد بها القرابة، لأنه لا يعقل أن مجرد حضور أحد من الأقرباء وكان غنيًّا ينبغي أن نرزقه! ولو كان المقصد بها القرابة لأتت كلمة (الأقربون) كما في قوله تعالى: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الوَصِيَّةُ لِلْوَالدين وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى المُتَّقِينَ﴾** [البقرة: 180].

وهذا يدل على أن كلمة القربى حين إسقاطها على الواقع تدل على أصحاب القربات بمعنى أصحاب الحاجات سواء الخاصة أم العامة، فهؤلاء هم محل القربى.

فنص **﴿...قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى...﴾** لا علاقة له بالأقربين قط، وهو من الاستثناء المنقطع بمعنى الاستثناء من نفي السؤال وليس الاستثناء من الأجر؛ لأن الأجر أيًّا كان نوعه ماديًّا أم معنويًّا انتفى كليًّا، ويصير النص: لا أَسْأَلُكُمْ...إلا المودة في القربى) الذي يدل على طلب الصلة والدعم النفسي والمادي لأصحاب الحاجات في المجتمع.

وهذا يعني أن الفائدة راجعة لهم وليس للنبي أو للداعية أو المعلم، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: **﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾** [الأنعام: 90]، **﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** [سبأ: 47].

وبناء على ذلك تكون دلالة كلمة (لذي القربى) في النص التالي **﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ <u>خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى</u> وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ**

السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: 41]، هم محل القربى إلى الله، وهم ذو أصحاب الحاجات الخاصة، نحو أصحاب العاهات والأمراض المزمنة النفسية أو الجسمية، والعامة نحو أصحاب المشاريع العلمية والبحثية أو الإنسانية التي ترجع فائدتها إلى المجتمع، **ولا علاقة لذلك بما يُسَمَّى الخُمس الذي يسلبه الكهنوت والهامانات من الناس من غير وجه حق باسم قرابة النبي وبتحريف مفهوم النص لشرعنة الاحتيال والنهب والسلب، وأكل أموال الناس بالباطل.**

1. ورد في تفسير القرطبي: روى منصور وعوف عن الحسن البصري « **قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى» قال: يتوددون إلى الله عز وجل ويتقربون منه بطاعته.**

2. تفسير البغوي: **روى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في معنى الآية: إلا أن تودوا الله وتتقربوا إليه بطاعته، وهذا قول الحسن، قال: هو القربى إلى الله، يقول: إلا التقرب إلى الله والتودد إليه بالطاعة والعمل الصالح.**

3. تفسير البحر المحيط: **وقال الحسن: المعنى إلا أن تتودّدوا إلى الله بالتقرّب إليه. وقال عبد الله بن القاسم: إلا أن يتودّد بعضكم إلى بعض وتصلوا قراباتكم.**

4. تفسير فتح القدير: **قال الزجاج: ﴿إلا المودّة﴾ استثناء ليس من الأوّل، أي: إلا أن تودّوني لقرابتي، فتحفظوني، والخطاب لقريش. وهذا قول عكرمة، ومجاهد، وأبي مالك، والشعبي، فيكون المعنى على الانقطاع: لا أسألكم أجرًا قط، ولكن أسألكم المودّة في القربى التي بيني وبينكم، ارقبوني فيها، ولا تعجلوا إليَّ، ودعوني والناس، وبه قال قتادة، ومقاتل، والسدّي، والضحاك، وابن زيد، وغيرهم، وهو الثابت عن ابن عباس.**

5. **تفسير لسيد طنطاوي: ولو كان معنى ذلك على ما قاله من قال إلا أن تودوا**

قرابتي، أو تتقربوا إلى الله، لم يكن لدخول ﴿فِي﴾ في الكلام في هذا الموضع وجه معروف ولكان التنزيل إلا مودة القربى، إن عنى به الأمر بمودة قرابة رسول الله – صلى الله عليه وآله – أو إلا المودة بالقربى إن عنى به الأمر بالتودد والتقرب إلى الله تعالى .

وفى دخول ﴿فِي﴾ في الكلام أوضح الدليل على أن معناه إلا مودتي في قرابتي منكم.

6. **تفسير السعدي: ... ويحتمل أن المراد إلا مودة الله تعالى الصادقة، وهي التي يصحبها التقرب إلى الله، والتوسل بطاعته الدالة على صحتها وصدقها، ولهذا قال: ﴿إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أي: في التقرب إلى الله، وعلى كلا القولين، فهذا الاستثناء دليل على أنه لا يسألهم عليه أجرًا بالكلية، إلا أن يكون شيئًا يعود نفعه إليهم، فهذا ليس من الأجر في شيء، بل هو من الأجر منه لهم.**

ونصل الآن لتعريف كلمة (آل) والفرق بينها ودلالة كلمة (أهل).

آل: تدل على القوة المثارة الممتدة زمانيًا ومكانيًا بثقل أو تكتل لازم.

وظهر ذلك المفهوم بالأتباع المتكتلين على نهج معين.لنقرأ قوله تعالى: **﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾** [غافر: 46]، وآل فرعون ليس هم حصرًا المعاصرين له، وإنما هم كل من نهج نهجه في التفكير والإجرام.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 33].

آل إبراهيم هم أتباعه إلى يوم الدِّين، وآل عمران كذلك هم أتباعه. **﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** [يوسف: 6].

﴿**إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الحجر: 59]، وبورود كلمة (أجمعين) دليل على عدم استثناء أحد قط من آله، وأن النجاة تشمل جميع أتباعه، ولو كانت امرأة لوط من آله وقد ذكر النص الآخر أنها هالكة ﴿**إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ**﴾ [الحجر: 60]، لكان ينبغي حذف كلمة (أجمعين) والاكتفاء بكلمة ﴿**إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ**﴾ ويأتي الاستثناء ﴿**إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ**﴾ فتكون امرأته من آله، ولكن بمجيء كلمة (أجمعين) دل على أن الاستثناء من نوع المنقطع الذي لا علاقة له بالمستثنى منه، وفي موضوعنا هو الآل، وإنما يشترك في الحكم فقط وهو نفي النجاة عنه.

وهذا أسلوب يستخدمه القرءان مثل قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾ [الكهف: 50]، فإبليس مستثنى من فعل السجود ولا علاقة له بالملائكة، وإنما اشترك معهم بأمر السجود فقط، وامرأة لوط هي من أهله بدليل ﴿**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ**﴾ [الأعراف: 83]، لاحظوا عدم مجيء كلمة (أجمعين) بعد كلمة (أهله) لأن امرأة الرجل من أهله، وامرأة لوط لم ينجها الله، فأتى الاستثناء المتصل، وهذا دليل على أن كلمة آل غير كلمة أهل.

والصلاة الإبراهيمية التي يقولها المصلون في صلاتهم: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد...) ؛ تدل على طلب الصلاة على محمد وأتباعه إلى يوم الدِّين، ولا علاقة لذلك بأقرباء النبي قط إلا من كان منهم من أتباعه.

أهل: تدل على ظهور قوة خفيفة متحركة منضبطة بعلاقة متثاقلة لازمة. وظهر هذا المفهوم بعلاقة جماعة بشيء وارتباطهم به، ولا يشترط الاتِّباع، ومن هذا الوجه ظهر التداخل بين مفهوم كلمة (آل) وكلمة (أهل) انظر قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابنِي مِنْ **أَهْلِي** وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ﴾.

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ [هود: 45-46]، فالنبي نوح ظن أن الله سوف ينقذ أهله بالمعنى المعيشي الأسري حسب الوعد الذي وعده إياه، فأخبره الله إن الوعد بإنقاذ أهله صادق لا شك بذلك، ولكن ليس بالمعنى الذي ظنه النبي نوح، وإنما بالمعنى الآخر للأهل وهو الاتِّباع للحق والعمل الصالح، ولم ينف صفة البنوة الفيزيولوجية والمعيشية عن ابن نوح فهو لا شك أنه من أهله بهذا المعنى، وإنما وجَّهه للعلاقة الحقيقية وهي الاتِّباع والعمل الصالح، فنفى عنه ذلك بقوله ﴿**...يا نوح إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**...﴾ نفى عنه بنوة الثقافة مع إثبات بنوة المعيشة.

انظر لدلالة كلمة (أهل) بمعنى أفراد الأسرة من أب أو عم أو أخ أو زوجة أو أبناء....أو القوم الذين ينتمي إليهم الإنسان.

﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 25].

﴿ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾ [البقرة: 196].

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ [النساء: 92].

﴿قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف:25].

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾ [يوسف: 26].

﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ...﴾ [المائدة: 89].

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِينَ﴾ [الأعراف: 83].

انظر لدلالة كلمة (أهل) بمعنى أصحاب العلاقة بالشيء فقط.

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 58].

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: 101].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96].

إذن؛ لا يشترط لدلالة كلمة (أهل) أن تشمل القرابة، قد تأتي بدلالة القرابة والعلاقة معًا، وقد تنفرد بأحدهما.

مفهوم كلمة (بيت)

بيت: تدل على القوة المجتمعة الممتدة بتضام وتماسك المنتهية بدفع خفيف.

وظهر ذلك المفهوم بمعنى العلاقات المجتمعة بتماسك واستقرار. وهذا ما يفرق دلالة كلمة (بيت) عن كلمة (منزل) التي تدل على النزول في مكان معين فهي متعلقة بالمكان وليس بالعلاقات.

انظر قوله تعالى: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾** [العنكبوت: 41]، فالنص لا يتكلم عن شبكة العنكبوت التي هي منزله عمليًّا، وإنما يتكلم عن العلاقات التي تحكم أسرة العنكبوت، وهذا واضح من خلال فعل أنثى العنكبوت إذ تقوم بقتل الذكر بعد لقاحها مباشرة !

وبالتالي تصير هي أرملة العنكبوت، وتُيتِّم أولادها قبل أن يأتوا إلى الحياة ! فهذه العلاقة الأسرية هي أضعف علاقة في البيوت كلها، ويوصف كل بيت مُغيب عنه دور الأب ثقافيًّا أو معيشيًّا سواء بموت أو غيره من الأسباب ببيت العنكبوت، والوصف يتناول كل بيت تغيب العلاقات الأسرية الدافئة عنه ويفتقد للمودة والمحبة والتعاون بين أفراده، فهذا هو بيت العنكبوت، وهو أضعف البيوت.

كلمة (بيت) بمعنى المجتمع ونظامه الذي ينتمي الإنسان إليه ويعيش فيه.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: 28].

فالنبي نوح لا يقصد دخول قومه منزله أو مكان سكنه، مثل قوله تعالى:

﴿**قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ [النمل: 18]، وإنما يقصد دخول قومه الإسلام ويتبعوه في دعوته فهذا هو بيت النبي نوح وآله.

﴿**وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء: 100].

﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ**﴾ [الأنفال: 5].

كلمة (بيت) بمعنى المنزل الخاص المحكوم بعلاقات صاحبه ونظامه، ودائمًا تأتي محددة أو مضافة.

﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ**﴾ [يوسف: 23].

﴿**فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الذاريات: 36].

﴿**أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء**﴾ [الإسراء: 93].

﴿**فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ**﴾ [القصص: 12].

لنرى دلالة كلمة (البيت) التي حددها القرءان بصياغته، ثم استخدمها في نصوص أخرى دون تحديد لها واعتمد على(ألـ) العهد التي تفيد أن المعنى معروف عند السامع أو القارئ.

﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: 96].

﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: 97].

﴿**جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ**

ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 97].

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: 29].

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش: 3].

نلاحظ من النصوص السابقة أن دلالة كلمة (البيت) هي الكعبة وليس أي بيت.

وبعد أن ثبت لنا المقصد من دلالة كلمة (البيت) المعرفة لنرى نصوص أخرى اعتمادًا على (ألـ) العهد عند السامع أو المتلقي، قال تعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127].

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: 125].

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 158].

﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: 35].

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: 26].

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش: 3].

جميع كلمات (البيت) التي أتت في النصوص السابقة المعرفة بـ(ألـ) التعريف هي(ألـ) العهد، التي تعني أن البيت معروف في ذهن المخاطب، ولا يوجد حاجة من تحديده مرة ثانية، وينبغي على المخاطب أن يُبقي هذا المعنى بذهنه عند قراءة النصوص الأخرى؛ لأن النص القرءاني منظومة واحدة.

مفهوم أهل البيت

لنرى استخدام كلمة (البيت) مقترنة بكلمة (أهل) دون إضافتها لأحد (أهل البيت).

﴿قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: 73].

لا وجود لقرينة في النص الأول ترجع دلالة كلمة (أهل البيت) للنبي إبراهيم، ولو كانت ترجع إليه لأتى النص بجملة: أهل بيته، أو أهل بيت إبراهيم، أو أهل هذا البيت،وبنفي القرينة عن النص، ومجيء كلمة (أهل البيت) دون إضافتها لأحد دل على أن المقصد بها هي (ألـ) العهد المعنى المعروف عند السامع أو القارئ، وليس هو إلا الكعبة البيت الحرام التي هي قبلة المسلمين، ويصير معنى النص هو: إن **رَحْمَتَ اللهّ وَبَرَكَاتَهُ عَلَى** إبراهيم وأسرته ومن تبعه انتماءً وولاءً لبيت الإسلام وقبلته الكعبة، وصار مفهوم كلمة (أهل البيت) أي: أهل بيت الإسلام المجتمعين بتوجههم إلى الكعبة، فرحمت الله وبركاته عليهم جميعًا.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].

كلمة (أهل البيت) في النص التالي مثل أختها في النص السابق تمامًا لا علاقة لها بمسألة القرابة لا لنساء النبي، ولا لأولاده، ولا لعمه أو ابن عمه، أو غيرهم من

القرابة قط، وإنما دلالة (أهل البيت) أتت بـ(أل) العهد لتدل على معنى معروف عند السامع وهو بيت الإسلام والكعبة.

لذا أتت كلمة (عنكم) بصيغة المذكر المنتهية بميم الجمع المتصل لتدل على المسلمين جميعًا، ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ إذا التزموا بما أمر الله من مفاهيم وسلوكيات مُطَهرة، وإرادة الله في النص ليست تكوينية مثل إرادته المتعلقة بالخلق.

وإنما شرعية اجتماعية متعلقة بحرية الناس واختيارهم مثل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [المائدة: 6].

فدلالة جملة (يريد الله... ويطهركم تطهيرًا) في النص المعني مثل دلالة جملة (يريد ليطهركم) في النص الثاني، وكلاهما متعلقان بإرادة إلهية اجتماعية متعلقة بوعي الناس وحريتهم وسلوكهم.

لذا؛ ينبغي عدم مزايدة فرقة إسلامية على أخرى بادِّعاء الانتماء إلى أهل النبي محمد؛ لأن كل المسلمين هم أهله بمعنى الأتباع ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران: 31]، وكل المسلمين من أهل البيت انتماء للإسلام وولاء له.

وينبغي أن نضع النقاط على الحروف ونبيِّن للمسلمين هذه المفاهيم حتى نحميهم من مكائد الشيطان والكهنوت والهامانات من أن يغتالوا عقولهم ويسلبوا أموالهم

ويضلونهم عن سبيل الله وبيته الإسلام، وأهله المسلمين، وليعلموا أن التكتل والولاء في الإسلام ليس لشخص أو أسرته أو قرابته ولو كان ذلك الشخص النبي نفسه، وإنما التكتل والولاء للفكر الإسلامي المتمثل بالقرءان والعلم، وكل المسلمين أفراد في هذا البيت.

﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: 68].

﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**﴾ [النساء: 125].

﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [الأعراف: 158].

مفهوم العصمة

العصمة: لغة من عصم، وهي أصل صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة.

قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾ [آل عمران: 103]، أي: التزموا وتمسكوا.

وقال: ﴿**قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاء**﴾ [هود: 43]، أي: يمنعني.

وقال: ﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [آل عمران: 101]، أي: يلتزم ويتمسك بأوامر الله.

أما العصمة اصطلاحًا: فلها عدة أوجه من حيث إسقاطها على الواقع.

أولًا: العصمة من القتل.

ثانيًا: العصمة من النسيان والخطأ في التبليغ وذلك يتضمن حفظ العقل من الغياب أو الجنون.

ثالثًا: العصمة من الكفر والمعاصي.

رابعًا: العصمة من الخطأ في فهم الأشياء والحكم عليها.

فهل كانت العصمة الربانية متحققة بالأنبياء بأوجهها الأربعة؟

لنر ذلك من خلال مناقشة كل واحد بعينه:

أ- **العصمة من القتل**: إن الحفظ من القتل لم يكن للأنبياء جميعًا، وهذا واضح بنص القرءان قال تعالى: ﴿**يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ**﴾ [البقرة: 61].

بينما نلاحظ أنه يوجد أنبياء قد حفظهم الله عزوجل من القتل، نحو:

النبي إبراهيم: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69].

النبي موسى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: 20].

النبي محمد: ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 67].

ب- العصمة من النسيان والخطأ في التبليغ: عصمة ربانية.

إن الحفظ الإلهي للرسول النبي من النسيان والخطأ في التبليغ هو أمر لازم عقلًا لمقتضى الحال من كونه يبلغ عن ربه.

وقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3-4].

وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

فالحفظ إنما هو لمادة الوحي وذلك يقتضي ضرورة حفظ النبي من غياب الوعي والإدراك، أو الإصابة بأي مرض نفسي مثل الاكتئاب والسحر، أو الإصابة بأي مرض جسمي يحول بينه وبين دعوة الناس مثل مرض الجزام، لأن ذلك يقدح في مادة الوحي فاقتضى حفظه من الله عز وجل عن كل ما ذكر.

ج- العصمة من الكفر والمعاصي: عصمة اكتسابية معرفية.

قبل الخوض في هذا النوع من العصمة يجب الكلام على مقام النبوة، فالنبوة ليست هي منصبًا شكليًّا يتم منحها ارتجالًا أو قرعة، وإنما هي منصب تلزم له مؤهلات وميزات وصفات معينة، فمن يتحقق به ذلك يُرشح لهذا المقام، وعملية الانتخاب والاصطفاء تكون من حق الخالق المدبر فقط، فيختص برحمته من يشاء من منطلق العلم والحكمة والخبرة الإلهية.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [الملك: 14].

﴿اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124].

فيمنح الله تبارك وتعالى مقام النبوة للإنسان الذي تم اصطفاؤه من دون الآخرين، فيحصل هذا الإنسان المصطفى على مجموعة من الأنباء عن الوجود الموضوعي بحيث يصير عنده علم بمجموعة من الحقائق ابتداءً من أكبر حقيقة في الوجود الموضوعي، ألا وهي حقيقة وجود الخالق المدبر، فيدرك ذلك حق اليقين، إضافة إلى بعض الأنباء من الحقائق الموضوعية عن الكون، فيصير هذا الرجل في مقام النبوة.

إذن؛ مقام النبوة هو منصب علمي ومعرفي، وليس منصبًا إداريًّا أو شكليًّا لا محتوى له، فالنبوة علوم ومعارف ترفع صاحبها إلى مقام عظيم من الإيمان بالخالق المدبر.

إن العصمة من الكفر والمعاصي إذا كانت ربانية فهذا يقتضي قهر المعصوم والسيطرة على إرادته بحيث يصير موجهًا من قبل قوة تفرض ذاتها عليه، وبالتالي فلا إرادة له ولا فضل أو ثواب في ترك المعاصي وفعل الطاعات؛ لأنه مسلوب الإرادة ومسلوب الشهوات الإنسانية، بينما نلاحظ من خلال سيرة الأنبياء جميعًا أنهم يملكون إرادة حرة، ولهم شهوات الإنسان، وهذا شيء طبيعي لأنهم من البشر ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: 110]، ونفي ذلك عنهم هو نفي لبشريتهم وقد عاملهم الله على هذا الأساس البشري [الإرادة الحرة والشهوات الإنسانية: فقال جل شأنه:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ﴾ [الحاقة: 44- 46].

وهذا التهديد الإلهي للأنبياء الصادقين، ولا يشمل الأنبياء الكاذبين، فهو صريح في أن النبي يملك القدرة على التقول على الله، ولولا ذلك لما كان للتهديد أي معنى أو مبرر إذا كان النبي لا يملك قدرة على الكذب، ولنزل عوضًا عن التهديد إخبار

من الله بأن هذا النبي مسلوب الإرادة والشهوات، وبالتالي فهو مجبور مقهور ليس له من الأمر شيء!

لذا؛ العصمة من الوقوع بالكفر أو المعاصي إنما هي عصمة إرادية اكتسابية وليست عصمة ربانية، وتكون في الواقع من خلال العلم والمعرفة لحقائق الأمور، لأن النبوة علوم ومعارف، فهذا يقتضي عصمة صاحب هذا المقام من منطلق العلم اليقيني لعظمة الخالق سبحانه وتعالى والاستحضار الدائم لوجوده﴿**قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾ [طه: 46]، والمعرفة لبعض الحقائق الكونية التي تزيد إيمانه بعظمة الخالق وقدرته على كل شيء، فيتشكل عند النبي إراديًا مانع من الكفر والمعاصي من منطلق الإيمان بالله العظيم رغبة إليه ورهبة منه ومحبة له.

وهذه العصمة من الكفر والمعاصي ممكن أن يصل إليها العلماء؛ لأنه لا يخلو إنسان من وجود أمور معينة تكون بالنسبة إليه موانع بشكل حازم، بل لا يفكر أصلًا بفعلها نحو أن يقتل الإنسان نفسه، أو يقتل أمه أو ابنه، أو أن يخرج إلى الشارع عاريًا.. إلى غير ذلك من الأمور التي تكون عند صاحبها من المسائل المعصوم عن فعلها من منطلق المفاهيم التي يحملها بشكل إرادي وذاتي.

فالذي عنده علم عن شيء يتعامل معه بحسب علمه المسبق.

فالعالم الذي يعلم أن اللحم ملوث وتناوله يؤدي إلى الهلاك الحتمي، فإنه يتعامل معه حسب علمه بمآله فيتشكل عنده مانع ذاتي عن تناول هذا اللحم الملوث، بل لا يفكر في تناوله ولو عرض عليه المال والمنصب، فإنه يبقى على تمنعه وبشدة؛ لأنه يعلم أن هذه الإغراءات كلها وهمية إذا تناول اللحم الملوث فإنه سوف يهلك ولن يحصل على أي شيء، حتى أنه لو جاع فهو لا يفكر بسد جوعه بالتناول منه، وهذا الإصرار والتمنع كان نتيجة علمه بمآل الأمر حقيقة فتشكلت عنده العصمة من سلوك هذا الفعل القاتل!

والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء والمعارف لحقائق الأمور ومآلها التي يحصلونها

من خلال السير في الأرض ومعرفة كيف بدأ الخلق ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**﴾ [العنكبوت: 20]، يصلون من خلال هذه المعرفة إلى الإيمان بالخالق المدبر، ويقولون: ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: 191].

ويرون عظمة الخالق وقدرته من خلال آيات الآفاق والأنفس ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ [فصلت: 53].

عندئذ يذعنون للحق ويخضعون له. وعند استحضار هذه الحقائق الإيمانية التي وصلوا إليها من خلال الحقائق الكونية [آفاقًا وأنفسًا] يلزم منها خشية الله سبحانه وتعالى ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ [فاطر: 28]، فيتولد من هذه المعرفة والخشية والتعظيم لله تبارك وتعالى قوة في أنفس العلماء تمنعهم وتردعهم عن الوقوع في الكفر أو المعاصي، وكلما ازداد إيمانهم بعظمة الخالق ازدادت خشيتهم له، وبالتالي تزداد عصمتهم عن فعل المعاصي بشكل إرادي وذاتي منبثقة من علمهم واستحضارهم لهذا العلم.

د- العصمة عن الخطأ في فهم الأشياء والحكم عليها:

إن الإنسان محدود بحواسه ومحدود بإدراكه للأشياء، كما أن علمه يكتسبه اكتسابًا وليس علمًا ذاتيًّا، والاكتساب للعلم يكون من خلال السير والدراسة والتدبر للواقع والجدولة والتصنيف للمعلومات وتقليمها، ﴿**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**﴾ [العلق: 4].

﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**﴾ [العنكبوت: 20].

ويزداد العلم عند الناس كلما امتد بهم الزمان، فيتسع أفق المعرفة أضعاف ما كان عليه سابقًا، والوصول إلى الصواب يكون من خلال تراكم معلوماتي يحتوي على أجزاء كثيرة من الصواب، فيقوم الباحث بعملية الربط بينهما والاستقراء لها.

إذن؛ الإنسان لا يصل إلى العلم إلا من خلال السير في الأرض والدراسة والتدبر،

وذلك لأن التفكير لا يتم إلا بواقع يكون محلًّا له ومهما حصل الإنسان في حياته على معلومات فإن ما يخفى عليه أكثر بكثير مما علمه.

﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا**﴾ [الإسراء: 85]، فالناس لا يعلمون كل شيء، وبالتالي فما أكثر أخطائهم في تفسير الأشياء أو الحكم عليها.

فصفة عدم العلم أو المعرفة صفة لازمة للإنسان ﴿**وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا**﴾ [النحل: 78]، وكذلك صفة الخطأ لازمة للإنسان كون معلوماته ومعارفه اكتسابية ومحدودة، وكونه محدود الإدراك [كل بني آدم خطَّاء] وهذا واقع مشاهد وهو من المسلمات التي لا تحتاج إلى برهان، ولا يستثنى من ذلك أحد من الناس حتى ولا الأنبياء أنفسهم لأنهم من البشر، وينطبق عليهم ما ينطبق على البشر هذا ما أثبته الله سبحانه وتعالى نفسه في كتابه ؛إذ قال آمرًا لرسوله: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾ [الكهف: 110]، فلا يوجد إنسان يعلم كل شيء ويفهم بكل شيء، ويستطيع أن يحكم على كل شيء؛ لأن هذه الصفات لا تكون لمحدود، وإنما تكون لمن هو أزلي في الوجود سرمدي في البقاء.

قال تعالى معلمًا نبيه: ﴿**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾ [الأعراف: 188].

﴿**قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ**﴾ [الأحقاف: 9]، فهذا النوع من العصمة غير موجود لأي كائن حتى أن الملائكة أنفسهم غير متحقق بهم العصمة في الفهم الصواب والحكم على الأشياء.

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: 30].

بعد بحث العصمة بأوجهها علمنا أن العصمة الربانية لا تكون إلا في حال إنزال

وحي إلى النبي فيتم حفظه والعناية به من النسيان والخطأ في التبليغ أو فقدان العقل أو الإصابة بالجنون وما شابه ذلك مما يعيق عملية تبليغ دعوة الله والإنذار.

فالعصمة الربانية ليس المقصد بها شخص الرسول نفسه وإنما المقصد بها هو مادة الوحي، لذا، استمرت عملية الحفظ الإلهي لمادة الوحي بعد وفاة النبي، وذلك بقوة ذاتية قائمة في تركيب بنية الكتاب الذي أنزله الله ومصداقيته في الواقع، وروايته من قبل الناس بشكل متواتر كما نزل على النبي ومن هذا الوجه يظهر لنا أن الرسل الأنبياء جميعهم معصومون عن القتل لاستمرار وحفظ الرسالة بخلاف الأنبياء، فلقد تعرضوا للقتل، وذلك لأنهم مجرد أئمة وعلماء ودعاة.

الخلاصة:

أولًا: اكتمل نزول الوحي على النبي ﴿.. **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**..﴾ [المائدة: 3].

ثانيًا: بما أن الدِّين قد اكتمل نزولًا اقضى ختم النبوة.

﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ [الأحزاب: 40].

ثالثًا: مادة الوحي محفوظة من التحريف والنسيان والاندثار ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: 9].

رابعًا: قام النبي بتنفيذ أمر الرب تبارك وتعالى وبلغ كل ما نزل عليه من ربه. ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [المائدة: 67].

خامسًا: كان البلاغ للناس جميعًا وليس خاصًّا لأحد.

﴿**قلْ يا أَيُّها النَّاسُ إِنِّي رَسولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف: 158].

العصمة والأئمة من أهل بيت النبوة

إن مفهوم العصمة للأئمة دخل على الثقافة الإسلامية ولبس لبوسها، ووضعت له المبررات ونصبت له الأدلة من أي نص ممكن توظيفه لتأكيد هذا المفهوم المسبق الدخيل، وكان ذلك نتيجة الصراع السياسي على السلطة فحتى تتم عملية حشد الناس وتجنيدهم خلف قيادات معينة لا بُدَّ من مبرر لذلك فكان المبرر:

أولًا: هو اختيار أهل البيت وذلك لمكانتهم الاجتماعية بين المسلمين فهم قرابة النبي لهم احترامهم وتقديرهم، فاستغل المغرضون هذه المكانة بين الناس ودفعوهم لقيادة المعارضة بشكل أو بآخر، ووضعوا نصوصًا تشيد بعظمتهم، بل أعطوهم صفات لا تكون إلا للخالق الأزلي نحو العلم بما كان وما يكون وما سيكون، ونشروا أمثال هذه الأفكار بنصوصها الموضوعة على لسان النبوة والأئمة أنفسهم.

ثانيًا: اخترعوا فكرة العصمة للأئمة ليعطوهم مصداقية لإمامتهم دون الناس جميعًا ومبررًا لالتفاف الناس حولهم ليصلوا أخيرًا إلى مطامعهم السياسية واستلام السلطة، ولعل أقوى وأقرب مثال على ما ذكرنا من توظيف الدِّين في السياسة واستغلال أهل البيت ومكانتهم الاجتماعية لقيادة المعارضة ضد النظام الحاكم وشجب الثقة عنه هم العباسيون.

فلقد وظفوا ذلك أحسن توظيف، واستطاعوا من خلال المعارضة بقيادة الأئمة من أهل البيت إزالة الحكم المستبد الأموي واستبداله بحكم آخر مستبد، ولكن بصورة ثانية وأفكار أخرى، وأُبعد الأئمة من أهل البيت لانتهاء دورهم ورجعت المعارضة من جديد ليستغلها كل من يطلب الحكم واقتضى ذلك إلى إيجاد فكر مستقل

متميز عن الفكر السائد؛ لأن الموافقة في الفكر تبطل وتلغي المعارضة وفي حال استمرت المعارضة مع التوافق الفكري يؤدي إلى تكشف المقصد من الثورة ويظهر السبب الحقيقي الكامن في النفوس من الطمع في السلطة.

فلذا؛ كانت عملية إيجاد إيديولوجية مخالفة أمرًا لازمًا لتغطية الهدف السياسي ومبررًا للمعارضة وقوة ضاربة يلتف حولها الناس، وهذا ما حصل بالفعل، واستمر الصراع السياسي على السلطة من خلال توظيف الفكر الدِّيني بواسطة أهل البيت ومنحهم صفة الإمامة الإلهية المعصومة ليضفوا عليهم صفة القداسة والمصداقية في الواقع.

فمن هذا المنطلق تكمن أهمية فكرة عصمة الأئمة، إنها القداسة والمصداقية والبديل عن مفهوم النبوة لالتفاف الناس حولهم لتوظيفهم في عملية استلام الحكم واستبدال حكم مستبد بمستبد لاحق!

ولكن بعد انتهاء الأئمة الأحد عشر وخلو الزمان من وجود الإمام المعصوم أدى ذلك إلى ضعف توظيف الفكر الشيعي لممارسة السياسة والصراع على السلطة فقام المغرضون بتطوير فكرة الإمامة، واخترعوا فكرة غيبة الإمام الأخير ورجعته مرة ثانية ليقوم بمهمته، وادعوا أن هناك من كان يلتقي معه في عالم المجهول يتلقى منه الأوامر ومن ثم يقوم بتوصيلها إلى الناس، وهذه الأوامر لم تكن في الحقيقة إلا أوامره هو ومن خلفه من المغرضين السياسيين!

ومع الزمن وتطور الناس واتساع أفق المعرفة صارت فكرة غيبة الإمام في سرداب أو في أي مكان آخر باهتة هزيلة فقدت مصداقيتها في الواقع وصارت وهمًا وأشبه بخيوط العنكبوت محاكة في عقل الشيعي لا وجود موضوعي لها خارج ذهنه. مما اضطر قيادة الفكر الشيعي إلى تطوير فكرة الإمامة لإعطائها الحياة وإيجاد مصداقية لها في الواقع فاخترعت فكرة منصب ولاية الفقيه ليقوم مقام الإمام علميًّا، ويقود

الناس عمليًّا، وتبقى فكرة الإمامة محلها الذهن تموت بتقادم الزمن وهذا ما سوف يحصل عاجلًا أم آجلًا.

إن الأحداث في زمننا متسارعة والعالم يعيش في ثورة معلوماتية لم يشهد لها التاريخ مثيلًا، وحتى لا يسبقنا الزمن ويركمنا خلفه مادة تاريخية لا بُدَّ من دخول ثورة المعلوماتية، وهذا لا يكون ابتداءً إلا بعملية النقد الذاتي الموضوعي والانفتاح على الرأي الآخر والتعايش معه.

ومساهمتنا في ذلك النقد إنما هي لإطْلاع الآخرين على الرأي الآخر ليتسع أفق المعرفة وتتعدد الرؤى، ويتم التعايش مع الآخرين للوصول إلى تجميع القوى الإسلامية والوطنية الفاعلة وتوحيدها ضد الفكر الغربي وممارسته الاستبدادية الاستعمارية.

لذا؛ سنناقش فكرة العصمة للأئمة عقلًا ونقلًا وذلك لا يتم إلا إذا استصحبنا معنا بحث عصمة الأنبياء وأوجه العصمة في الواقع التي هي:

1. العصمة من القتل.
2. العصمة من النسيان والخطأ في التبليغ وهذا يقتضي العصمة من الجنون وأي مرض يصيب العقل أو النفس.
3. العصمة من الكفر والمعاصي.
4. العصمة من الخطأ في الحكم على الأشياء ومعرفتها.

إن عصمة الأئمة حصرًا يجب أن تندرج تحت واحد من أوجه العصمة المذكورة، ولنر ذلك:

أولًا: هل المقصود بعصمة الأئمة العصمة من القتل؟

نلاحظ أن العصمة من القتل لم تكن للأنبياء جميعهم وإنما كانت لأنبياء معينين مناط بهم مهمة يجب تنفيذها، وهذا لا يتم إلا بحفظه والعناية بهم وعصمتهم من

القتل ليبقوا أحياء وليقوموا بما كلفهم الله به نحو عصمة النبي محمد فقد عصمه الله من القتل حتى يكمل ويقوم بعملية الإبلاغ والإنذار والبيان.

إذن؛ العصمة من القتل مرتبطة بالمهمة التي أنيطت بالمعصوم، وبالتالي فهي ليست لذاته وشخصه وفضله وإنما لأهمية المهمة التي كُلف بها، وكان ذلك في الواقع للرسل أصحاب الكتب فقط. فأين المهمة المكلف بها أئمة أهل البيت من قبل الله عز وجل حتى يقضي بعصمتهم من القتل؟ فإن قيل إن المهمة هي الدعوة إلى الله وتعليم أحكام الشرع، فنقول: هذا ليس خاصًّا لفئة دون أخرى، بل هو واجب على علماء المسلمين ودعاتهم بشكل عام، والعصمة من القتل بهذا المبرر يجب أن تشمل العلماء والدعاة كلهم، والواقع عكس ذلك تمامًا فكم من الأنبياء الذين قتلوا وكذلك العلماء والدعاة، لذا؛ لا يوجد إنسان معصوم من القتل سوى من عصمه الله عز وجل.

ثانيًا: عصمة الأئمة من النسيان والخطأ في التبليغ ويتضمن حفظ العقل من الفقدان أو الجنون وما شابه ذلك.

وهذا النوع من العصمة كما هو واضح مرتبط بالرسالة وهي المعنية والمقصودة من عصمة الرسول عن النسيان أو الخطأ في تبليغها، فيتم حفظ عقله من النسيان، ولسانه من الخطأ حتى تصل الرسالة كما أرسلها الله عز وجل على أكمل وجه وأحسن عرض، فأين الرسالة التي أنزلت على الأئمة ومن الذي أرسلهم؟

هل هي رسالة القرءان؟ فإن كانت هي فمن الثابت أن هذه الرسالة نزلت على محمد وهو رسول الله إلينا دون غيره، وقد قام بعملية تبليغها للناس من دون أن يكتم شيئًا، وعلمها القاصي والداني!

قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف: 158].

وحفظها الله عز وجل من التحريف والاندثار والزيادة والنقصان، قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: 9].

إذن، رسالة القرءان نزلت على محمد دون غيره، ومحمد رسول الله قد قام بتبليغها للناس جميعًا دون كتمان، والله عز وجل تعهد بحفظها ابتداء واستمرارًا بعد وفاة النبي وهي ما زالت تتلى إلى الآن كما نزلت تمامًا.

فما هي الرسالة التي أرسلت لأئمة أهل البيت؟ هل المقصود بهذا الكلام حمل الرسالة الإلهية المنزلة على محمد إيمانًا وعملًا ودعوة وعلمًا، فإن كان ذلك فهذا العمل هو واجب على المؤمنين وليس خاصًا لفئة دون أخرى، وليس في دين الله امتيازات في ذلك، وإنما هو تحت متناول أيدي الناس كلهم قال تعالى: ﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ [المطففين: 26].

وهذه الرسالة الإلهية موجودة، ظاهرة وليست مخفية أو محتكرة، فأين المبرر لعصمة الأئمة عن النسيان والخطأ في التبليغ إذا لم يكونوا هم رسلًا من الله؟ فضلًا عن أن الرسالة محفوظة ليست بحاجة لأحد لكي يحفظها؛ لأن الله نفسه قد حفظها، فكون الوحي الإلهي قد نزل بالرسالة.

فهذا يقتضي ضرورة عصمة الإنسان الذي نزل عليه الوحي ليقوم بتليغها كما نزلت، وبما أن الدِّين قد اكتمل نزولًا، والتبليغ قد تم، اقتضى ذلك ختم النبوة، وانقطاع وحي النبوة، واستمرار حفظ الرسالة، والاستغناء التام عن وجود إنسان يُمنحُ العصمة الربانية لعدم حاجتها ؛لأن الرسالة الإلهية صارت عصمتها ذاتية، وذلك من خلال بنية تركيب النظام اللساني للكلام، ومصداقيتها في الواقع، واحتوائها لمجموعة نظريات كلية علمية تفسر نشأة الكون والإنسان ونظرية معرفية متعلقة بالتفكير الإنساني وحصوله على المعرفة والعلم، كما أنها محتوية على شرع حدودي صالح لأن يكون الإطار والأساس والمنطلق لأي شرع يضعه الإنسان لتنظيم علاقاته الاجتماعية في أي زمان ومكان.

ثالثًا: عصمة الأئمة من أهل البيت عن الكفر والمعاصي.

إن هذه العصمة قد تحدثنا عنها بشكل مطول، فلتراجع في محلها للتوسع فهي

عصمة إرادية اكتسابية نابعة من العلم والمعرفة لمآلات الأمور، وبالتالي فلا يخلو إنسان من نصيب من العصمة وتزداد كلما ازداد علمًا ومعرفة، وهي تحت متناول أيدي الناس كلهم وليست خاصة لفئة دون أخرى، والأنبياء أنفسهم عصمتهم اكتسابية في هذا النوع من العصمة.

رابعًا: عصمة الأئمة في فهم الأشياء والحكم عليها. وكذلك أثبتنا آنفًا أن هذه العصمة لا تكون لأي كائن، فانظر مثلًا قصة النبي موسى عليه السلام والعبد الصالح، وكيف أن النبي موسى لم يستطع فهم وتفسير سلوك العبد الصالح، وبالتالي حَكم عليه حسب ما رأى فقال: ﴿**فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**﴾ [الكهف: 71].

فالأصل في الإنسان عدم المعرفة والعلم وهي صفة لازمة له ﴿**وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا**﴾ [النحل: 78]، وكون صفة عدم العلم لازمة للإنسان مما يدل على استحالة رفعها أو إزالتها، وذلك لأن الإنسان محدود بإدراكه، وعلمه اكتسابي، ومهما تعلم فإن صفة عدم العلم ملازمة له: ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا**﴾ [الإسراء: 85].

فلذا؛ كانت صفة الخطأ في فهم الأمور والحكم عليها نتيجة حتمية لصفة عدم العلم اللازمة للإنسان المحدود بكل شيء، وهذا لا يُستثنى منه أحد أبدًا سواء الملائكة أم الأنبياء والرسل أم الأئمة والعلماء... إلخ، فمقام النبوة الذي هو لا شك أعظم من مقام الأئمة والعلماء قال الله آمرًا نبيه محمد: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: 110]، فالنبي بشر له صفات لازمة لبشريته من عدم العلم والخطأ في الفهم، والمرض الموت ويتميز عن البشر بكونه يُوحى إليه فاقتضى ذلك عصمة الوحي فقط دون غيره.

فلذا الملائكة والأنبياء والعلماء لا يعلمون كل شيء! ولا يعلمون الغيب، ولا يملكون القدرة على كل شيء...إلخ فهذه الصفات لا تكون لمحدود أبدًا، وإنما

للخالق المدبِّر الأزلي في الوجود السرمدي في البقاء.

فإن قالوا: إن العصمة للأئمة إنما هي في فهم الدِّين فقط!

فنجيب:

فهم الدِّين متعلق بالخطاب الإلهي ذاته، وقد نزل بلسان عربي مبين، وهو خطاب للناس جميعًا، ولا يوجد أحد وصي على آخر في فهمه، والنص الإلهي محفوظ عن التحريف أو الاندثار.

وبالتالي انتفى المبرر للقول بعصمة أحد سوى الأنبياء على ضوء ما ذكرنا وليس العصمة على إطلاقها، والصواب أن العلماء الذين هم ورثة الأنبياء مهمتهم اجتهادية وهي متعلقة بفهم شرع الله الحدودي، ومن ثم اختيار الحل المناسب لمشكلات مجتمعهم بشرط أن لا يتجاوزوا شرع الله الحدودي، ويكونوا بذلك العمل قد امتثلوا لأمر الرب عندما قال: ﴿**وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ [الزمر: 55].

وأعطوا الشرع الإلهي المصداقية في الواقع من حيث صلاحيته لكل زمان ومكان.

وبعد هذا النقاش سوف نسرد بعض المسائل الإشكالية التي تثبت وهمية فكرة عصمة الأئمة الاثني عشر.

1. إذا كانت مسألة عصمة الأئمة من مسائل الدِّين، ولا يمكن لزمن أن يخلو من الإمام المعصوم، فلماذا كان عدد الأئمة اثني عشر فقط، وانقطعت عمليًّا وفرغ الزمان من إمام معصوم؟
2. إذا كانت مسألة عصمة الأئمة من أصول الدِّين والإيمان، هل يعقل أن يكون دليلها ظني الثبوت أو ظني الدلالة أو استنباطيًّا؟
3. هل يمكن لأمر أن لا يكون ركنًا أو أصلًا من الدِّين في زمن النبي أن يصير ركنًا أو أصلًا للدين بعد وفاته؟

مفهوم التطهير لأهل البيت

إن النصوص كلها التي يسوقها الشيعة للاستدلال على عصمة الأئمة إنما تستخدم توظيفًا لإثبات الفكرة المسبقة الموضوعة من قبل المغرضين، فلذا نلاحظ أنهم يُحمّلون النص ما لا يحتمل أبدًا لا على مستوى اللغة ولا على مستوى العقل، وسنرى على ذلك مثالًا لأقوى نص يوظفونه لتكريس مفهوم العصمة لأئمة أهل البيت، ألا وهو قوله تعالى لنساء النبي:

﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا، وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 32-33].

فالمدقق في النص يظهر له بشكل واضح أن الخطاب هو لنساء النبي يُعلمهنَّ الله عز وجل بعض الآداب والتعاليم ويأمرهنَّ بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله ويأمرهنَّ بنشر ما يسمعونه ويتعلمونه من آيات الله والحكمة، ويخبر الله عز وجل عن مقصده من هذه الآداب والتعاليم والأوامر فيقول: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾**.

فالمقصد من هذه التعاليم هو الحفاظ على سمعة أهل البيت من أن تكون على ألسنة الناس بالسوء، فأراد الله عز وجل من هذه الأحكام إذا طبقت ذهاب الرجس والتطهير لنفوس أهل البيت وسموهم الأخلاقي والإيماني من خلال السيرة الحسنة في الحياة الاجتماعية.

هذا هو الواضح من النص ابتداءً، ويظهر هنا سؤال: هل أهل البيت هم فقط نساء النبي أم أن النص شمل الجميع ذكورًا وإناثًا؟ بل وجميع من يؤمن ببيت الإسلام، كما مرَّ معنا في شرح مفهوم أهل البيت سابقًا من الكتاب ذاته، فالمدقق في النص يجد أن نساء النبي هنَّ من أهل البيت قطعًا،خاصة أن سياق النص كله إنما هو خطاب موجه لهن، وبالتالي فلا يلتفت إلى أي رأي يحاول أن يخرجهنَّ من أهل البيت.

ونلاحظ أن الله عز وجل قد استخدم كلمة [عنكم] بدل كلمة [عنكن] بقوله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ وهذه الميم هي للجمع المذكر ما يدل على أن الخطاب تجاوز نساء النبي ليشمل نساء أهل البيت كلهنَّ في الخطاب ضمنًا، وذلك لأن أي سوء يصيب المرأة بسمعتها إنما يصيب معها أهلها من الرجال نحو الأب والعم والأخ والابن والزوج وغيرهم من الذكور كما أن طهارة السيرة للنساء يصيب ذلك الذكور، فكان الخطاب صراحة لنساء النبي وضمنًا لنساء أهل البيت جميعهنَّ فأتى المقصد الإلهي من ذلك الخطاب ومعرفًا عنه ليشمل أهل البيت جميعًا ابتداءً من نساء النبي إلى نساء أهل البيت إلى ذكورهنَّ إلى جميع المسلمين ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾، وذلك إذا امتثلتم لهذه التعاليم فإنها حتمًا سوف تذهب عنكم الرجس وتطهركم تطهيرًا.

ونلاحظ أن النص بعد أن ذكر نساء أهل البيت عاد إلى نساء النبي وطلب منهنَّ ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾ [الأحزاب: 34]، وهذا الفصل بين الأوامر دليل على ما ذهبنا إليه من أن آية التطهير تنص صراحة على نساء النبي وضمنًا على نساء وذكور أهل البيت جميعًا والمسلمين عمومًا.

ولو جاءت آية التطهير آخر الخطاب أي: بعد قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ لكانت خاصة في نساء النبي حصرًا،وذلك لأن الحكم الأخير لا يمكن أن يطبقه إلا هنَّ فقط لمعاصرتهنَّ للنبي وكون التعاليم الأولى قصد الله عز وجل أن تكون عامة لنساء أهل البيت كلهنَّ حتى تتم عملية التطهير اقتضى ذلك فصل وإفراد الحكم الأخير بعد آية التطهير، وهذا هو تفسير النص الإلهي.

مفهوم الإرادة والمشيئة

نلاحظ المغرضين قد قاموا بتوظيف النص لفكرتهم السابقة فقالوا:

أولًا: إن الإرادة في النص إنما هي إرادة كونية، أي: حتمية، وذلك في قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**.

ثانيًا: إن كلمة [عنكم] هي للجمع المذكر مما يدل على خروج نساء النبي من آية التطهير وتخصيصها في الذكور.

ثالثًا: بما إن إرادة الله كونية وهي حتمية من حيث الواقع فيدل هذا على أن طهارة ذكور أهل البيت قدر الله اللازم، وبالتالي فالأئمة معصومون.

ولنناقش هذه النقاط الثلاث بشكل موجز فنقول:

إن إرادة الله حتمية من حيث الواقع والتطبيق ولا تحتمل إلا وجهًا واحدًا بخلاف صفة المشيئة فإنها للاختيار وتحتمل أكثر من وجه في التطبيق.

فصفة الإرادة إنما هي صفة خاصة لأفعال الله **﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾** [البروج: 16].

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: 82].

وفعل الله عز وجل من حيث الواقع اثنان:

1. فعل خلق: ويستخدم الله عز وجل كلمة كن فيكون حسب المراد، وهذا الاستخدام أطلق عليه العلماء مصطلح الإرادة الكونية.

2. فعل تشريع أو قضاء: وذلك أن يشرع الله عز وجل أحكامًا يريد منها مقصدًا

محددًا نحو قوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ القرءان هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة: 185].

وهذه الإرادة ليست كونية لأنها غير متعلقة بفعل الخلق وإنما متعلقة بفعل التشريع، ولذلك جاءت بعد ذكر أحكام شرعية يبين الله عز وجل مقصده من هذه الأحكام بشكل محدد.

أ. ﴿**يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [النساء: 26].

ب. ﴿**وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: 27].

وهذه الإرادة جاءت بعد أن ذكر الله مجموعة من الأحكام فبين الله مقصده من هذه الأوامر بشكل محدد لا يحتمل معنى آخر.

ج. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [المائدة: 6].

يخبر الله عز وجل العباد أن هذه التشريعات ليس المقصد منها الحرج وإنما المقصد هو ﴿**وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ فالمقصد هو

التطهير، واستخدم الله عز وجل صفة الإرادة فهل هي الإرادة الكونية التي هي حتمية من حيث التطبيق، وبالتالي فالمؤمنون مطهرون قدرًا دون اختيار منهم، أم أن الإرادة هنا متعلقة بالتشريع والمقصد منه؟ فإذا امتثل المؤمنون لهذه التشريعات حصلوا حتمًا على الطهارة.

والخلاصة أن صفة إرادة الله من حيث الواقع لها وجهان:

الأول: الإرادة الكونية: وهي لفعل الخلق [القدر].

الثاني: الإرادة الشرعية: وهي لعملية التشريع والمقصد منه [القضاء].

فإذا أردنا أن نفهم قوله تعالى: ﴿**وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ**﴾ كما فهمه المغرضون بأن الإرادة كونية، والطهارة حتمية، وبالتالي فالمؤمنون معصومون ولنا الحق في ذلك ونتساوى ونصبح جميعًا معصومين، ولكن الصواب ليس كذلك أبدًا والإرادة هنا إنما هي إرادة شرعية لا علاقة لفعل الخلق هنا، أي: ليست كونية، وهذا ينطبق على قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾.

فالإرادة هي شرعية متعلقة بالأحكام تبيِّن المقصد منها والناس لهم الحرية في الامتثال أو عدمه لهم أن يتطهروا أو يبقوا على ما هم عليه.

أما كلمة [عنكم] فقد بينا المقصد منها، وكيف جاءت لتتضمن نساء أهل البيت جميعهنَّ مع الذكور إضافة إلى نساء النبي؛ لأنهنَّ الأصل في الخطاب أما استدلالهم الأخير المبني على الإرادة الكونية فقد أثبتنا أن الإرادة هنا شرعية وبالتالي سقط حكمهم المزعوم!

وقد وقعوا في تناقض عجيب عندما عّدُّوا أن العصمة للأئمة فقط مع العلم أن النص ذكر أهل البيت، وهذا يقتضي حسب قولهم العصمة لجميع أهل البيت: ذكورًا وإناثاّ، علماء وغير علماء، رجالًا وأطفالًا، صالحين وطالحين، مؤمنين وفاسقين... إلخ.

ولا يقول بذلك أحد من العقلاء وهو قول لازم لقاعدتهم وإلا لا يوجد أحد معصوم، إما الكل حسب ما ذكرنا، وإلا فلا!

لقد ذكر الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه (أصول الفقه، المجلد الثاني) في فصل السنة تعريفًا للمعصوم فقال:

«إن الأئمة من آل البيت عليهم السلام ليسوا هم من قبيل الرواة عن النبي والمحدثين عنه ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقاة في الرواية، بل لأنهم هم المنصوبون من الله تعالى على لسان النبي لتبليغ الأحكام الواقعة، فلا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هي، وذلك من طريق الإلهام كالنبي من طريق الوحي».

وقال بعد هذا النص الذي سقناه بحرفيته:

« وعليه فليس بيانهم للأحكام من نوع رواية السنة وحكايتها، ولا من نوع الاجتهاد في الرأي والاستنباط من مصادر التشريع، بل هم أنفسهم مصدر للتشريع، فقولهم سنة لا حكاية السنة ». اهـ.

ولنقم بتحليل هذا النص المنقول بالحرف:

أ. الأئمة منصوبون من الله.

ب. الأئمة يُوحى إليهم بشكل إلهامي، كما يوحى للأنبياء بشكل تلقي.

ج. بيان الأئمة غير بيان النبي.

د. الأئمة مصدر للتشريع مستقل عن التشريع الإسلامي الموجود في زمن النبي!

وسوف نترك للقارئ مناقشة هذه النقاط الأربعة المثبتة في النص الذي نقلناه آنفًا من خلال استحضار ما أثبتنا من مفاهيم.

إذا كانت الإمامة منصبًا إلهيًّا لماذا تنازل الحسن بن علي عن الحكم لمعاوية؟ ألا

يعلم أن ذلك ليس من حقه وإنما من حق الله؟ فكيف يتنازل ويخالف أمر الله؟ لقد قال: لحقن دماء المسلمين. ولماذا لم يحقنها أبوه علي بن أبي طالب ويتنازل لمعاوية قبل ابنه؟ هل الابن أوعى من الأب، أم أحرص على دماء المسلمين؟

وأي واحد منهما على حق فيما فعل؟

أم أن الأمر هو ضمن مجال الاجتهاد الشخصي، ولكل رأيه الذي يحتمل الصواب والخطأ بالوقت ذاته، وهذا راجع للظروف وتقدير الموقف والمصلحة، وبالتالي فلا عصمة لأحد.

ونكتفي بهذا العرض من الأدلة التي أثبتنا من خلالها بطلان فكرة العصمة الربانية لغير الأنبياء.

أما مسألة إمامة الناس سياسة فهي أمر متروك للناس أنفسهم ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [الشورى: 38]، وبالتالي فالدولة إنسانية وليست إلهية.

وأخيرًا لا بُدَّ من أن نطالب بالوحدة الإسلامية والتعايش مع الرأي الأخر إذا اقتضى الاختلاف. ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [آل عمران: 103].

تدبر
﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾

من أقوى الأمثلة على عصمة الأنبياء الاكتسابية أو الإرادية هي قصة النبي يوسف عليه السلام كما وردت في القرءان الكريم.

قال تعالى: **﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾** [يوسف: 23– 24].

فلقد فرق جمهرة من المفسرين بين همّ امرأة العزيز، وهمّ النبي يوسف. فقالوا: الهمّ الأول: هو إرادة امرأة العزيز لفعل الفحشاء مع النبي يوسف. بينما الهمّ الثاني: هو إرادة النبي يوسف عليه السلام لدفعها عن نفسه بشدة توقع الأذى بها. ولذلك قال تعالى في آخر النص: **﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء﴾** .

فالسوء هو همّ النبي يوسف بإيذائها ليوقفها عند حدها، والفحشاء هو همّ امرأة العزيز به لتمارس معه الفحشاء.

وهذا التفسير كان نتيجة وجود مفهوم العصمة الربانية للأنبياء عن الكفر والوقوع في المعاصي بشكل مسبق مما أدى إلى وضع النبي يوسف عليه السلام في مقام أدنى من مقام الناس الصالحين الذين يمتنعون عن الوقوع بالفحشاء بمحض إرادتهم، ويعتصمون بإيمانهم وخوفهم من الله سبحانه وتعالى، بينما النبي يوسف عليه السلام جعلوا امتناعه عن الفحشاء بتدخل إلهي، وليس للنبي أية إرادة أو فضل في ذلك.

والصواب هو أن الهم كان متبادلًا بينهما، ولا معنى ولا مبرر للتفريق بينهما أبدًا، إذ لا وجود لأية قرينة تفرق بين الهمين، وقرينة العصمة الربانية في التفريق لا تصلح هنا أبدًا؛ لأن مقامها هو في العصمة عن الخطأ أو النسيان للرسالة الإلهية، وليست العصمة عن الوقوع في الكفر أو المعاصي؛ لأن ذلك فعل إرادي ذاتي نابع من الإنسان نفسه.

ولمعرفة ما جرى بالضبط في قصة يوسف يجب إسقاط النص على الواقع ومحاولة التصور لما جرى من خلال مشهد تصويري، امرأة العزيز تحدث النبي يوسف عن حبها وإعجابها بجماله وشبابه المليء بالحيوية، وذهبت تلاطفه في الحديث وتسمعه الكلام المعسول، وقامت بإغلاق الأبواب حتى تأمن من أنه لا أحد يراها، وتدخل الطمأنينة لقلب النبي يوسف من أنها جادة في عرضها لا تريد به المكيدة.

ولتزيده اطمئنانًا وإثارة عرضت مفاتن جسمها عليه وقالت: هئت لك، وهو تعبير عن استعداد نفسي مسبق رافقه استعداد جسمي من زينة وعطر وغيره، ورافقه إخبار ضمني بأن هذه الساعة كنت في انتظارها منذ فترة أتحرق شوقًا لك، وأخطط لذلك اللقاء.

فأجابها النبي يوسف عليه السلام ردًا على عرضها بموقف المتمنع؛ لأن ما طلبته امرأة العزيز شيء غير ممكن، وغير حكيم فكيف يقابل المعروف الذي منحه إياه العزيز من الإكرام والإيواء في البيت والتربية، بأن يفعل ممارسات مخلة بالأخلاق وتؤذي العزيز نفسه؛ لأن ذلك خيانة وفقدان الأمانة والمروءة، ورد المعروف بالإساءة فهذا ظلم، فلذلك قال: ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

فعندما رأت امرأة العزيز هذا التمنع والرد المنطقي الحكيم علمت بكيدها النسائي أن المقام ليس مقام نقاش وحوار إنه مقام العمل، فهمَّت به، أي: اقتربت منه بدلال وتغنج تظهر مفاتن جسمها حتى تلاقت أنفاسهما وضمته إلى صدرها، فشعر بحرارتها تسري في أوصاله، وشم رائحة عطرها المختلط مع نفسها فتحركت به شهوة الرجال.

وهذا شيء غريزي في الإنسان لا يستطيع أحد أن يرده، وكون النبي يوسف إنسانًا شعر بما يشعر به الرجال، وتمت الاستجابة الجسمية نتيجة الإثارة والمس والعناق، فبدأت نفسه تميل إليها، وتستجيب لهذا النداء الغريزي وتتفاعل مع الموقف الأنثوي الصارخ.

هذا تفسير كلمة [همّ بها].

وهنا في هذه اللحظة الحرجة تمت الرؤية لبرهان ربه فامتنع وصدها عن نفسه، وجرى بينهما مدافعة وسباق للوصول إلى الباب. وذلك ليخرج ويهرب منها، وهي لكي تمنعه من الخروج، والذي جرى أنه سبقها إلى الباب، فأمسكت ثيابه من الخلف لتجذبه فمزقتها من شدة الجذب محاولة منعه من الخروج، وإذا بالباب يفتح ويكون سيدها نفسه فوقف ورأى المشهد الأخير والقصة معروفة إلى آخرها.

فالبرهان الذي رآه النبي يوسف عليه السلام ليس بمعطل للإرادة، ولا يصيبها بالشلل، وليس بمؤثر خارجي على سلوك معين، وإنما البرهان مهمته هو تعريف الإنسان بموضوع معين أنه حق أو باطل، وليس مهمته جعل الإنسان يستجيب، لأن الاستجابة هي تفاعل في نفس الإنسان ومن داخله من خلال عملية معقدة يشترك فيها كل من العقل والنفس.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا**﴾ [النساء: 174- 175].

فواضح من الخطاب القرءاني أن البرهان قد جاء من الرب إلى الناس جميعًا، ومهمة الناس أن يتفاعلوا مع هذا البرهان ويؤمنوا بالله ويعتصموا بما يترتب على هذا البرهان، وما ينبثق منه، وهذا الاعتصام هو عمل إرادي نابع من الذات دون أي مؤثر خارجي يجبر أحدًا على فعل أي شيء، قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى، فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى**﴾ [النازعات: 40 - 41].

فامتناع النبي يوسف عليه السلام من ممارسة الفحشاء بعد أن همّ بها إنما كان ناتجًا من رؤية عقلية وليست عينية لمقام الله سبحانه وتعالى فنهى النفس عن الهوى مباشرة.

وهنا تظهر عظمة النبوة، وكيف أن الأنبياء وصلوا إلى درجة من الإيمان والعلم ما يجعلهم في درجة المعصومين من الوقوع بالكفر أو المعاصي وذلك كله منبثق من إرادتهم ذاتيًّا مع القدرة على فعل ذلك.

والعلماء ورثة الأنبياء في امتلاك العصمة الإرادية من خلال استحضارهم لمقام الرب ونهي النفس عن الهوى.

أما معنى السوء والفحشاء في آخر النص فهو: إن كلمة [سوء] تطلق على كل شيء قبيح. والمقصد منها في النص أن من يرتكب الفحشاء يصبح إنسانًا سيئًا، وكذلك سيرته بين الناس، وهذا أمر يؤثر على ثقة الناس به لأنه لا يُؤْمَن على الأعراض فهو رجل سيئ خائن، لذلك قدم الله سبحانه وتعالى كلمة [السوء] على كلمة [الفحشاء] لأن خطر السوء وقبحه أكبر من الفحشاء، ولأن نتيجة الفحشاء في الواقع هي السوء بين الناس.

قال تعالى: ﴿**يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**﴾ [مريم: 28].

أما كلمة الفحشاء في النص فالمقصود بها النكاح الحرام. فتم صرف السوء والفحشاء عن النبي يوسف عليه السلام وذلك لإخلاصه القلبي واستحضاره الدائم لمقام الرب تبارك وتعالى، وحفاظًا على سيرته ليحمل المهمة المناطة به مستقبلًا ألا وهي الدعوة إلى الله عز وجل.

وهذا درس للدعاة والعلماء جميعهم بأن يعتصموا بحبل الله ويمتنعوا عن كل شيء يؤدي إلى المساس بسيرة حياتهم بسوء لأن ذلك يسقط من قيمتهم ويبطل مفعول دعوتهم وتسحب الثقة منهم وتشجب عنهم إلى يوم الدِّين.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111]،

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: 36]

﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9]

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: 35]،

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: **50**].

إن كان أحد الدليلين المتعارضين قطعيًّا (ثبوتًا ودلالة) دون الآخر فإنه يجب تقديمه باتفاق العقلاء، سواء كان هو السمعي أو العقلي، فإن الظن لا يرفع اليقين

- معلوم أن النقل المتواتر يفيد العلم اليقيني (الثبوت والحصول للشيء)

ابن تيمية (درء تعارض العقل مع النقل)

مفهوم مصدرية السلف

[حاكمية السلف]

لقد انتشر بين الناس جميعًا مفهوم النظر إلى الحاضر والمستقبل من خلال النظر إلى الماضي، وبمعنى آخر استحضار الموروث الثقافي وتطبيقه على الحاضر والمستقبل دون النظر والاعتبار لعامل تغير الزمان والمكان.

فكان المجتمع الأول هو المنظر والمشرع للمجتمعات اللاحقة كلها، وبهذه العملية صار المجتمع الأول موجودًا من خلال الموروث الثقافي في كل زمان ومكان متجسدًا بالمجتمعات اللاحقة التي هي في الحقيقة نسخة طبق الأصل للأول.

من هذه الوجهة ظهرت سلطة السلف على الخلف، سلطة الآباء على الأبناء، فالسلف أحياء في أجساد الخلف، والآباء أحياء في أجسام الأبناء، وبالتالي فالمجتمع الحاضر يحكمه الأموات من خلال الموروث الثقافي الذي صار نموذجًا وقالبًا يصب فيه كل شيء، وكأنه قالب سحري يحتوي الاحتمالات كلها بشكل لا متناه.

والمسلمون كغيرهم من الناس أصيبوا بهذا المرض السلفي [الآبائية] في فهم أمور دينهم وحياتهم الاجتماعية عندما اشترطوا وجوب تقييد فهم الكتاب والسنة بفهم الصحابة، فجمد عقلهم على ما هو عليه ولادة ﴿**وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [النحل: 78].

فكل من حولهم من الناس يسير إلى الأمام إلا هم يسيرون إلى الوراء، وذلك

واضح وجلي من خلال التقمص لشخصيات السلف. فتجد أحدهم يتكلم بلسان ابن تيمية رحمه الله ويفكر بموروثه الثقافي، وإذا ناقشته يأتي لك بأقوال السلف واحدًا تلو الآخر، فتقف مدهوشًا هل أنت في حلم أم في علم؟ أيعقل أن يقوم الأموات أو أن تتقمص نفوسهم الأحياء فيعيشون من خلالهم؟ أين هذا الإنسان الذي يقف أمامي؟

إذا كان هو ليس هو فأين هو؟ هل ابتلعه السلف؟

هل في الأمر لغز؟ أم هو تحكم عن بُعْدٍ تاريخي للحاضر فأصاب هذا الإنسان شلل فكري وضمور عقلي لعدم استخدامه؟

ومع ذلك كله لا نملك إلا أن نحاول أن ندرب هذا العقل الضامر ليقوى ويسترد نشاطه الفكري ويعبر عن ذاته وهويته وحريته في الاختيار ويتخلص من قبضة السلف، وذلك بالمناقشة الهادئة التي تأخذ بيدي المريض إلى أن يحبو قليلًا ويفتح عينيه ببطء حتى لا يؤذيهما نور الحقيقة الساطعة فيصاب بالإحباط.

وهذا ما سوف نحاوله في هذا البحث والنقد الذاتي من مناقشة ما يعتمدون عليه ويقيمون مذهبهم عليه، ولم أقل براهين لأن البرهان إنما هو العقل وما ينصبه العقل من براهين في الواقع، فهم أنفسهم يرفضون تلك الفكرة أساسًا، ولا يعدون مذهبهم قائمًا على العقل وإنما يعدونه قائمًا على النقل، فلذا يرفضون البحث العقلي أو الفكري وإنما يعتمدون على ما يدل عليه النص ظاهرًا مع إغماض العقل عن درجة ثبوت النص سواء أكان النص قطعيًّا أم ظنيًّا؟

فكلاهما بالنسبة إليهم نصًا ناهيك عن نص القرءان أو السنة فعندهم لهما المستوى ذاته من حيث التشريع، والمستوى ذاته من حيث التعامل.

والمعتمد عندهم أولًا وآخرًا هو النقل بأنواعه كلها، نعم إنه النقل على ما هو عليه، وليس عندهم منهج يفهمون النقل على موجبه ؛ لأن النقل هو بذاته برهان

على ذاته فلا يعرفون مقاصد الدِّين ولا ينطلقون من كليات الدِّين الثابتة فضلًا عن استصحابها بجانب المقاصد لفهم أي نص، ناهيك عن فصلهم النص عن محل خطابه من الواقع وذلك لمرضهم السلفي [الآبائية] فلذا؛ لا تستغرب إذا كان من قواعدهم تقديم النقل على الواقع المشاهد!

وكل ما يحسنون صنعه هو قيل وقالوا، وهذه بضاعتهم تشهد عليهم يختبئون وراء حشد من السلف ويحولون النقاش من نقاش في الحاضر إلى نقاش في التاريخ، نقاش مع الأموات وهم اللسان الناطق باسمهم.

وسأذكر على سبيل المثال مناقشة جرت بيني وبين أحدهم حول العقل والنقل، ونلاحظ من خلال النقاش منزلة العقل عندهم وما دوره إن كان له دور.

قلت: إن العقل هو أساس النقل وهو مناط التكليف وبه يعرف الإنسان الحق من الباطل، والعقل هو الذي أعطى حكم المصداقية للقرءان بأنه من عند الله سبحانه وتعالى، كما أن أساس التوحيد إنما هو قائم على إدراك العقل وليس النقل، وهذا لا يقلل من أهمية النقل في عملية إرشاد وتوجيه ولفت النظر إلى أشياء ليقوم العقل بعملية التمييز وتوظيفها في اكتشاف ومعرفة أشياء أخرى قال تعالى:

﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ**﴾ [العنكبوت: 20].

وقال: ﴿**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾ [الغاشية: 17].

وقال: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: 164].

وقال: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ**

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 191].

قال: كلاّ إن النقل هو الأساس وما العقل إلا تابع وخادم للنقل.

قلت: كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو المشركين إلى توحيد الله؟

قال: كان يدعوهم من خلال تلاوة القرءان.

قلت: هم لا يسلمون له بالقرءان أصلًا حتى يلزمهم به.

قال: كان النص في القرءان يتضمن الحجة الملزمة، وما كان النبي يتجاوز تلاوة القرءان.

قلت: إن الإيمان بالقرءان لم يأت من داخله وإنما أتى من خلال عملية إسقاط النص على الواقع المعني بالخطاب.

قال: كيف ذلك والقرءان كلام الله؟

قلت: أنت تنطلق من التسليم بأن القرءان كلام الله بينما الواقع أن المشركين غير مسلمين بهذا، فلذا كان لا بُدَّ من إثبات أنه من عند الله، وهذا الإثبات لم يتأت من داخل القرءان وإنما أتى من الوجود الموضوعي وذلك بعملية التفكر والتدبر والتعقل للأخبار القرءانية ومعرفة مصداقيتها من خلال عملية إسقاطها على محل الخطاب من الواقع فيتبين عندئذ أن هذا القرءان من لدن عليم حكيم.

انظر قوله تعالى: **﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾** [الأنبياء: 22]، كيف يلفت الله عز وجل العقل إلى نظام الكون حتى يفكر فيه ويعلم من خلاله أن الله واحد أحد، فوحدانية الله لم تأت من النص وإنما أتت من جراء تدبر وتعقل للواقع عندئذ يتبين لهذا العاقل الذي قام بعملية التدبر أن القرءان من عند الله وذلك لمصداقية الخبر مع الواقع.

وانظر قوله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت: 53].

فالآيات التي سوف يرونها ليست هي من داخل القرءان وإنما هي في عالم الآفاق والأنفس، وبناء على هذه الرؤية الآفاقية يتبين لهم أن القرءان هو الحق من ربهم، وبالتالي كان الواقع هو أساس النقل، والعقل هو الدليل على المصداقية.

قال: أنت تستخدم مرة العقل وأخرى الواقع فماذا تقصد بهما؟ مع العلم أن العقل ليس واحدًا عند الناس فهو متفاوت ومختلف مما يسحب الثقة منه ولا بُدَّ من النقل ليكون الحكم بين الناس ؛ لأنه من عند الله ومحفوظ.

قلت: نعم لا بُدَّ من توضيح لمصطلح العقل والواقع،خاصة أن هناك من يحاول أن يشوش على العقل وأهميته، وقد صدرت عدة كتب حول هذا الموضوع أذكر منها كتابًا قد تعرضت لنقاش بعض أفكاره في مقدمة كتابي [علم الله وحرية الإنسان] وهو [العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون] فيا حبذا لو استطاع القارئ أن يقرأه، ومن ثم يقرأ نقاشي له في الكتاب المذكور فبعد أن ذكرت له ذلك قلت: إن هذا الكاتب قد صال وجال لاغتيال العقل بعبارات منمقة ومزخرفة وقام بالتدليس ليفرغ العقل من محتواه وحسبك قوله: [إن العقل أبطل الاعتماد على العقل] وقوله: من نحكم العقل السلفي أم العقل الصوفي، العقل الفلسفي أم العقل الخلفي..؟].

ووصل في النهاية أن العقل لا حكم له لوهمية وجوده واتِّباع الهوى من قبل الناس فالنقل هو الدليل على مصدريته بنفسه وهو الدليل على فهمه والمقصد منه، فلذا لا بُدَّ من ضبط مصطلح العقل والواقع والمقصد منهما فالعقل: هو القوة العاقلة التي تلد مع الإنسان ابتداء وهي التي تميزه عن سائر الكائنات البهيمية، وهذه القوة العاقلة التي منحها الله للإنسان إنما هي المقدرة على التمييز بين الأشياء ليس إلا فليست هي علمًا بذاتها ﴿**وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ**

وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78]، وإنما يُحصل الإنسان العلم من خلال التمييز في الواقع المشاهد، وهذه هي الطريق الوحيدة لتلقي العلم ألا وهي السير في الأرض.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ﴾ [العنكبوت: 20].

وهذا أسلوب القرءان في مخاطبة المشركين وغيرهم من الناس يعرض عليهم معلومات حقيقية عن الواقع بجانب المعلومات الباطلة التي يحملها الإنسان، ويدع الإنسان ليقوم بعملية التمييز ليدرك من خلال ذلك الحق من الباطل.

قال تعالى: **﴿قُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ، أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ، أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، أَمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ، أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، أَمَّن يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾** [النمل: 59-64].

هذا العقل الغريزي في الإنسان وهو أساس العلوم كلها وهو بمثابة الوعاء لها، وهذا العقل الغريزي هو القاسم المشترك بين الناس جميعًا وهو من فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالناس جميعهم عندهم التمييز الذي يستطيعون أن يفرقوا به بين الطويل والقصير، السمين والنحيف، الكبير والصغير.

وهذا التمييز يستخدمه الإنسان لبناء عقل اكتسابي، وهذا العقل الاكتسابي هو مجموعة من العلوم والمعارف والعادات والآداب والمفاهيم التي يكتسبها الإنسان من

خلال المحيط الخارجي الذي يعيشه، فلو اصطلحنا عليه اسم العقل البيئي أو العقل الاجتماعي لصح التعبير.

وهذا العقل الاكتسابي يختلف من إنسان إلى آخر ومن قوم إلى آخرين فيوجد هنا ما يُسَمَّى بالعقل السلفي والعقل الصوفي، والمقصود بذلك هو مجموعة القواعد التي يستخدمها الإنسان في طريقة نظره للأشياء وكيفية التعامل معها فإن كانت قواعده سلفية كان عقله سلفيًّا، وإن كانت قواعده صوفية كان عقله صوفيًّا.

وهكذا يختلف العقل الاكتسابي بين الناس بخلاف العقل الغريزي فهو واحد عند الناس كلهم والذي هو قوة التمييز بين الأشياء المعروضة عليه من الواقع.

فالعقل الاكتسابي يحتوي مجموعة من المفاهيم التي ممكن أن يكون منها المفهوم الحق ومنها المفهوم الباطل وكذلك المعلومات حسب المحيط البيئي الذي يعيشه هذا الإنسان، ولذلك يقال الإنسان ابن البيئة.

وليس المقصد بكلامنا أن العقل أساس النقل، والعقل مناط التكليف هو العقل الاكتسابي على ما هو عليه من بيئة وإنما المقصد هو العقل الغريزي بقوته التمييزية في الواقع، وهذا العقل مرتبط بالواقع ارتباط اللازم بالملزوم ؛لأن التمييز لا يمكن أن يتم إلا من خلال عملية إحساس بالواقع فيصدر هذا العقل حكمه بناء على ما أحسه في الوقع من خلال الحواس وتتشكل عنده معلومة حقيقية فيخزنها مع مثيلاتها من الحقائق لتشكل العقل الاكتسابي المبني على مجموعة حقائق من الواقع المحسوس يستخدمها العقل الغريزي في المرة الثانية لإدراك معلومة أخرى.

وهكذا يصبح عنده مجموعة من الحقائق تكون بالنسبة إليه ميزانًا يزن بها الأمور المستجدة، فالحكم إذن هو للواقع الحق الموجود خارج الذهن الإنساني فأي خلاف بين اثنين يكون الحكم بينهما هو واقع الحال المشاهد الذي هو واحد بالنسبة للجميع، فليس هناك علم رياضيات سلفي وآخر خلفي، فالعلم لا هوية له إنما هو واحد وإليه المرجع للناس كلهم.

هذا ما قصدنا بمصطلح العقل الذي هو العقل الاكتسابي المبني على العقل الغريزي المرتبط بالواقع المحسوس، وليس العادات والتقاليد والخرافات الأهواء أبدًا.

قال: إن هذا الكلام فلسفة بيزنطية وتكلف لا معنى له والدِّين أبسط من ذلك بكثير وقد ذمَّ السلف الخوض في المنطق.

قلت: كيف تؤمنون أنتم بوحدانية الله سبحانه تعالى؟

قال: نؤمن بوحدانية الله كما أخبر الله عن نفسه [**قل هو الله أحد**]الإخلاص: 1].

قلت: ولكن هذا النص خبري وبحاجة إلى مصداقية لمعقولية الخبر وهذا لا يتأتى من النص نفسه.

قال: المصداقية من كون القرءان كلام الله.

﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلًا**﴾ [النساء: 122].

قلت: إذن إيمانكم إنما هو إيمان تسليم وليس إيمان تدبر وتعقل.

قال: ﴿**قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ**﴾ [البقرة: 140] الله يخبر عن نفسه بما شاء، ونحن نؤمن بما يخبر الله.

قلت: كيف تؤمن بأن الله لم يتخذ ولدًا أو صاحبة؟

قال: من قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا**﴾ [مريم: 92].

قلت: عدم الاتخاذ للولد هل هو للتنزيه مع الإمكانية أم هو للاستحالة.

قال: لا نخوض في أمثال هذا الكلام لعدم خوض السلف فيه وإنما نكتفي بما أخبر الله عن نفسه في كتابه [قل هو الله أحد].

قلت: كيف ثبت لديكم أن القرءان كلام الله؟

قال: لقد ثبت أن النبي تلا هذا القرءان على المشركين وتحداهم بأن يأتوا بمثله

فعجزوا رغم مساس الحاجة إلى قبول التحدي وكونهم عجوزا عن الإتيان بمثله ؛ مما يؤكد أن القرءان كلام الله،خاصة أنه أعجز أفصح العرب ونحن تبع لهم في ذلك العجز من باب أولى وبالتالي ثبت لدينا أن القرءان كلام الله.

قلت: يعني أن إيمانكم تبع لإيمان قوم النبي، وليس إيمان التفكر والتدبر.

قال: نعم نحن في إيماننا نتبع الصحابة في إيمانهم، وهم أعلم وأفضل الناس وأصفاهم فطرة.

قلت: ماذا تقول برجل كتب كتابًا موجهًا إلى علي ومعاوية ينصحهما بالصلح وحقن الدماء؟

قال: هذا سؤال غير وارد لاستحالة فعل ذلك في الواقع، لأن الماضي بأحداثه ورجاله قد أصبحوا في ذمة التاريخ.

قلت: ماذا تقول في إنسان يطلب الحل لمشكلات الحاضر ومستجداته من علي ومعاوية؟

قال: إلى ماذا تريد أن تصل؟

قلت: أريد أن أصل إلى أن الرجل الذي يخاطب رجالًا من التاريخ ينصحهم ويوجههم مثله مثل من يستحضر رجال من التاريخ إلى الواقع المعاصر ليعلموه وينظموا أمور حياته، والفرق بينهما هو في الاتجاه:

الأول: يدخل في التاريخ ويعيش أحداث بذهنه، ويبتعد عن الواقع، ويصبح إنسانًا لا ينتمي إلى زمانه، وإنما ينتمي إلى الزمن الذي دخل فيه.

الثاني: يسحب التاريخ إلى الزمن المعاصر، ويقوم بتقمص عقلية السلف، ويستخدم أدواتهم المعرفية، وبهذا العمل يعطي للتاريخ حياة في الواقع، ويعيده مرة ثانية، ويصبح هذا الإنسان وكأنه رجل فرَّ من التاريخ ودبَّت الحياة فيه في الزمن المعاصر.

ولك أن تتصور كيف يستطيع أن يعيش هذا الرجل التاريخي ويتعامل مع التقنية المادية والأدوات المعرفية والتطور العلمي والاجتماعي...إلخ.

فهو أشبه بأصحاب الكهف عندما أيقظهم الله عز وجل في زمن غير زمانهم فلم يستطيعوا أن يتكيفوا معه، ولن يستطيعوا فلذا أماتهم بعد أن جعلهم آية للتفكر والدراسة وبرهانًا لإحياء الأموات.

فهذا الإنسان التاريخي يظهر في الواقع من خلال شكله ولباسه وسلوكه ونمط تفكيره وبناءً على ذلك نستطيع أن نحدد الفترة التاريخية التي جاء منها هاربًا إلى زمننا المعاصر، ودار الحديث بيني وبينه في مواضيع شتَّى،أحاول أن أوصله إلى فهم الكلام فلم أستطع وبقي النقاش عقيمًا وكأنك تنفخ في قربة مقطوعة.

هذا نموذج للنقاش لمعرفة مدى خطورة هذا المرض المنتشر بين المسلمين بشكل وباء يؤدي استمراره إلى ضمور العقل بشكل كلي والتخلف في الحياة الاجتماعية، فلذا يجب المسارعة لمعرفة ودراسة الداء ومن ثم علاجه، ولا أدعي أن الأمر سهل أو يمكن القضاء عليه ولكن يمكن تقليصه إلى الحد الأدنى وإعطاء الأمة مناعة من الإصابة به.

فالأمر على درجة من الصعوبة لعدم وجود منهج عندهم نناقشهم على موجبه فضلًا عن ضمور العقل، ومع ذلك فهم محسوبون علينا شئنا أم أبينا! ومطلوب أن نعالجهم.

وسأحاول أن أستعرض أهم شبهاتهم في تبرير تجميد العقل، وإعطاء فهم الصحابة الناحية المصدرية، وأهدف من هذا العمل إنقاذ من لم يتمكن المرض في عقله ونفسه ويصبح مزمنًا يصعب علاجه، كما أهدف إلى إعطاء شباب الأمة الترياق الشافي ليصبح عندهم مناعة اكتسابية تصبح قوة ذاتية ترفض الإيدز الفكري وتمنعه من أن يصيبها في عقلها فتشله.

أهم نص اعتمد عليه السلفية في بناء مفهومهم المرضي وجوب تقييد فهم الكتاب والسنة بفهم الصحابة هو قوله تعالى:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115]، ومما يلفت النظر إلى أن الإمام الشافعي قد اعتمد النص نفسه لبناء مفهوم إجماع علماء الأمة، وكأن الفكرة توضع أولًا، ثم يتم البحث عن نص قطعي الثبوت فإن لم يجد فظني الثبوت لتبرير هذا المفهوم وإعطائه مصداقية!

فالسلفيون عندما يستدلون بهذا النص يأخذون منه جملة يقتطعونها من النص كعادتهم وهي [ويتبع غير سبيل المؤمنين] والمؤمنون عندهم الصحابة، ولأن الأمر كذلك فقد جعلوا للصحابة سبيلًا مستقلًا بجانب سبيل الله واشترطوا الوصول إلى سبيل الله أمرًا مرتبطًا بسبيل الصحابة فهو السبيل الوحيد للوصول إلى سبيل الله ! والنص إنما ينص على ثلاثة أمور مرتبطة ببعضها وهي:

أولًا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾.

ثانيًا: ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾.

ثالثًا: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

فلا يصح اقتطاع جملة منها وتوظيفها في مفهوم لا علاقة له بكلية النص وبالبناء عليها. نحو قوله تعالى (فويل للمصلين) !

فالنص فيه أمور متلازمة لا تنفك عن بعضها: مشاقة الرسول، معرفة الهدى، اتِّباع غير سبيل المؤمنين، ولنقم بشرح الأمور الثلاثة:

أولًا: مشاققة الرسول:

تعني: الانشقاق والعداء للرسول ودعوته التي يدعو إليها.

ثانيًا: الهدى:

تعني: التقدم للإرشاد ويتشعب من هذا فيقال الهدى: خلاف الضلالة، ولنر القرءان كيف استخدمها: قال تعالى:

1. ﴿**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ [غافر: 38].
2. ﴿**وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾ [الأحزاب: 4].
3. ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الهُدَى**﴾ [البقرة: 120].
4. ﴿**وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلًا**﴾ [النساء: 51].
5. ﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا**﴾ [الأحزاب: 67].

فمفهوم الهدى هو ضد الضلال، وهذا هو الاستخدام القرءاني يؤازر المعنى اللغوي للكلمة، كما أن كلمة الهدى تطلق على مآلها فسبيل الله هو الهدى نفسه انظر قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الهُدَى**﴾ [البقرة: 120].

فكلمة الهدى في النص يقصد بها الإيمان والحق ولا تحتمل أي معنى آخر أبدًا، فمن أين أتى الفهم السلفي لكلمة الهدى وأن المقصود بها هو الصواب وضده الخطأ؟ وبناء على هذا الشرح الوهمي حصروا الصواب في فهم الصحابة، ومن يخالفهم فهو لا شك قد وقع بالخطأ، بل في الضلالة نفسها.

فدلالة كلمة الهدى غير دلالة كلمة الصواب، كما أن الضلال غير الخطأ، فالفرق بينهما كبير جدًّا وخطير فالإنسان الضال هو الذي اختار الكفر على الإيمان بخلاف الإنسان الذي يقع في الأمر خطأ، أو يخطئ في قوله أو مفهومه أو سلوكه.

ولذا جاءت كلمة الهدى بعد مشاققة الرسول لتبين أن من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الحق فقد وقع بالكفر وانحاز إلى صف الكفار ضد المؤمنين، فلذا لا يوجد

أي عذر أو مبرر لفهم السلفية السابق لعدم وجود شبهة دليل يدعم شرحهم لا على صعيد اللسان ولا على صعيد الاستخدام القرءاني لكلمة الهدى.

ثالثًا: اتِّباع سبيل المؤمنين:

فما هو سبيل المؤمنين؟ هل لهم سبيل غير سبيل الله الذي هو الهدى؟ أم أن سبيل المؤمنين هو سبيل الإيمان نفسه الذي هو سبيل الله، ولذا أطلق الله عليهم وصف المؤمنين ؛ لأنهم آمنوا واتبعوا والتزموا بسبيل الله. قال تعالى مبينًا أن السبيل الهادي والحق إنما هو سبيل الله فقط:

1. ﴿**وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام: 153].
2. ﴿**وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ**﴾ [غافر: 37].
3. ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ [النساء: 76].

فسبيل الله هو الحق وضده سبيل الطاغوت الذي هو الباطل وليس هناك سبيل آخر بينهما.

ولذا فإن عبارة سبيل المؤمنين إنما هي سبيل الإيمان الذي هو الحق، وبالتالي فهو سبيل الله وليس سبيلًا آخر أبدًا، فاتِّباع سبيل المؤمنين إنما هو الاتِّباع والالتزام لسبيل الله نفسه، وبذلك العمل والولاء نكون من المؤمنين ومتبعين للمؤمنين الذين سبقونا في الإيمان بسبيل الله سبحانه وتعالى، هذا هو تفسير النص من خلال اللسان والقرءان نفسه، فأين الفهم الذي أتى به السلفيون من وجوب تقييد فهم الكتاب والسنة بفهم الصحابة، ومن ثم ألزموا المؤمنين لاحقًا بفهمهم إلى يوم القيامة؟

مع العلم أن الله لم يعطهم هذا الحق، وإنما كان لهم دور النقل والرواية لسبيل الله

الذي أنزله على رسوله، والرسول قد قام بتبليغه بأمانة وبين ما يحتاج إلى بيان على أحسن وجه.

فأين دور الصحابة في النص؟

هل لهم سبيل غير سبيل الله؟

فيصبح عندنا سبيل الله وسبيل الصحابة!

وهذا قول على درجة من الخطورة والقبح ومخالف لما عليه القرءان نفسه من كونه أنزل للناس جميعًا وليس لقوم دون آخرين، أو لزمان دون آخر، ومن يقول بذلك يكون قد ارتكب إثمًا عظيمًا ؛ لأنه حجر على الدِّين وسلب منه صفة الصلاحية والاستمرارية والإنسانية والعالمية.

فسبيل الله إنما هو كتاب الله وسنة رسوله وليس فئة معينة من الناس أو منهج خاص ارتضته طائفة.. كلا، إنما هو منهج الله الذي انزله على رسوله فحسب، وقد قام الرسول بتبليغه وذلك محفوظ بقدرة الله عز وجل: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: 9].

والناس كلهم أمام منهج الله وسبيله سواء، فليس لأحد أن يكون حجة على آخر، وكل يؤخذ من قولهم ويرد عليهم، والميزان في ذلك هو الواقع المعني بالخطاب القرءاني، فهو الذي يحدد المفهوم الصحيح، وذلك بكونه فعل الله، والقرءان خطابه، ولا بُدَّ ضرورة من التطابق بينهما، وإلا ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرءان وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: 82].

وهذا الاختلاف هو بين النص ومحل النص من الواقع، وإن ظهر اختلاف للوهلة الأولى بينهما فهناك ثلاثة احتمالات لا رابع لها:

أولًا: النص ليس من عند الله لأن النص قابل للتحريف بخلاف فعل الله فلا يستطيع أحد أن يحرفه، فمن يستطيع أن يجعل الشمس تشرق من الغرب!

ثانيًا: تقديم النص على الواقع المشاهد وإغماض العين عنه، وبالتالي يصبح المفهوم خرافيًّا وهميًّا لا واقع له.

ثالثًا: تأويل النص حسب أوجهه اللسانية لينسجم ويتطابق مع محل الخطاب من الواقع أي يتطابق الدال [النص] مع المدلول عليه [الواقع] وعندئذ يتبين لنا أن القرءان حق من عند الله ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت: 53].

مع العلم أن النص القرءاني يستحيل أن يتطرق إليه التحريف، وذلك لأن الله قد حفظه عندما ربط النص بمحل خطابه من الواقع نحو قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ المَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنبياء: 30]، فأوجدوا حياة دون ماء تبطلوا هذا النص، وبالتالي ليس هو من عند الله، لأن الله أعلم بما خلق فعندما يخبرنا عن شيء فحتمًا التطابق ضرورة لا بُدَّ منها بشكل لازم بين كتاب الله المسطور [القرءان] وكتاب الله المنشور [الكون].

النص الثاني الذي يعتمدون عليه هو الحديث التالي:

« فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ » ابن ماجه 42.

أولًا: إن هذا الحديث ظني الثبوت فمن الطبيعي والمنطقي أن لا يصلح لعملية البناء وجعله أساسًا يعتمد عليه في تثبيت غيره ؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فهو غير ثابت قطعًا، فكيف نجعله برهانًا على مصدرية شيء ناهيك عن ظنية دلالته.

ثانيًا: إن علماء الحديث أنفسهم مضطربين في صحة سند هذا الحديث، فالشيخ الألباني يصححه ويبني عليه أصله السلفي، بينما السيد «حسان عبد المنان» يضعفه، وذلك في رسالة خاصة تحت عنوان: (حوار مع الشيخ الألباني) وقد قام بجمع طرق الحديث كلها وناقشها واحدًا تلو الآخر، وأثبت ضعفها جميعًا فراجعها لأخذ فكرة

عن سند الحديث وعن عملية التحقيق لكل واحد منهما، وحسب الأصول المعتمدة عند كل منهما وحُسن تطبيقها.

ثالثًا: الحديث ذكر سنة رسول الله وسنة الخلفاء من بعده ولا بُدَّ من شرح لدلالة النص:

سنة الخلفاء قطعًا هي سنة رسول الله وليست غيرها إنما هي تطبيق والتزام وامتداد لسنة رسول الله نفسها.

والخلفاء ليسوا هم حصرًا من الصحابة وإنما هم من يخلفون النبي بوظيفته السياسية والعلمية، فالحكام هم خلفاء النبي، والعلماء هم خلفاء النبي، فأي حاكم أو عالم دعا إلى سنة رسول الله علمًا وعملًا والتزامًا يكون بتلك الدعوة راشدًا مهديًّا فيجب عليكم اتِّباعه والتمسك بدعوته والالتفاف حوله ولاءً.

هذه هي دلالة النص، فأين ما ذهب إليه السلفيون من الالتزام والتمسك بفهم الصحابة؟ إلا إذا فهموا أن سنة الخلفاء هي شيء آخر غير سنة رسول الله وهي منهج قائم بنفسه لفهم الدِّين، وهذا الكلام باطل في واقع الحال ويترتب عليه عمليًّا ما يلي:

أن الصحابة يُوحى إليهم إلهامًا وسواء صرح بذلك السلفيون أم أنكروه فلسان حالهم كذلك وهو شيء لازم ضرورة لقولهم، وبذلك يكونون هم والشيعة في تلك المقولة سواء:

- الشيعة: عندهم وحي إلهي للأئمة المعصومين، ولذلك فمصادر التشريع عندهم هي: الكتاب، سنة النبي، سنة الإمام المعصوم.

- السلفية: عندهم أن مجموع الصحابة معصوم عن الخطأ، وبالتالي فمصادر التشريع عندهم هي: الكتاب، سنة النبي، سنة الصحابة.

ومن المعروف أن العصمة لا تكون إلا بوحي من الله عز وجل ؛ لذلك صرح

الشيعة بذلك الوحي الإلهامي، أما السلفية فإنهم أثبتوا العصمة للصحابة دون تصريح بالوحي رغم أنه أساس لبناء مفهوم العصمة!

ولو أنهم منذ البادية اعتمدوا العقل دليلًا على الشرع، وأن الأصول والمصادر لا تكون إلا من خلال الأدلة القطعية الثبوت والقطعية الدلالة لما وقعوا في تلك المتاهة والمطب الذي زلت به أقدامهم بخروجهم بعقائد وهمية متناقضة، ناهيك عن الفقه المضحك البدائي وها هي كتبهم ورجالهم تشهد على ما أقول:

فعلى سبيل المثال في العقيدة انظر قولهم:

«إن الله ينزل إلى السماء الدنيا بذاته دون أن يخلو العرش منه، ودون أن يدخل في خلقه مع بقائه بائنًا عن الخلق».

«وإن الله عز وجل له يد يمنى وأخرى شمال، وله وجه ورجل وقدم وساق وأصابع ودار يكون فيها يوم القيامة، ويهرول ويأتي ويذهب ويصعد وينزل ويضحك ويغير ذاته من شكل إلى آخر...»!

أما مثال الفقه فانظر لقولهم:

«إن الذهب المحلق حرام على النساء نحو الطوق والأسورة وما شابه ذلك مما يشكل حلقة حول العضو الموضوع فيه الحلية، وإباحة الذهب مقطعًا ولو بلغت قيمته أضعاف المحلق».

وقولهم بحصر الزكاة في أربع: « لا زكاة إلا في أربعة: الحنطة، والشعير، والتمر والزبيب».

فكيف يطبق أهل الصين هذا الحكم وطعامهم الأساسي والرئيسي هو الرز؟ وكيف يطبق السودان والصومال هذا الحكم وأمثالهم من البلدان التي تكثر فيها مزارع الموز والمنجا؟ والنص الآخر الذي يعتمدون عليه هو الحديث: « بني إسرائيل... وتفترق

أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي» الترمذي 2565.

وهذا الحديث مثله مثل ما سبق ذكره من كونه ظني الثبوت فلا يصلح لعملية البناء وجعله أساسًا ومرتكزًا قويًّا لمصدر شرعي، ومع ذلك سوف نناقش دلالة الحديث ونرى صحة مفهوم السلفية منه، والشاهد من الحديث هو عبارة « ما أنا عليه وأصحابي» فلقد كتب أحد السلفيين كتابًا لإثبات مفهوم السلفية السابق وعنونه بالعبارة نفسها « ما أنا عليه وأصحابي » واستفاد من هذا الحديث الظني والذي قبله الضعيف « سنة الخلفاء الراشدين » أن هناك سنة تُسَمَّى سنة الصحابة وبذلك يكون عنده مصادر التشريع كتاب الله، وسنة النبي، وسنة الصحابة.

وأول ما يلفت النظر هذا الإصرار على التطابق مع الشيعة ؛ إذ يستحيل أن تكون طائفة معصومة عن الخطأ سواء أكان المعصوم فردًا أم جماعة إلا بوحي رباني قطعًا! وكون وحي التلقي قد انقطع لاكتمال الدِّين، وبالتالي اقتضى ختم النبوة لانتهاء مهمتهم ووظيفتهم، فالقول بعصمة أحد أو جماعة يلزم ضرورة استمرار الوحي.

فلذا؛ الشيعة صرحوا بذلك حقيقة فقالوا: بالوحي الإلهامي حتى يعطوا الشرعية لعصمة الأئمة. بينما السلفية وهذا الكاتب أثبتوا العصمة لمجموع الصحابة ولم يصرحوا بالوحي الإلهي رغم أنه قول ضرورة للعصمة وإلا تنتفي العصمة الربانية عنهم، فتأمل هذا التطابق العجيب مع بعضهما رغم خصومتهما المشاهدة، فما المقصود بسنة الإمام المعصوم، وسنة الصحابة المعصومين؟

هل لهما طريق ومنهج غير منهج النبوة؟

فإن كان الأمر كذلك فهذا باطل مردود عليهما ونحن لانهتدي إلا بهدي النبي محمد ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: 21]، بكونه يسير بتوجيه وتعليم إلهي.

أما إذا كان منهجهم وطريقهم هو طريق ومنهج النبوة نفسه ليس إلا، فلقد كفى الله المؤمنين القتال فلهم حق الرواية والنقل والتفاعل ليس أكثر، وفهمهم هو عبارة عن التفاعل الأول مع رسالة الله وهي صورة تاريخية مرتبطة بظروفهم، ولنا أن نأخذ المنهج ونسقطه على واقعنا ونتفاعل معه لحل مشكلاتنا.

فعبارة « ما أنا عليه وأصحابي » لا تفيد أبدًا أن الصحابة هم على شيء آخر غير منهج النبوة، وإنما تفيد أن الفرقة الناجية هي التي تلتزم بما كان ملتزمًا به النبي وأصحابه معه.

وهذا الالتزام لم يكن إلا بسبيل الله المحفوظ إلى يومنا المعاصر، فإن كان الأمر كذلك فلم هذه الضجة والجعجعة ولا نرى طحينًا؟ وكتبهم كلها هي ردود وشتائم إما فيما بينهم أو مع إخوانهم المسلمين يتبعون عثراتهم ويتهمونهم بالضلال والخبث والمكر إلى غير ذلك من الشتائم!

ومن هذا الوجه نعلم قيمة هذه الكتب بهذا المضمون المرضي التي تساهم في اغتيال العقل وتوجيه طاقة الأمة على نفسها لتدمر ذاتها بيدها، ونجدهم يتخبطون بمفهومهم الوبائي فتارة يقولون: [فهم السلف] وأخرى [منهج السلف] وشتان ما بين العبارتين، ومع ذلك يرددونها من باب الترادف! فعبارة:

- فهم السلف: يقصد بها التمسك بالنتائج التي وصل إليها السلف لحل مشكلاتهم من حيث المفاهيم والسلوك بشكل صوري.

- منهج السلف: يقصد بها مجموعة الأسس والمنطلقات التي ارتكز عليها السلف لحل مشكلاتهم في زمانهم.

ونحن ننطلق منها بعد فرزها مع مراعاة عامل الزمان والمكان والوصول لحل مشكلاتنا نحن بواقعنا وحسب أدواتنا المعرفية، فيؤخذ بعين الاعتبار مقاصد الدِّين، وننطلق من كليات الدِّين الثابتة، فهذا هو سبيل الله المتبع الذي التزمه النبي والصحابة معه ونحن بخطاهم مقتدون.

وهذا يقتضي بشكل طبيعي الاختلاف في الفهم والاختيار للأحسن **﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾** [الزمر: 55]، لاختلاف الزمان والمكان مع الالتزام بالمنهج ذاته، منهج النبوة لتطبيق سبيل الله في الواقع.

وليست هذه الأحاديث الظنية هي الوحيدة التي يعتمد عليها المسلمون في بناء مفهومهم، بل يوجد غيرها، ولكن لا تفيد البحث شيئًا فلا تخرج عما ناقشناه، فتركنا للقارئ أن يناقش هو كل ما يعرض عليه من خلال دراسته باعتماد الأسس والقواعد ذاتها في النقاش فيصل إلى الصواب إن شاء الله ولا يقع في حيرة أو تخبط ويمنع عملية التدليس من أن تمارس عليه، أو أن يغتال أحد عقله.

هذه هي السلفية مرض آبائي أصاب الأمة بعقلها فشلَّه ؛مما أدى إلى ضموره، وانتشرت هذه الظاهرة المرضية على مستوى العالم الإسلامي، ونحن نحصد نتائجها من استعمار ثقافي، وذلك لخلو الأمة من الثقافة الواعية، واستعمار اقتصادي، فتحولنا إلى شعوب مستهلكة وليست فاعلة وانتشرت العطالة والبطالة، وأصبحنا عالة على الأمم وذلك كله بسبب تجزيء الأنظمة العقلية حين الاستخدام وتقديس النظام الثقافي على ما هو عليه دون فرز له لما أدى إلى وجود نموذج الآبائية في الحاضر يقاس عليه كل شيء، نحو اتِّباعهم بفهمهم للقضاء والقدر وقناعتهم بتعدد مصادر التشريع الإلهي، وغير ذلك من الأمور.

واستعمار سياسي، وذلك لضمور الأنظمة العقلية فلا سياسة عندنا، بل ما أكثر ما يردد السلفية مقولة: (من السياسة ترك السياسة) إلى غير ذلك من المقولات التي تبعد الشعوب عن النظر في سياسة نفسها!

وأخيرًا استعمار عسكري، عنوة فها هي فلسطين محل القبلة الأولى تئن جريحة ثكلى بأولادها وأطفالها منذ نصف قرن ولا مجيب ! بل انتقل الألم والجراح إلى جنوب

لبنان ! ومن ثم إلى تهديد أمن الشعب العراقي بشكل خاص، والعرب كلهم بشكل عام والمسلمين من بعد ذلك وها هي الأفغان تدمر نفسها بنفسها بواسطة أسلحة الغرب التي تعطى للأفغان ليقوموا بعملية الانتحار الجماعي من خلال قتل أنفسهم وأطفالهم وأمهاتهم، فوقعوا في شرك الغرب الذي نصبه لهم من تنفيذ حكم الإعدام للشعب الأفغاني كله وإزالته من الوجود، وتم تنفيذ ذلك الحكم بأيدي الأفغان أنفسهم!

وانطلت الحيلة على المسلمين كلهم وما زالت تنطلي والعرب يقفون من الأحداث موقف المتفرج، فلا يزيدون على الاستنكار وعقد المؤتمرات، وولدت داعش من التيار السني، وحالش من التيار الشيعي، وما زال يحمل الشيعة والسنة أجنة داعشية وحالشية تنتظر الفرصة المناسبة والظروف لتلد أيضًا، فالعرب والمسلمون صاروا ظاهرة صوتية وقوة خلبية ودمى متحركة وطعم لتمرير ما يشاء الغرب من خطط ومؤامرات بواسطة الحكام وبيد الشعوب أنفسهم بسبب جهلهم وتخلفهم وقابليتهم للاستعمار الثقافي والاقتصادي.

إن أمريكا وإسرائيل تشكلان مع بعضهما توءمًا، ومرد ذلك راجع إلى تطابق ظروف ولادة كل منهما من حيث الاغتصاب لأرض الغير، وإخراج الشعب صاحب الأرض الأصلي وقمعه ؛ مما أدى إلى أن يكون أمنهما الخارجي واحدًا وكلاهما وجه للآخر.

فلذا؛ يجب توسيع دائرة الحرب الفكرية والإعلامية والاقتصادية من إسرائيل إلى أمريكا ؛ لأنها العدو الحقيقي للعرب والمسلمين وما ينطبق على أمريكا ينطبق على الغرب كله كحكومات، فلذا؛ يجب عدم الانخداع باستنكار أية دولة غربية أو وقوفها بشكل سلبي للأحداث فالجميع ضمنًا موافقون، بل مباركون لخُطا أمريكا وقمعها للعرب والمسلمين ؛ لأن ذلك من وجهة نظرهم خدمة لهم في النهاية، وأمريكا لم تقدم على هذا القمع والمكيال بمعيارين إلا وهي تعلم أنها تنفذ رغبة المجتمع.

وما استنكار بعضهم لذلك إلا خدعة سياسية، فلذا يجب على العرب والمسلمين أن يلتفتوا لأنفسهم ويشكلون مع بعضهم كتلة قوية يكون أمنهم فيها واحدًا، فإذا تعرض أي منهم للخطر قاموا قيام رجل واحد ودافعوا عن كيانهم بكل ما أوتوا من قوة.

إن سياسة إسرائيل في المنطقة تقوم على فرق تسد وإقناع كل طرف على حدة أن مصلحته مع إسرائيل وليس مع العرب ونجحت إلى حد ما بذلك ؛ لأن قصدها ليس هو الصلح مع طرف معين، وإنما قصدها خلق أزمة وبلبلة في صرف العرب عن النظر لإسرائيل وتنكمش إلى النظر في أمور نفسها ومشكلاتها الداخلية والخارجية فيما بينها، والعرب ما زالوا يقعون في هذا الفخ الخبيث وقد حذرهم الله تعالى من ذلك، فقال عز وجل:

﴿**لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ**﴾ [الحشر: 14]، وهذه الجدر هي عسكرية اقتصادية ممثلة بدول أخرى تضعها إسرائيل جدارًا وتقف خلفه، فسابقًا كان الجدار بشكل مباشر هو بريطانيا ولاحقًا أمريكا، ولا ندري من يكون الجدار بعد ذلك وغياب الجدار السابق ليس هو للأبد وإنما تغيير للوجوه.

هذه هي إسرائيل وليدة الغرب ولن يتخلى الغرب عن وليدته ؛ لأنها تخدم مصلحته في نخر جسم الأمة العربية من داخله. وذلك كله لغياب الأنظمة العقلية أو تجزيئها وحلول التخلف والقصور والنظرة السطحية القريبة المدى للمصالح محلها، وغياب النظرة الكلية وبعد الأفق السياسي الذي يحقق المصلحة العامة المستمرة من خلال اتحاد العرب والمسلمين وعدم الارتماء في أحضان الغرب ؛ لأنه العدو الحقيقي، ولا يريد للعرب والمسلمين خيرًا أبدًا، ولا يهمه أمرهم أصلًا إلا من كونهم عدوًا يجب قمعه وبالوقت نفسه الحفاظ على حياته ليصبح سوقًا استهلاكيًّا لمنتوجات الغرب.

فأصبح العالم الإسلامي عالمًا متخلفًا عالم الطفل الذي يهتم بالأشياء ويعيش من

خلالها بجو ساذج فلا يفرق بين الجماد والكائن الحي، ولا يتدخل بعالم الكبار الذين يعطونه طعامه وألعابه، فهو مسرور بطفولته ؛ لأنها لازمته طوال قرون ويالها من طفولة يتيمة، ألعابه النار والحديد، وحياته الحرمان والشقاء والتشريد..!

فليهنأ العالم الإسلامي بأطفاله الملتحين!

وأخيرًا سوف أضع مجموعة من الأسئلة المتعلقة بالموضوع نفسه وأترك حرية الجواب عليها للأخ القارئ ليناقش نفسه بنفسه، ويعرف إلى ماذا وصل وأين يقف؟

وذلك مع مراعاة ربط الأجوبة ببعضها وعدم تناقضها والعودة للبحث مرة أخرى إذا توقف عند أي سؤال ليناقشه مرة أخرى واتخاذ الموقف الذي يراه صوابًا دون اغتيال للرأي الآخر، والله الموفق لما فيه الخير والهدى والحق.

أسئلة للنقاش والحوار

1. هل يوجد مشرع تشريعًا دائمًا إنسانيًّا غير الله عز وجل؟
2. هل أنزل الله إلى رسوله محمد شرعًا واحدًا أم اثنين؟
3. هل اكتمل نزول الدِّين أم لم يكتمل؟
4. هل الشرع الذي أنزله الله عز وجل قد احتواه كتاب الله كله؟
5. هل كتاب الله مُبين وفيه تبيان لكل شيء متعلق بنهضة الإنسان فكريًّا كأسس؟
6. هل كتاب الله ما زال محفوظًا كما نزل؟
7. هل انقطع وحي النبوة الإلهية وتم ختم النبوة بمحمد؟
8. هل بيان نبي الله موجه لمادة الكتاب أم لعقول الناس؟
9. هل استنفد المجتمع الأول إمكانيات القرءان كلها على الصعيد التشريعي والعلمي؟
10. هل الأحاديث النبوية محفوظة من التحريف والاندثار؟
11. هل هناك عصمة لأحد عن الخطأ سواء أكان فردًا أم جماعة دون وحي من الله؟
12. هل هناك حفظ إلهي لفهم أي فرد أو جماعة لكتاب الله عز وجل؟
13. هل فهم الصحابة والأئمة من آل البيت وسائر العلماء وحي من الله؟
14. هل فهم الصحابة والأئمة من آل البيت وسائر العلماء محفوظ من التحريف والضياع؟

15. هل فهم الصحابة والأئمة من آل البيت وسائر العلماء معصوم عن الخطأ؟

16. هل هناك أحد سواء فرد أم مجتمع فهمه حجة على آخر دون برهان؟

17. هل كتاب الله موجه إلى مجتمع دون آخر؟

18. هل فهم كتاب الله مرتبط بزمان أو مكان معين؟

19. هل أتت كلمة السنة أو الحديث متعلقة بالنبي محمد في القرءان؟

البخاري يُضَعِّفُ أحاديث مسلم

يعدُّ المُحدّثون ثبوت الحديث إنما هو على طريق الظن، والذوق، والإسناد والجرح والتعديل للرواة ليس علمًا، والعلم هو مجموعة قواعد وقوانين يتم البرهنة عليها من الواقع والفلسفة، فتصير معيارًا، وميزانًا، يستخدمها العلماء في بناء الحضارة، على صعيد الآفاق والأنفس، فهل الإسناد هو علم بهذا المفهوم؟

وتلقي الأمة (أهل السنة فقط) أحاديث البخاري ومسلم بالقَبول لا يُعطيها صفة الصواب، والإجماع المدَّعى هو افتراء.

ومسألة قَبول الأمة لهما إشاعة انتشرت بين المسلمين، فالأمة (أهل السنة) لم تتقبل أحاديث البخاري ومسلم كلها، وقد قام فئة من المحدثين بنقدهما، مثل الدارقطني، وغيره. بل أزيدك علمًا ومعرفة! إنَّ البخاري نفسه رفض مجموعة من أحاديث مسلم، ومسلم رفض مجموعة من أحاديث البخاري.

لقد وضع البخاري شروطًا لصحة الحديث، منها، أن يُعاصر الراوي من يروي عنه، ويلتقي به، ولو مرة واحدة، مع التصريح بذلك. أما مُسلم فلم يشترط المقابلة واللقاء بين الرُواة، وإنما يكتفي بالمعاصرة مع عدم التصريح بانتفاء اللقاء بينهما، أي السكوت عن الأمر.

وهذا الاختلاف بين البخاري ومسلم، ترتب عليه في الواقع، رفض البخاري لمجموعة كبيرة من الأحاديث التي أخرجها مسلم، لعدم تحقق شرطه بها، وبالتالي تكون هذه الأحاديث التي انفرد مسلم بها، ضعيفة عند البخاري حسب شرطه.

وبهذا العمل يكون البخاري هو أول من ضَعَّف ورَدَّ أحاديث تلميذه مسلم!، فكيف يُقال بأن الأمة تلقتهما بالقَبول؟ أما مسلم فقد جرح الراوي (عِكرمة مولى ابن عباس) ورَدَّ حديثه اتباعًا لرأي المحدثين المختصين بالجرح والتعديل، ولكن البخاري ترجح عنده عدالة (عكرمة) فروى عنه أحاديث كثيرة؛ وهذا العمل من البخاري ترتب عليه أن يرفض مسلم كل أحاديث عكرمة، ويُضَعِّفُها.

وبذلك يكون أول عالم يرفض ويطعن بمجموعة من أحاديث شيخه البخاري، ومن هذا الوجه ظهرت الأحاديث التي انفرد بها البخاري عن مسلم، ومسلم عن البخاري. والانفراد بالحديث لأحدهما، دليل على ضعف الحديث عند الآخر.

مع العلم، أنكم لو حللتم شَرطَي البخاري ومسلم، لوجدتم أنهما مُخالفان للمنطق، ولا وزن لهما البتة، لأن شرط البخاري، اللقاء مرة واحدة بين الرواة، لا يُعطي الثقة والمصداقية لأحاديث وأخبار الراوي كلها، لاحتمال وقوع الكذب، واستغلال اللقاء الوحيد، ووضع الأحاديث.

أما شرط مسلم بالمعاصرة مع عدم التصريح بانتفاء اللقاء، فهو عجيب وغريب! منذ متى كان عدم التصريح بانتفاء حصول شيء، دليل على حصوله؟ فموضوع الجرح والتعديل، وتصحيح الحديث أو تضعيفه، يخضع لِمزاج وذوق المحدِّث، ومستواه الثقافي، وولائه السياسي، ومن هذا الوجه نلاحظ أنَّ الإمام فلانًا ثقة، إلا إذا روى أحاديث متعلقة بآل البيت، مثل الحاكم الذي استدرك على البخاري في كتابه المشهور (المُستدرك) فإنه يتساهل برواياتها، فيرفضها الآخرون، بحجة تَشَيّعه!.

اقرؤوا قول أحد أئمة الحديث الكبار، وهو العلامة (التهانوي) فقد ذكر في كتابه (قواعد في علم الحديث) تحقيق (أبو غدة) ما يلي:

«لا شك أنَّ أصول التصحيح والتضعيف ظنية، مَدارها على ذوق المحدث والمجتهد غالبًا، فلا لَوم على مُحَدث ومجتهد يخالف فيها غيره من المحدثين والمجتهدين،

ألا ترى مسلمًا قد خالف البخاري في بعض الأصول...».

وقد يقول قائل: إنَّ الذي أوصل االقرءان لنا هم أنفسهم رواة الحديث، فكيف أقبل القرءان منهم ولا أقبل الحديث؟ وهذا الكلام مغالطة كبيرة! أين الرواة الذين رووا القرءان وما هي أسماؤهم؟ إنَّ القرءان تم نقله عن طريق التواتر، الذي هو ظاهرة ثقافية، وذاكرة اجتماعية، تَعالَت على السند، وقد شارك فيها الكفار من أمثال أبي جهل وأبي لهب!، وذلك عندما سكتوا والتزموا جانب الصمت، ولم ينقضوا النص القرءاني، أو يطعنوا فيه، مع حاجتهم لنقضه، لكسب الصراع، وإثارة الشبهات، لصد الناس عن الإيمان به، ومع ذلك لم يَرِد في التاريخ أنهم طعنوا في النص القرءاني، بل وصلتنا شهادات أدلوا بها فيما بينهم على مصداقية وصواب النص القرءاني (رغم عدم حاجتنا إليها)، ونسبته إلى الله .

لذا؛ عرض هذه الإشكالية وتكرارها، لا مُبرر له، فوصول القرءان إلينا لا نَدين به للرواة، ولا فضل لهم أبدًا، ولا يصح قياسه على مادة الحديث النبوي، وهذا واضح وصريح في الواقع، فمادة النص القرءاني مختلفة تمامًا عن مادة الحديث النبوي.

وما يُسَمَّى علم الإسناد والحديث، ليس علمًا، ولا قيمة له!

إنه خدعة، وَوَهم!، شغلوا به المسلمين زمنًا طويلًا، لصدهم عن التفاعل مع القرءان!.

والحل لمعرفة الأحاديث النبوية، ليس الإسناد بداية وإنما هو القرءان والعلم أولًا، فإن وافق مَتْن الحديث القرءان، وانسجم معه بين يديه لا يتجاوزه، يتم النظر في سنده، فإن صح على غَلبة الظن ننسبه إلى النبي، وإن لم يصح سنده، ننسبه إلى الحكماء والعلماء، ويكون قولًا أو حكمةً صوابًا، وهذا الحديث الصحيح متنًا وسندًا، ما ينبغي أن يكون مصدرًا تشريعيًّا، وإنما هو تابع للقرءان، مع استغناء القرءان عنه، ولا مانع من روايته بعد الاستدلال بالقرءان على المسألة المَعنيّة بالدراسة، والتنويه على أنه ليس برهانًا أو مصدرًا شرعيًّا.

اقرؤوا قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بقرءان غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [يونس: 15].

واقرؤوا حديث النبي الذي يقول:

1. (الحلال ما أحلَّ الله في كتابه، والحرام ما حرَّم الله في كتابه، وما سكتَ عنه فهو مما عفا عنه) ابن ماجه 3358، الدار قطني والحاكم والبيهقي والبزار والطبراني.

2. (أطيعوني مادُمتُ فيكم، فإذا ذُهِبَ بي فعليكم بكتاب الله، أحلُّوا حلاله وحرِّموا حرامه) مسند أحمد 6381، وصححه الألباني في الصحيحة تحت رقم 1472.

3. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وآله– فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: « مَا هَذَا تَكْتُبُونَ ». فَقُلْنَا: مَا نَسْمَعُ مِنْكَ. فَقَالَ: «أَكِتَابٌ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ؟». فَقُلْنَا: مَا نَسْمَعُ. فَقَالَ: « اكْتُبُوا كِتَابَ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ وَأَخْلِصُوهُ أَكِتَابٌ غَيْرُ كِتَابِ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَوْ خَلِّصُوهُ ». قَالَ: فجَمَعْنَا ما كَتَبْنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ قُلْنَا أَيْ رَسُولَ اللَّهِ أَنَتَحَدَّثُ عَنْكَ قَالَ: « نَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنِّي وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ». الإمام أحمد.

4. قال: قال رسول الله: «إن بني إسرائيل كتبوا كتابًا واتبعوه وتركوا التوراة».

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ إِذَا حَدَّثَ عَن رَسُولِ الله يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ، فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا حَدَّثَ قَالَ: إِذَا سَمِعْتُمُونِي أُحَدِّثُ عَن رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَلَمْ تَجِدُوهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ

حَسَنًا عِنْدَ النَّاسِ فَاعْلَمُوا أَنِّي قَدْ كَذَبْتُ عَلَيْهِ. سنن الدارمي: 593.

5. عن أبي سعيد الخدري، أن النبي، قال: « لا تكتبوا عني شيئًا سوى القرءان من كتب عني شيئًا سوى القرءان فليمحه ». صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

6. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اعملوا بالقرءان أحلوا حلاله وحرموا حرامه واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله وإلى أولي العلم من بعدي، كما يخبروكم وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور، وما أوتي النبيون من ربهم وليسعكم القرءان وما فيه من البيان). السنن الكبرى للبيهقي.

الشروط التي وضعها العلماء لقَبول الحديث المنسوب للنبي

1. أن لا يخالف صريح محكم القرءان، أو ما هو معلوم من الدِّين بالضرورة.
2. أن لا يكون مخالفًا للحسّ والمشاهدة.
3. أن لا يكون مخالفًا لما هو علميٌّ ثابت من قوانين الطبيعة وسننها في الكون والخلائق.
4. أن لا يكون منافيًا لبديهيّات العقول، أو معارضًا لأيّ دليل مقطوع به، أو منافيًا للتجربة الثابتة.
5. أن لا يكون مخالفًا لما هو ثابت من علم الطب والفلك وغيرها من العلوم البحثية.
6. أن لا يكون ركيك اللفظ بحيث لا يرتقي إلى مستوى فصاحة وبلاغة «أفصح من نطق بالضاد»، أو يشتمل على ألفاظ لم تكن متداولة في عصره.
7. أن لا يشتمل على دعوة أو إقرار لرذيلة تتنافى مع الشرع.
8. أن لا يشتمل على سخافات وسفاسف يترفع عنها العقلاء.
9. أن لا يكون فيه دعوة أو ترويج لمذهب أو فرقة أو قبيلة، ولذلك تُرَد رواية الراوي المنتمي والمتعصّب إلى مذهب أو نحلة يتمذهب بها أو يتعصب لها.
10. أن لا يخالف الوقائع التاريخيّة الثابتة بالتواتر المعتبر، أو تلك التي تثبتها آثار ظاهرة يقر أهل الاختصاص علاقتها وارتباطها بتلك الوقائع ووقت حدوثها.

11. أن لا يخبر عن أمور عظيمة يشهدها الكافّة بخبر يتفرد به راو أو اثنان.

12. أن لا يكون مخالفًا للمعقول المقبول في أصول العقيدة من صفات الله – تبارك وتعالى– وما يجب في حقه وما يستحيل وما يجوز. وكذلك بالنسبة للأنبياء الكرام وما يجب في حقهم وما يستحيل وما يجوز.

13. أن لا يرد بوعد بالثواب العظيم على العمل الصغير. وأن لا يشتمل على الوعيد الشديد على الصغائر.

14. أن لا يكون للراوي مصالح أو بواعث أو مؤثرات تحمله على رواية ما روى.

15. أن لا يشتمل على الدعوة إلى موروثات عقائديّة أو فلسفيّة مأخوذة عن أديان أو حضارات غابرة.

16. أن لا يكون في المتن شذوذ أو علّة قادحة مما مر ذكره، ولا في السند.

17. أن لا يُعرض عنه الأئمة من الصحابة.

18. أن لا ينكر الراوي الحديث الذي رواه بأن يقول: «ما رويت هذا » بعد حين.

19. أن يكون قد أدّاه كما سمعه دون زيادة أو نقصان.

إن طبقتم هذه الشروط هل يبقى حديث صحيح عند المسلمين أو حجة في الدِّين.

قراءة نقدية
لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم

اختيار خمسين حديثًا ليس للحصر وإنما نموذج لتدريب المسلم على التفكير والتحليل والنقد لمتن الحديث لأنه هو المعني والمقصد من الرواية وليس السند والعنعنة، وغذا ثبت خطأ الحديث وخلافه للقرءان والمنطق والواقع يكون كذبًا ضرورة ولو صح سنده وفق معايير أهل الفن باصطلاح الحديث، وليعلم القارئ أنه لا يوجد كتاب فوق النقد ولا يخلو كتاب بشري من أخطاء ونقص.

ملاحظة: اعتمدنا في مصدرية الأحاديث على المكتبة الشاملة إلكترونيًا، وقد رمزنا إلى البخاري بحرف (خ) ولمسلم برمز (م).

1 . عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُتَّهَمُ بِأُمِّ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله- فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله- لِعَلِيٍّ: « اذْهَبْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ ». فَأَتَاهُ عَلِيٌّ فَإِذَا هُوَ فِي رَكِيٍّ يَتَبَرَّدُ فِيهَا فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: اخْرُجْ. فَنَاوَلَهُ يَدَهُ فَأَخْرَجَهُ فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ فَكَفَّ عَلِيٌّ عَنْهُ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وآله- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ مَا لَهُ ذَكَرٌ. م رقم (7199).

الملاحظ من تحليل ونقاش الحديث ما يلي:

1. أن الرجل متهم فقط ولم يثبت عليه الفعل.
2. صدر الحكم بضرب عنقه دون أن يثبت على المتهم إقامته بالفعل.
3. صدر الحكم دون سماع أقوال المتهم والدفاع عن نفسه.

4. صدر الحكم وبعث من ينفذه والمتهم لا علم له لا بالحكم ولا بالتنفيذ.
5. صدر الحكم دون وجود أربعة شهداء حضروا وأدلوا بدلوهم في فعل الفاحشة، وهذا شرط لإقامة الحد، كما هو معلوم.
6. إن هذا الفعل يصدر من الظالمين المستهترين بحياة الناس.
7. لو كان للرجل ذكر لضرب عنقه لمجرد الشبهة.
8. التأثر بالشبهات والإشاعات في صدور الحكم.
9. النتيجة أن إنسانًا بريئًا كان سوف يموت لولا أنه مجبوب (أي: لا ذكر له) !

مما يؤكد بشكل قاطع أن هذا الحديث باطل في متنه لمخالفته للأحكام الشرعية القطعية الإنسانية، ومخالفته لأخلاق النبي الذي كان خلقه القرءان يتمثله في حياته العملية، فحاشا لرسول الله أن يصدر منه هذا الفعل المشين وأمثاله.

2 . عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وآله– سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: «يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً كُنْتُ أَسْقَطْتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا » م 1873.

الملاحظ من شرح ونقاش الحديث: أن حالة النسيان والخطأ قد أصابت رسول الله بمادة الوحي وهي القرءان وذلك مخالف بشكل صريح وقطعي لمقام النبوة كونه معصومًا عن الخطأ في عملية تأدية الوحي إلى الناس الذي يقتضي منه حفظه دون نسيان ؛ لأنه المرجع لذلك حين الاختلاف ولا يمكن أن ينعكس الوضع، إذ يصبح الصحابة أو جزء منهم هم المرجع لرسول الله ليعمل ويتذكر آيات القرءان!

والحديث يتصادم بشكل صريح مع الحقائق التالية:

1. قال تعالى: ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى﴾ [الأعلى: 6]، فكيف نسي الرسول؟ هل الخبر القرءاني كذب وغير صحيح أم الحديث المذكور باطل لتصادمه مع مقام النبوة والوحي؟

2. مفهوم قرأ متعلق بالتدبر والدراسة والفهم والتحليل والتعلم، وبالتالي أي شيء يتعلمه النبي ويفهمه لن ينساه وسوف يبقى يفهمه ويحفظه، وهذا يقتضي حفظ النص الذي يحمل المعلومة.
3. قال تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقرءانهُ**﴾ [القيامة: 16– 17].
4. قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: 9].
5. لو لم يقرأ هذا الصحابي في تلك الليلة هذه الآية، هل تغدو الآية بحكم النسيان والضياع؟
6. الذي ينسى آية من الممكن أن ينسى آيات.
7. الذي ينسى ويتذكر، ممكن أن ينسى ولا يتذكر !

هذا كله يدل بشكل مؤكد وجازم على بطلان الحديث المذكور أعلاه والذي وضعه إنما يقصد به التشكيك في صحة القرءان وحفظه، فالنبي لا ينسى أو يخطئ في عملية تبليغ وحفظ مادة الوحي ؛ لأن ذلك قوام النبوة ومفهوم العصمة.

3 . عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – يَقُصُّ يَقُولُ في قَصَصِهِ: مَنْ أَدْرَكَهُ الفَجْرُ جُنُبًا فَلاَ يَصُمْ. فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الحَارِثِ – لأَبِيهِ – فَأَنْكَرَ ذَلِكَ. فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَانْطَلَقْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ – رضي الله عنهما – فَسَأَلَهُمَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ ذَلِكَ – قَالَ –: فَكِلْتَاهُمَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وآله– يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ ثُمَّ يَصُومُ – قَالَ –: فَانْطَلَقْنَا حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى مَرْوَانَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ. فَقَالَ مَرْوَانُ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلاَّ مَا ذَهَبْتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَرَدَدْتَ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ، – قَالَ –: فَجِئْنَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَبُو بَكْرٍ حَاضِرُ ذَلِكَ كُلِّهِ – قَالَ –: فَذَكَرَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَهُمَا قَالَتَاهُ

لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: هُمَا أَعْلَمُ. ثُمَّ رَدَّ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا كَانَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ إِلَى الفَضْلِ بْنِ العَبَّاسِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنَ الفَضْلِ وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وآله–. قَالَ: فَرَجَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَمَّا كَانَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ. قُلْتُ لِعَبْدِ المَلِكِي: أَقَالَتَا فِي رَمَضَانَ قَالَ: كَذَلِكَ كَانَ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ ثُمَّ يَصُومُ. م 2645.

الملاحظ من خلال تحليل الحديث ما يلي:

1. إيهام أبي هريرة الناسَ بأن الحديث سمعه من النبي وذلك بعدم تصريحه بالقائل، وهذه الأمور هي من الأحكام الشرعية التي ما ينبغي القول فيها إلا عن نص كونها أمورًا توقيفية لا تدرك بالعقل، فقول أبي هريرة ذلك الحكم، خاصة أنه عاصر النبي يوهم السامع أنه حكم شرعي سمعه من النبي.

كذلك نرى أن في رواية أخرى قال: إن النبي قاله وليس هو: **أنبأ محمد بن منصور قال: حدثنا سفيان عن عمرو عن يحيى بن جعدة قال: سمعت عبد الله بن عمرو القارئ قال: سمعت أبا هريرة يقول: لا ورب هذا البيت ما أنا قلت: من أدركه الصبح وهو جنب فلا يصم، محمد ورب الكعبة قاله. سنن النسائي الكبرى.**

واضطرب أبو هريرة في إسناد الحديث ممن سمعه (فِي رِوَايَة النَّسَائِيِّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَة: «أَخْبَرَنِيهِ أُسَامَة بْن زَيْد» وَفِي رِوَايَة «أَخْبَرَنِيهِ فُلَان وَفُلَان»).

2. إن هذا الحكم هو تكليف بما لا يستطاع، لأن الجنابة ليست هي بيد الإنسان فكيف يؤمر بصيام رمضان وبالوقت نفسه يأتي هذ الحكم المتعسف الخالي من المنطق؟

3. لا علاقة للصيام بموضوع الجنابة فإنه من المعلوم أن الصيام يكون بالامتناع عن الطعام والشراب والجماع ليس إلا.

4. هذا الأمر لو كان صحيحًا كما رواه أبو هريرة لوجب أن يعرفه الناس كلهم؛ لأنه من الأمور الضرورية لعبادتهم وهو شيء متعلق بكل فرد بعينه، بينما

نلاحظ أن أغلب الناس لا يعرفونه، ولا يعرفه إلا أبو هريرة الذي تأخر عن إسلامه! فهذا الحكم خفي على كبار الصحابة، بل وجمهورهم والتابعين، ولا ندري كيف كانوا يصومون قبل رواية أبي هريرة لهذا الحكم في زمن مروان ابن الحكم؟

5. عندما سمع الناس هذا الحكم من أبي هريرة استنكروه في أنفسهم ورفضوه لمخالفته للمعقول والفطرة، ومع ذلك أرادوا التأكد منه لحرصهم على أمور دينهم فتوجهوا بالسؤال إلى أمهات المؤمنين زوجات النبي، فهنَّ لا شك أعلم الناس بتلك المسائل، فأجبنهم بما هو معلوم بالضرورة من الدِّين عند الناس جميعًا فقلن: [كان النبي يصبح جنبًا من غير حلم ثم يصوم] أي: يصبح جنبًا من عملية الجماع وهو عمل مقصود ويصوم، فما بالكم لو أصبح جنبًا من حلم وهو نائم، فهذا من باب أولى !

6. عندما سمع الناس هذا الحكم من أمهات المؤمنين أرادوا أن يتحققوا من صدق عدالة أبي هريرة فطالبوه بالدليل بعد أن أعلموه أن الرسول لم يقل ذلك بدليل فعله مع أمهات المؤمنين زوجاته.

فلما شعر أبو هريرة بأن الحلقة قد ضاقت وليس هناك أي مفر أسعفته ذاكرته بطريقة للخلاص فاعترف بعدم سماع هذا الحكم مباشرة من النبي وحتى يتنصل من المسؤولية ويرميها على غيره ادعى أنه سمع هذا الحكم من رجل غيره وحتى يقطع عملية التثبت من صدقه اختار رجلًا ميتًا!

الخلاصة:

إن هذا الحديث له احتمالان:

الأول: الحكم على الحديث بالبطلان والوضع، وبالتالي فأبو هريرة بريء من تهمة الكذب.

الثاني: إذا كان الحديث صحيحًا فيجب إعادة النظر في عدالة أبي هريرة والحذر من رواياته كلها ولا يلتفت إلى أي تبرير يحاول أن يرفع تهمة الكذب عن أبي هريرة وبالوقت نفسه يثبت صحة الحديث، فهذا جمع بين المتناقضات نحو قولهم في الشرح: إن هذا الحكم لعله كان سابقًا ثم انتسخ ولم يدر أبو هريرة بالنسخ، وإنما وصل إليه الحكم المنسوخ فهذا قول متهافت ؛ لأن أبا هريرة قد تأخر إسلامه فهو لم يعاصر النبي سوى سنة ونيف، ولعل أقل من ذلك، هذا جانب، أما الآخر، فهو أن هذا الحكم الذي قالوا بنسخه لم يروه إلا أبو هريرة، والمفروض أن يكون معلومًا بالضرورة عند الجميع، والجانب الآخر أيضًا، هو أن الحكم الذي قالوا عنه: إنه ناسخ هو معلوم بالضرورة عند الناس جميعًا وقطعًا أبو هريرة يعلم بذلك وهو من يتتبع الأحاديث؟

والناس الذين ذهبوا إلى زوجات النبي ليسألوهنَّ لم يكن الدافع هو العلم بالأمر؛ لأن علمهم به موجود سابقًا بالضرورة، ولكنهم ذهبوا ليضربوا النقل الذي أتى به أبو هريرة بالنقل الأوثق منه ويضعوا على أبي هريرة نقطة ويعلموه بأنهم كاشفو تقوُّلِه على النبي، لذلك حاصروه بالرواية وطلبوا منه أن يسند الرواية، فأفلت منهم عندما عزاها إلى ميت، وبالتالي لم يستطيعوا أن يثبتوا كذبه، والفضل بن العباس **قتل يوم اليمامة سنة خمس عشرة، ولا خلاف بين اثنين أن اليمامة كانت أيام أبي بكر سنة إحدى أو اثنتي عشرة، وقال ابن سعد: مات بناحية الأردن في خلافة عمر والأول هو المعتمد وبمقتضاه جزم البخاري، فقال: مات في خلافة أبي بكر.** الإصابة في تمييز الصحابة.

4 . عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ القرءان عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ. ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ فَتُوُفِّي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله- وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ القرءان. م 3670.

فالذي يقرأ هذا الحديث ويسمع به يظن أن هذه الآية الأخيرة موجودة في المصحف الذي بين أيدينا فيسارع ليبحث عنها فيصاب بالإحباط والذهول لعدم

وجودها، فأين ذهبت هذه الآية التي كانت تتلى في زمن النبي واستمرت إلى وفاته، من أسقطها من القرءان؟ من الذي تجرأ وتلاعب بكتاب الله؟

ولا شك أن الأمرين كليهما باطل فلم يسقط أحد شيئًا من القرءان، ولم ولن يتلاعب به أحد إلى يوم الدِّين، فالقرءان محفوظ بحفظ الله عز وجل له، وذلك معلوم بالضرورة، وقد ثبت تواتر آيات القرءان كلها، كما نزلت على النبي الأعظم، فهذا الحديث وضع للتشكيك في صحة القرءان وعدم حفظه، وبالتالي فالحديث باطل لتصادمه مع ما هو معلوم بالضرورة عند الناس.

إن هذا النص ليس هو آية من القرءان ولم يكن كذلك أبدًا فلا يعتد به ولا يعتبر ولا يصح نقاشه من منطلق قرءاني !

فكيف يُنسَخ الحكم الأول بحكم آخر ولا وجود لكليهما في القرءان؟ لا الحكم المنسوخ ولا الحكم الناسخ ! ومع ذلك يأتي هذا الحديث ليخبر عن وجود الحكم الناسخ في القرءان إلى ما بعد وفاة الرسول وهو يتلى مثله مثل أية آية في القرءان، والمصحف الذي بين أيدينا خال بشكل تام منه !

5 . عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: جَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ إِلَى النَّبِيِّ – صلى الله عليه وآله– فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ – وَهُوَ حَلِيفُهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وآله–: «أَرْضِعِيهِ ». قَالَتْ: وَكَيْفَ أُرْضِعُهُ وَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وآله– وَقَالَ: « قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ». م 3673.

إن من المعلوم بالضرورة عند علماء المسلمين أن الرضاعة المعتد بها إلى حدها الأعلى الذي حدده الله عز وجل في القرءان هو حولين كاملين فقط. قال تعالى: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾ [البقرة: 233].

وقد ذهب العلماء في فهم هذ االحديث مذاهب شتى فمنهم:

1. من جَمَّد هذا الحديث ولم يأخذ به.
2. ومنهم من عدّه حالة خاصة لأبي حذيفة وزوجته.
3. ومنهم من أطلق الحد الأعلى للرضاعة إلى ما بعد البلوغ.
4. ومنهم من عدَّ ذلك للضرورة.

والصواب هو: أن الرسول الأعظم أعلم الناس بهذا الحكم القرءاني الثابت، ولا يمكن أن يخالف ما نزل عليه من الوحي مما يؤكد بطلان وكذب هذا الادِّعاء والافتراء عليه في مخالفته للحكم القرءاني.

وهذا الحديث على افتراض صحته لوجب استمرار مفعوله إلى يوم الدِّين وعموميته للناس كلهم، وذهبت النساء ترضع أخا الزوج ويصبح ابنها من الرضاعة، وبالتالي يحرم عليها وتحل مشكلة السكن ويسكنون جميعًا هي وأولادها من صلبها وأولادها من الرضاعة، وتتكشف أمامهم كما تتكشف أمام أولادها من بطنها، ويختلط الحابل بالنابل ويصبح أولاد العموم أبناء الإخوة بالرضاعة فيحرمون على بعضهم بعضًا!

ولا يفهم من كلامنا السابق أن كل حديث صحيح له حكم المطلق والاستمرارية إلى يوم الدِّين، فهذا الأمر مرتبط بطبيعة النص وعلاقته بالواقع المعني بالخطاب، فهناك النص المطلق نحو القرءان وهناك النص المقيد بحالة وظرف نحو تطبيق النبي في واقعه من خلال تفاعله مع القرءان فيبقى شكل التطبيق مرتبطًا بزمانه ومكانه، ويبقى النص القرءاني مستمرًا في عطائه.

6 . « لَوْلاَ حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ » م3723.

فهذا الحديث يثبت أن الخيانة في النساء هي شيء طبيعي، وذلك موروث غريزي من خلال الأم الأولى – حواء – والمفروض حسب الحديث أن لا تلام أية أنثى على فعل الخيانة ؛ لأن ذلك هو من طبعها الذي جبلت عليه!

والسؤال المطروح ما هي خيانة حواء؟ والجواب التقليدي أنها زينت لآدم وشجعته على الأكل من الشجرة التي نهى الله عن الأكل منها.

فعلى افتراض صحة القصة أين فعل الخيانة في الموضوع؟ إذا تمَّ الأكل من الشجرة لكليهما وآدم عندما استجاب لها، فذلك لهوى في نفسه وقد انقاد للفعل بإرادته دون إجبار أو إكراه فهو المسؤول الأول والأخير ولا علاقة لها بذلك أبدًا، خاصة أن النتيجة كانت لهما معًا وهو الإخراج من الجنة وهذه القصة من اليهوديات، ولنقرأ القصة كما رواها القرءان:

قال تعالى: **﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾** [البقرة: 35-36].

ففي القرءان نرى أن الذي قام بفعل التزيين والزل لآدم وزوجه على حد سواء إنما هو الشيطان ولا علاقة لزوج آدم بذلك أبدًا وهذا واضح وصريح في النص القرءاني، فضلًا عن أن اسم حواء لم يأت في القرءان أبدًا وإنما هو كما قلنا من اليهوديات التي صدرها كعب الأحبار واستقبلها مجموعة من الصحابة على رأسهم ابن عباس وعبد الله بن عمر وغيرهم.

فلذا؛ لا يلتفت إلى أي حديث يتناول بدء الخلق ؛ لأنه قطعًا من اليهوديات والضابط لهذا والذي يجب أن يكون المعتمد هو القرءان، والقرءان وحسب ويفهم من خلال إسقاط النص على محل الخطاب من الواقع.

وأخيرًا؛ إن هذا الحديث المعني بالنقاش باطل وكذب وافتراء وتحامل واضح على جنس النساء ويبدو أن الذي وضع الحديث خانته زوجته فانتقم من جنسها كله بترويج هذا الحديث بين الناس!

7 . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وآله – قَالَ: « **الْمُتَبَايِعَانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْخِيَارِ عَلَى صَاحِبِهِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، إِلاَّ بَيْعَ الخِيَارِ** » خ 2111/ م 3935.

فهذا الحديث ينص على أن عقد البيع بين الطرفين لا يتوثق ويأخذ مجراه إلا بعملية الافتراق بين البائع والشاري عن المكان الذي تم فيه العقد، فإذا بقيا في المكان ذاته سواء في مكتب أم فندق أم طائرة أم سفينة أم سجن أم مشفى أم منتزه ومهما طالت المدة فإن الطرفين يملكان حق النكوص بالعقد وإبطال مضمونه!

فالسؤال المطروح: كيف نستطيع أن نطبق هذا الحديث؟

وإذا طبقناه في الواقع ألا يصير الموضوع مهزلة وعبثًا بين الناس في عملية البيع والشراء، فلنتصور البائع والشاري ذهبا إلى الشهر العقاري، وتم تسجيل عقد بيع بيتٍ مثلًا، وهناك وهما واقفان، هل يستطيع ويصح أن ينكص البائع أو الشاري بعملية البيع بعد التسجيل؟ وهل يرد عليه أحد بحجة أنه لم يفترقا بعد عن مكان البيع؟

فالملاحظ أن هذا الحديث باطل في الواقع، ولا يمكن أن يصدر من مشكاة النبوة، والأقرب في وضعه أنه صدر من رجل تورط في عملية بيع أو شراء وأراد أن ينكص في عقده، فاخترع هذا الحديث ليبرر نكوصه في عملية البيع ويعطيها مصداقية شرعية ويجبر الطرف الآخر على الرضا بذلك.

8 . « **إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ** » خ 1287/ م 2181.

وسنكتفي بالتعليق على هذا الحديث بتعليق السيدة أم المؤمنين زوجة النبي عائشة رضي الله عنها ؛ إذ قالت: لا والله ما حدّث رسول الله ذلك. ولكن قال: إن الله يزيد الكافر عذابًا ببكاء أهله. وقالت: حسبكم القرءان: ولا تزر وازرة وزر أخرى.

وقال ابن عباس عند ذلك: والله أضحك وأبكى.

وقالت عائشة: يغفر الله لأبي عبد الرحمن – عبد الله بن عمر – أما إنه لم يكذب، ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مرَّ رسول الله على يهودية يُبكى عليها. فقال: إنهم ليبكون عليها. وإنما لتعذب في قبرها.

9. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وآله–: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ». قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلاَ أَنَا، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ» م 7289/ خ 6463.

وهذا الحديث يبدو عليه أنه من وضع الزهاد العابدين الذين يمنعون الناس من العمل في الدنيا فعلقوا الأمر برحمة الله فقط وسلبوا من العمل قيمته، وهذا الحديث متصادم بشكل صريح مع عشرات النصوص القرءانية التي تجعل العمل الصالح هو سبب دخول الجنة، نحو قوله تعالى:

1. **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** [الزلزلة: 7- 8].
2. **﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [النحل: 32].
3. **﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [الأعراف: 43].
4. **﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ المَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [السجدة: 19].

رغم أن دخول المؤمنين للجنة هو بعملهم أولًا وبرحمة الله ثانيًا، ولذلك لم يصف

الله حسابه للناس يوم القيامة بالعدل وإنما نفى الظلم عن فعله ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [فصلت46]، وهذا فوق العدل وهو الرحمة.

10 . عَنْ حُذَيْفَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ - صلى الله عليه وآله - خُطْبَةً، مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ ذَكَرَهُ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، إِنْ كُنْتُ لأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ، فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَآهُ فَعَرَفَهُ. خ 6604.

وهذا الحديث كذبه واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، فكيف يعلم رسول الله ما هو كائن إلى يوم القيامة والله عز وجل قد أمره أن يقول للناس:

﴿**قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾ [الأحقاف: 9].

﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف: 188]، فالرسول لا يدري ما سوف يحدث له وما سوف يحدث للناس فكيف يعلم ما هو كائن إلى يوم القيامة؟

ومن المعلوم أن علم الغيب بشكل مطلق قد انفرد به الله عز وجل فلا يعلم الغيب إلا الله عز وجل، قال تعالى:

1. ﴿**عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [المؤمنون: 92].
2. ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾ [النمل: 65].

11 . كَانَ رِجَالٌ مِنَ الأَعْرَابِ جُفَاةً يَأْتُونَ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وآله – فَيَسْأَلُونَهُ مَتَى السَّاعَةُ، فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ فَيَقُولُ: « إِنْ يَعِشْ هَذَا لاَ يُدْرِكْهُ الهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ » م 7598/ خ 6511. أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة باب قرب الساعة.

فالملاحظ من الحديث أن الجواب قد حدد قيام الساعة خلال فترة زمنية لا تتجاوز أن يبلغ الغلام سن الهرم، أي: ما يقارب ستين عامًا! وقد مضى على قول الحديث ألف وأربعمئة عام ولم تقم الساعة! فهناك احتمالان:

أ. أن الغلام لم يبلغ إلى الآن سن الهرم!

ب. أو أن الساعة قامت ولم ندر نحن، ونكون قد نفدنا من الحساب! ومن المعلوم بالضرورة أن علم الساعة قد اختص الله به لنفسه، فلم يخبر به أحدًا، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾ [لقمان: 34].

وقد علَّم الله رسوله الجواب فقال له: عندما يسألك أحد عن وقت قيام الساعة فقل: ﴿**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ**﴾ [الأحزاب: 63].

مما يؤكد أن هذا الحديث وأي حديث يتعلق بتحديد علم الساعة فهو باطل وكذب وافتراء على الله ورسوله، والتبرير الذي ذكره أحد الرواة أن كلمة (ساعتكم) متعلقة بأجل السائلين وليس بوقت الساعة، فهذا القول مردود منطقيًّا ؛ لأن صيغة السؤال عن الساعة ولم يسألوا عن انتهاء عمرهم، فإن كان الجواب كما يقول أحد الرواة فهذا خداع للسائل وتدليس عليه، ولماذا أخرجه مسلم في قرب الساعة.

12 . عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وآله–: « يَقْطَعُ الصَّلاَةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ وَيَقِي ذَلِكَ مِثْلُ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ » م **1167** / خ**514**.

أولًا: إن الحديث من رواية أبي هريرة وهو معروف بتحامله على النساء، وهذا واضح من روايته.

ثانيًا: إن هذا الحديث اعترضت عليه بشدة واستنكار السيدة عائشة زوجة النبي بقولها: لقد سويتمونا مع الحمير والكلاب!

ثالثًا: إنه مخالف للحديث الصحيح: **لاَ يَقْطَعُ الصَّلاَةَ شيء وَادْرَؤُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ** » سنن أبي داود.

رابعًا: إذا سلمنا لهم جدلًا أن الحمار والكلب يقطعان الصلاة وذلك بسبب الخوف منهما حين السجود؛ لأنهما من الحيوانات التي تعيش وتخالط الناس في حياتهم المعيشية وسكنهم حينئذ مما يحتمل الأذى منهما حين أداء الصلاة فسمح الشارع بقطع الصلاة. ولكن فما بال المرأة أقحمت بينهما؟

13 . قَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وآله –: « لاَ حَسَدَ إِلاَّ في اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ، فَهْوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» م 1930 / خ 73.

المعروف أن الحسد كله مذموم وهو صفة قبيحة، ولا يستخدم إلا في هذا المعنى، انظر القاموس المحيط:

حسده: تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته، أو يسلبهما.

فالحسد يتمنى أن ينتقل الخير والنعمة الموجودة بالمحسود إليه، وإذا لم تنتقل فلتسلب من صاحب النعمة على أقل احتمال.

والقرءان استخدمها بهذا المعنى، فقال جل شأنه: ﴿**وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ [الفلق: 5].

﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ [النساء: 54].

وجملة [لا حسد إلا في اثنتين] إدانة حقيقية صريحة للحسد ونفي له، أما استثناء

الحالتين منه فلم ينف عنهما فعل الحسد وإنما يبقى الحسد ملازمًا لهما، ولا مبرر إلى تأويل الحسد إلى معنى آخر لا علاقة له بالحسد نحو قولهم: تمني الخير والنعمة الموجودة عند فلان مع الدعاء له بالبركة والاستمرار، فهذا لا يُسَمَّى حسدًا وإنما هو غبطة وتمني وشتان ما بين المعنيين!.

فالحسد كله شر، والحاسد رجل قصد السوء بصاحب النعمة وقديمًا قالوا: كل ذي صاحب نعمة محسود، أي: له أعداء يضمرون له شرًّا عاجلًا أو آجلًا ولا يوفرون فرصة للإيقاع به والإساءة له، لذلك أمرنا الله عز وجل أن نستعيذ به من شر حاسد إذا حسد، أي: من حاسد إذا تحول ما نفسه إلى سلوك في الواقع يتربص به صاحب النعمة، فلذا لا يصح هذ االحديث المذكور وهو باطل في متنه.

14 . قال رسول الله: «**لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ وَلاَ تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ**». **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ**: «**أَنْ تَسْكُتَ**» م 3538/ خ 5136.

الإذن هو الإعلام ومنه الأذان للصلاة.

ويكون أيضًا بمعنى الرضا وذلك بعد العلم بالشيء.

قال تعالى: ﴿**عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ**﴾ [التوبة: 43].

﴿**لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا**﴾ [النبأ: 38].

فعندما نقول: استأذن فلان الدخول بمعنى قام بفعل الإعلام وينتظر الموافقة، وهذا ما نفعله في الحياة المعيشية إذا أراد أحد الدخول إلى الأماكن الخاصة، فإننا لا نكتفي بالإعلام فقط، بل لا بُدَّ أن نحصل على الموافقة وإذا لم نحصل على الموافقة لا ندخل، ولا نعد إعلامنا بمثابة إذن لنا في الدخول، فالسكوت ليس علامة الموافقة، بل لا بُدَّ من الحصول على الموافقة بشكل صريح حتى نقول: إنه أُذِنَ لنا في الدخول وإلا فلا.

فمن هذا الوجه الحديث باطل غير متماسك منطقيًّا ؛ لأن سؤال الصحابة كيف إذنها؟ مستغرب لأن الإذن معروف وليس بحاجة للسؤال سواء أكان بمعنى الإعلام فقط وقطعًا ليس هو المقصود، أم بمعنى أخذ موافقتها على الزواج؟ فأيضًا هي حالة معلومة وتحصيل حاصل.

ولا معنى ولا مبرر أن يسألوا: كيف إذنها؟ أي: كيف نأخذ موافقتها؟ فهذا سؤال غير مطروح وذلك لأنه من المعلوم بالضرورة بين الناس في الحياة الاجتماعية فعندما سألوا وتمت الإجابة عنه بأن الإذن هو السكوت ظهر بطلان النص ؛ لأن السؤال باطل في نفسه لما تقرر آنفًا، والجواب أبطل منه، لأن الإذن ليس هو السكوت وإنما الموافقة والرضا، مما يدل على أن الذي وضع الحديث يريد أن يزوج ابنته البكر غصبًا عنها وقد قام بتهديدها إن رفضت فاضطرت أن تسكت خوفًا وهلعًا وبرر سكوتها وأعطاه مصداقية شرعية فعدّه إذنًا ينص على الموافقة والرضا من خلال اختراع هذا الحديث.

15 . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: « يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لاَ يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ وَلاَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ في جُثْمَانِ إِنْسٍ ». قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: « تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ » م 4891.

فالحديث ينص على أن الأئمة المعنيين بالنص لا يهتدون بهدي النبي، وهدي النبي هو هدي الله، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى**﴾ [البقرة: 120]، ولا يستنون بسنة رسول الله، وسنة الرسول هي التطبيق العملي للهدى – القرءان – إذن هؤلاء الأئمة خارجون عن هدى الله وسنة النبي، فهم لا شك من المغضوب عليهم وهم جاحدون وظالمون.

وهؤلاء الأئمة سوف يستخدمون في تذليل الناس، رجال لهم قلوب الشياطين

وهذا شيء طبيعي فالمستبد الكبير الظالم لا يستخدم إلا مستبدًا مثله ويشترط به أن يكون من سفلة الناس ليضمن ولاءه له وحقده على الناس.

فهؤلاء هم الأئمة والولاة المذكورون بالحديث، والسؤال ماذا نفعل مع أمثال هؤلاء من المجرمين؟ الجواب: اسمع وأطع، بل أكثر من ذلك فإن عليك الطاعة لهم بأية حال، ومهما فعلوا معك نحو أخذ مالك، وجلد ظهرك!

وما ذكره الحديث من الضرب ومصادرة الأموال ليس هو للحصر وإنما هو للتغليب أن الزبانية لا يريدون من الإنسان سوى ماله وطاعته وخضوعه لهم، ولك أن تتصور أفعالًا أخرى يحتملها الحديث ويدل عليها من باب الاستمرار في دلالته، نحو: الحاكم إذا دخل بيتك واغتصب زوجتك وبناتك أمام ناظريك وعمل الفاحشة بأولادك وحرق بيتك بما فيه من أثاث وأخرجك إلى العراء حافيًا عاريًا وجلد ظهرك وعفَّر وجهك في التراب ومرَّغ أنفك في الوحل وجاء برجل غليظ فأمره بفعل الفاحشة أمام الجميع! فالحديث يقول لك: اسمع وأطع.

ونحن نستغرب كيف سكت العلماء عن هذا الحديث؟ وكيف أولوه بقولهم: إن فعل ذلك هو خشية الفتنة! وهل هناك فتنة أكثر من ذلك ؟ وهل هناك مصيبة أكبر من أن يستبد الحاكم بالحكم ويستأثر بالأموال والخيرات وينتهك الأعراض ويهدر الكرامة ويقيد الحريات؟.

ومع ذلك فالحديث يأمر هذا الإنسان المجلود الظهر المسلوب المال الذي ليس له من الأمر شيء، بل لم يبق له شيء، أن يسمع ويطيع ما دام فيه نفس يدخل ويخرج، فهذا الحديث وأمثاله التي تنص على السمع والطاعة للحاكم والزبانية المجرمين كذب وافتراء، وهي باطلة؛ لأنها تتصادم بشكل واضح وصريح مع الحرية والعدل والكرامة والأمان التي ما جاء القرءان إلا لتقريرها والحفاظ عليها ومحاربة الظلم والاستبداد والاستعباد.

وهذا ما فعله النبي الأعظم في سيرته العطرة التي كانت ثورة ضد الطغيان والاستبداد والظلم فكانت أكبر ثورة قامت بتحرير الإنسان من العبودية والاستبداد بألوانه العقائدية والاجتماعية والاقتصادية.. إلى عبادة الله الأحد الصمد فكان شعار التحرير الذي رفعه في وجه المجرمين الظالمين هو: لا إله إلا الله.

16 . قَدْ أَغَارَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وآله– عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُّونَ وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى الْمَاءِ فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ وَسَبَى سَبْيَهُمْ وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ – قَالَ يَحْيَى: أَحْسِبُهُ قَالَ: جُوَيْرِيَةَ. م 4616/ خ 2541.

هذا الحديث يثبت أن الرسول قد أغار على قوم غدرًا وهم آمنون بأرضهم يمارسون عملهم من زراعة وسقاية للمواشي فقتل الرجال الذين يستطيعون القتال، وسبى النساء، وصادر الأملاك. السؤال المطروح: هل عمل النبي الأعظم هو الدعوة إلى الله وهداية الناس ومحاربة الظلم والاستبداد، أم عمله هو قاطع طريق وهمه الأموال والنساء؟

لا شك أن النبي الأعظم هو رجل دعوة وعلم وحرية، فلقد بعثه الله وأرسله رحمة للناس ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: 107]. فالغدر يتنافى مع تعاليم القرءان ويتنافى مع الهدف والغاية من الرسالة الأهلية ويتنافى مع أخلاق النبوة، مما يؤكد بطلان هذا الحديث متنًا.

17 . سُئل النبي عن العزل فقال: أو إنكم تفعلون ذلك؟ لا عليكم أن لا تفعلوا ذلكم فإنها ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هي خارجة. خ 2116.

الحديث يدل على أن الإنسان سواء قام بفعل العزل في الجماع أم لم يقم به فالنتيجة واحدة؟ لأن الله عز وجل قد كتب كل نفس أراد خلقها، وبالتالي فهي كائنة لا محالة. ولا بُدَّ من طرح إشكاليات ليتم تقريب بطلان الحديث، مع الأخذ بعين الاعتبار أن العزل هو أحد وسائل منع الحمل حينئذ وليس هو للحصر.

1. إذا قام الرجل بالعزل بشكل دائم فمن أين يأتي الولد؟
2. إذا قامت المرأة بمانع للحمل بشكل دائم فمن أين يأتي الولد؟
3. إذا قامت المرأة بربط الرحم أو استئصاله فمن أين يأتي الولد؟

إذا لم يتزوج الرجل أو المرأة أصلًا فمن أين يأتي الولد؟

ذلك كله وغيره يؤكد أن العزل يؤثر بشكل مباشر على عدم الإنجاب، وليس هو وعدم العزل سواء في الحكم من حيث الواقع المشاهد ؛ مما يدل على بطلان الحديث متنًا ؛ لأن النبي أعلم من أن يتكلم بهذا الكلام المغالط والمخالف للحقيقة.

18 . كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ [البقرة: 223] خ 4254 .

إن حكم إتيان المرأة في قبلها بأي وضع كان هو أمر معلوم بالضرورة للناس، والمشرع قد تضمن هذا المعنى عندما حصر عملية النكاح أن لا تكون إلا في القبل، وذلك بقوله تعالى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** [البقرة: 222] .

فكل إنسان يفهم أن له الحرية بأن يختار الشكل والوضع الذي يريد بشرط أن يكون النكاح في القبل حصرًا، ولا حاجة لنزول أية آية وراء الآية التي تضمنت هذا الحق ؛ لأن ذلك يُعَدُّ تكرارًا وعبثًا والقرءان منزه عنه ؛مما يدل على أن الحديث باطل في متنه والآية المعنية بالنقاش لا علاقة لها بموضوع النكاح،وإنما هي تنص على موضوع آخر وهو ما سنعرفه من خلال تتمة الآية نفسها. **﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [البقرة: 223].

نلاحظ في النص ثلاثة أفعال متلازمة مع بعضها وهي: [فأتوا، قدموا، اتقوا].

فكيف نأتي حرثنا ونقدم لأنفسنا ونتقي الله؟

فالملاحظ أن النكاح لا علاقة له بالنص أبدًا، وإنما يتكلم النص عن إتيان الحرث وعدَّ ذلك تقديمًا للنفس وطلب من الإنسان أن يتقي الله ربه ويعلم أنه سوف يلاقيه وسوف يجزي كل واحد كما قدم لنفسه.

فمفتاح فهم النص هو كلمة [نساؤكم] ولما أن النكاح ليس هو المقصود في النص ولا علاقة للنص بموضوع الإناث ؛ مما يؤكد أن كلمة النساء هنا لم تأت بجمع كلمة [امرأة] وإنما أتت بجمع كلمة [نسيء] التي تدل على التأخر والتقدم أو أحدهما فقط.

وفي النص أتت كلمة [نساؤكم] بمعنى المتأخرين منكم الذين لا يستطيعون ضربًا في الحياة الدنيا ابتداءً من آبائكم وأمهاتكم وزوجاتكم وأولادكم وأقاربكم ومعارفكم إلى باقي أفراد المجتمع فهم حرث لكم فائتوهم بالصلة والمساعدة على نوائب ومصاعب الحياة بالشكل الذي تريدون، فهؤلاء هم المكان الخصب للعمل الصالح.

وبالتالي هم مكان الحرث الذي تقدمونه لأنفسكم يوم القيامة وهذا العمل الذي يوفى تجنونه من عملية إتيان الحرث، وأخيرًا اتقوا الله واخشوه وآتوا حرثكم وصلوا نساءكم من المجتمع واعلموا أنكم ملاقوا الله وسوف يجازيكم على عملكم الصالح بأحسن الجزاء.

19 . قال رسول الله وهو على فراش الموت: «ائتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدًا». فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما له أهجر؟. خ 2997

الملاحظ من الحديث أن رسول الله قد أمر الصحابة بجلب الكتف ليكتب لهم كتابًا لن يضلوا بعده أبدًا، فلم يفعلوا وقال بعضهم معللًا رفضه للأمر النبوي بأن

النبي في حالة الهجر، ولنا على هذا النص تساؤلات إشكالية:

1. لماذا لم يكرر النبي طلبه ويصر عليه إذا كان الأمر على هذه الدرجة من الخطورة؛ إذ في تركه الوقوع في الضلال!

2. لو كان الأمر من الدِّين والوحي الإلهي وعلى فرض صحة الحديث ما كان ينبغي للنبي أن لا يكتب ذلك الكتاب، لأن ذلك خيانة للوحي وعدم تبليغ الرسالة والأوامر الإلهية؛ مما يدل على أن الأمر المطلوب كتابته ليس من الوحي، وإنما هو من أمور السياسة والحكم ذلك كله على فرض صحة الرواية.

3. كون الكتاب لم يكتب فيلزم حسب الحديث أن الصحابة قد ضلوا بعده.

4. كيف يصف الصحابة النبي الأعظم بالهجر التي تعني الهذيان؟ أليس ذلك منافيًا لمقام النبوة والعصمة؟ فالنبي لا يصاب بأي مرض في عقله مهما صغر ذلك المرض؛ لأنه معصوم عن ذلك ضرورة لحفظ الوحي.

إن ذلك كله وغيره يؤكد بطلان متن الحديث وإن الذي وضعه يقصد به مقصدًا سياسيًّا.

20 . قال رسول الله وجنازة سعد بن معاذٍ بين أيديهم: «اهتز لها عرش الرحمن» خ/م

عندما نقول: اهتز عرش فلان لموت فلان فيعني أنه أصاب ملكه الضعف والتصدع وخسر موت فلان سندًا وقوة عظيمة.

وقطعًا ليس المراد بهذا الحديث ذلك، فما المراد بالحديث إذن؟ هل اهتز طربًا وفرحًا بموت سعد وأنه قادم إليه لملاقاته؟ ونحن لم نعلم فيما بين أيدينا من القرءان أن العرش هو محل لعروج نفوس المؤمنين، ونحن نعلم أن العرش لا شعور له ولا

يعقل، وذلك كله على افتراض أن العرش هو مكاني أي سرير كبير! فمن هو سعد بن معاذ حتى يهتز له عرش الرحمن إذا سلمنا جدلًا بذلك، ولو مات النبي محمد ماذا يحصل للعرش هل يتحطم؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

21 . «إِنَّ الغُلاَمَ الَّذِي قَتَلَهُ الخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا وَلَوْ عَاشَ لأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا» م، ح8 / 2661.

كيف يطبع المرء كافرًا قبل ولادته وبعد ذلك يحاسب على كفره، وهو لا علاقة له بالأمر؟ فالكفر هو شيء خارج عن إرادته، لقد طبعه الله على ذلك. وإذا كان الإنسان بهذا الشكل فالمفروض أن يسقط التكليف والحساب والمسؤولية عنه؛ لأن الإجبار على الشيء يرفع المسؤولية وينفي التكليف هذا ما يقتضيه العقل والمنطق.

وهذا ما نتعامل معه في الواقع المشاهد، ولكن الملاحظ أن الله عز وجل قد كلف الإنسان وحمّله المسؤولية وجعل له إرادة حرة يفعل بها ما يشاء ويترك ما يشاء؛ مما يدل على بطلان الطبع والكتابة للكفر أو الإيمان قبل أن يختار الإنسان أحدهما، هذا ما يقتضيه عدل الله وحكمته ورحمته،وهذا ما قرره القرءان بعشرات النصوص.

أما قتل الغلام فلقد تم من قبل العبد الصالح ليس؛ لأنه كافر الآن، أي: حين حصول القصة، وإنما سوف يصبح كافرًا في المستقبل وذلك من خلال التأثر بالمجتمع الذي يعيشه، والإنسان ابن بيئته، هذا ما علمه الله عز وجل من حال الغلام، ولكن قطعًا لن يحاسب ككافر؛ لأنه لم يكفر بعد.

وهذا العلم الإلهي اسمه علم استقرائي مرتبط بالواقع المشاهد، وهذا النص هو من القصص التي لا يبنى عليها أحكام أو يستنبط منها مفهوم إيماني، وهذا أمر خاص بالله الحكيم، أو أن النص له تدبر آخر لم نصل له بعد.

22 . عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم–:

«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ: هَذَا فَكَاكُكَ مِنَ النَّارِ ». م، ح9 / 2767.

إن الحديث يكرس مقولة اليهود والنصارى نفسها، وبذلك نكون قد وقعنا بما وقعوا به؛ إذ قالوا: ﴿**لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: 111].

وكذلك قال الشيعة وأهل السنة: لن يدخل الجنة إلا من آمن بملتنا ودخل في شرعنا وكأنهم عندما يقرؤون لا يفهمون، فالنص السابق الذكر يحذر المسلمين من أن يقعوا بما وقع به أهل الكتاب عندما احتكروا الجنة لهم ونصبوا أنفسهم بوابين عليها يدخلون من يشاؤون ويمنعون من يشاءون فذمَّهم الله على ذلك الفعل ووبخهم وأعلمهم أن الجنة هي لله عز وجل، فهو صاحب القرار ولا شريك معه بذلك، فقال تعالى:

﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة: 112].

وقال أيضًا: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة: 62].

فالمقياس لدخول الجنة ليس هو الأسماء والصفات وإنما هو: الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، فمن يتحقق به ذلك فالجنة مأواه قطعًا لا شك بذلك أبدًا. ولن يكون أحد فكاك الآخر من النار ؛لأن الحساب الإلهي قائم على الحكمة والرحمة وليس العدل.

﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ [فاطر: 18].

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 156].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: 30].

لذا؛ فالحديث المذكور آنفًا باطل وذلك لتصادمه مع ما ذكرنا من الحقائق الثابتة.

23 . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ ». م، ح / 2956.

هذا الحديث وأمثاله التي تذم الدنيا وتجعلها شقاء وتعبًا وعذابًا وأغلالًا وسجونًا كلها باطلة فهي أحاديث وضعها الزهاد والعباد أو علماء السلطة لترسيخ الاستبداد وتبرير الاستعباد وقمع الثورة وعدم التذمر على الأوضاع السيئة، وجعل الناس المظلومين المنكوبين يصبرون على ما هم عليه ويحلمون بالحياة الجيدة السعيدة في الآخرة فيستسلمون لظروفهم وتموت عندهم روح العمل والجهاد والتضحية لتغيير ما فيهم من ذلك وخنوع وظلم وطغيان.

فالله عز وجل خلق الإنسان في الأرض ليكون خليفة فيها ويقوم بإعمارها **﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾** [البقرة: 30]، فمن يعد نفسه في السجن كيف يكون خليفة؟ وكيف يعمر الأرض؟ فهذه المفاهيم التي تبثها هذه الأحاديث الباطلة إنما هي انهزامية وخانعة وهي لمصلحة الاستبداد والاستعباد.

أما الدنيا في القرءان فهي لا شك دار ابتلاء، ولكن مطلوب من المؤمن أن يعيشها، كما يجب فيقوم بإعمارها ويسعد بها ويدخل إلى قلبه السرور وينال الثواب والمتعة قال تعالى:

1. **﴿فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** [آل عمران: 148].

2. ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 134].

3. ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 32].

4. ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 77].

فالدنيا ليست سجنًا وإنما هي مرحلة لا بُدَّ أن نعيشها كما يجب؛ إذ هي وسيلة الآخرة، فعلى قدر إعمار الدنيا والعمل بها يكون الفلاح والنجاح في الآخرة؛ لأن الدنيا مزرعة للآخرة. فمن كان ينظر إلى الدنيا نظرته إلى السجن ويتصرف حسب ذلك فهو لا شك عطال بطال عالة عاجز لا يعمل شيئًا؛ لأن الإنسان لا يتفاعل في السجن لأنه مقيد الحرية ومسلوب الإرادة، فهذا الإنسان إذا خرج من سجنه-الدنيا- إلى الآخرة ولم يجد له أي رصيد من العمل فلا يلومن إلا نفسه.

24 . عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –: « احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ. فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –: « فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى » مَرَّتَيْنِ.

م، ح8 / 2652، خ 3409.

فالنبي موسى يلوم آدم على إخراج الذرية من الجنة وسبب ذلك هو معصية آدم، فاللوم هو على المعصية التي نتج عنها الإخراج من ذلك أمر متعلق هنا لكون آدم تاب

من المعصية أو لم يتب؛ لأن ذلك أمر متعلق به وبمغفرة الله له، والذي يهمنا ما ترتب على المعصية الذي هو الإخراج من الجنة.

أما تبرير آدم فكان بالقدر واحتج أن ذلك الإخراج كان مكتوبًا عليه قبل خلقه بأربعين سنة.

والجواب النبوي هو: أن آدم حج موسى.

لا شك هنا أن احتجاج آدم بالقدر على إخراجه من الجنة يتضمن تبرير المعصية؛ لأن الإخراج نتيجة للمعصية ولا مبرر لأي تأويل ولف ودوران لجعل النص صحيحًا وأن الاحتجاج بالقدر كان على الإخراج فقط دون المعصية، أو أنه يصح الاحتجاج بالقدر على المعصية التي تاب منها الإنسان وهي في حكم الماضي ذلك كله تأويل متهافت لنص باطل.

فالنص صريح في ترسيخ فكرة أن المعاصي وما ينتج عنها إنما هو بتقدير الله عز وجل وذلك مكتوب قبل الخلق، وذلك يرسخ فكرة الإجبار والإكراه على الأعمال! ولا أدري لماذا حدد النص التقدير قبل أربعين سنة؟ فهل قبل هذه المدة المحددة لم يقدر الله الأمر بعد ولم يتخذ قرارًا بذلك؟ ومن ثم قدر عملية الإخراج ويسر المعصية لآدم لكي ينفذ قدره من خلاله، وكيف يقول آدم: إن الله خطَّ التوراة أو الألواح بيده سبحانه وتعالى؟

والله تبارك وتعالى منزه عن هذا ؛ لأنه ليس كمثله شيء.

25 . أَتَى النبيُّ النِّسَاءَ فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ، فَقَالَ: « تَصَدَّقْنَ فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ ». م1467.

26 . «رَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ » م، ح9/ 907، خ 1052.

27 . « **إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الجَنَّةِ النِّسَاءُ** ». م، ح9/ 2738.

28 . « **مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ** ». م، ح9/ 2740، خ 5096.

فهذه الأحاديث وغيرها المتعلقة بالنساء وأنهنَّ أكثر أهل النار وأكثرهنَّ عذابًا إلى غير ذلك لا شك في أنها باطلة كلها وهي من وضع رجل متحامل على النساء، وهذا واضح لكل من تمعن بالأحاديث المذكورة.

فحديث يجعلهنَّ أكثر أهل النار، وآخر يجعلهنَّ خطبًا وآخر فتنة وإذا كان الأمر كذلك فهم لا شك أقل ساكني الجنة والمفهوم من هذه النصوص هو غياب العنصر الذكوري من النار إلى الحد الأدنى، أي: هم الأقلية في النار ووجود الذكور في الجنة إلى الحد الأعلى، أي: هم الأكثرية. فالجنة للذكور، والنار للنساء.

والأحاديث تدين النساء بشدة وكان صفتي الصلاح والتقى لازمتان لجنس الذكور وهم يمثلون الطهر والطهارة، والنساء تمثلن الدنس والنجاسة مع العلم أننا لو تجردنا ونظرنا للواقع بشكل موضوعي لوجدنا أن الحياة قائمة كلها على الذكورية، فالذكر هو سيد المجتمع إن صلح صلحت الأنثى، وإن فسد فسدت فهي تبع له فهو الذي يملك مفاتيح الخير والشر، والنساء ما زلن ضعيفات تابعات للرجل ينتظرن مساعدته فهو صاحب القرار والفعل.

فلو كانت الأحاديث معكوسة، أي: كان الرجال عوضًا عن النساء في النار لكانت أقرب إلى الحقيقة ربما، ولكننا نقول: إن الأحاديث باطلة وفي كل من الرجال والنساء الصالح والطالح والجنة للجميع والنار للمجرمين ويكفي أن فرعون وهامان وقارون رجال وليسوا نساء.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ

مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: 40].

توفِّي رسول الله وكان من آخر كلامه: « **اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شيء في الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ**». خ 4787.

ولا علاقة لقصة خلق زوجة آدم من ضلعه فهذا كذب، والحديث هو لضرب مثل وتقريب فكرة إن الاعوجاج في الضلع هو من طبيعته ولو أردت تقويمه لكسرته فتعايش معه بهذا الشكل الجمالي والوظيفي.

29 . خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: «**يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار**». **فقلن**: وبم يا رسول الله؟ قال «**تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**». قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «**أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل**». قلن: بلى قال: «**فذلك من نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم**». قلن: بلى قال: «**فذلك من نقصان دينها**» خ29 -304، م ج 1 / 79.

إن هذا الحديث له موضوع الأحاديث ذاتها التي سبقت ولعلها مجزئة من بعضها بعضًا، فهذا الحديث يقرر أن أكثر أهل النار هم النساء، ولماذا؟ لأنهنَّ يكثرن اللعن ويكفرن العشير، والملاحظ من الحديث أنه تركيبة من أحد الرجال، وكان يتشاجر مع زوجه باستمرار وهي تكثر الشتم وتنكر تعب زوجها في تأمين لقمة العيش، فوضع الرجل هذا الحديث ليردعها عن فعل ذلك كي ترضى وتقنع بالحياة معه دون تذمر وشكوى وتنغيص عليه ليزيد من مصداقية الحديث جعله بشكل حوار بين النساء والنبي، ووظف الأحكام الشرعية المتعلقة بشهادة المرأة في الذمم المالية حصرًا دون غيرها، وما يترتب على الحيض والنفاس من ترك الصلاة والصيام.

وذلك كي يجعل الحكم الأول سببه قصور ونقصان في العقل، والحكم الآخر نقصان في الدِّين، ونجح بذلك نجاحًا منقطع النظير ؛ لأن ذلك ذهب وانتشر بين المسلمين انتشار النار في الهشيم ومرد ذلك هو بنية المجتمعات الإسلامية، وأصبح من الموروث الثقافي الثابت المستمر عبر الأجيال، وذلك لأن الصفة الذكرية في فهم الدِّين والحياة ما زالت قائمة إلى زمننا المعاصر.

والمدقق بهذا الحديث يجد أنه متصادم بشكل صريح مع القرءان، لأن الأصل في الإنسان بشقَّيه الذكر والأنثى أنهما واحد من حيث النظرة القرءانية، وما اختص به من أحكام متعلقة بالمرأة فذلك راجع لاختلاف الجنس بينهما من حيض ونفاس وعدَّة لاستبراء الرحم، وليس ذلك لفضل أحدهما على الآخر.

فلذا نجد باقي الأحكام الشرعية غير موجهة لجنس معين وإنما موجهة للإنسان بكونه إنسانًا ذكرًا أكان أم أنثى؟ هذا هو الأصل في الأحكام القرءانية العدل بين النوعين، والاختلاف بينهما في بعض الأحكام يرجع إلى الاختلاف في واقع الحال لكل منهما فالذكر له دور الأب، والأنثى لها دور الأم، وكلاهما والدان يجب برهما واحترامهما.

فجعل الشهادة في الذمم المالية لامرأتين عوضًا عن رجل ليس ذلك عائدًا لقصور ونقصان عقل المرأة أبدًا، والآية لم تذكر ذلك، بل صرحت بالسبب إلى أنه إذا ضلت إحداهما فتذكرها الأخرى. قال تعالى: ﴿**فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى**﴾ [البقرة: 282]. وكلمة ضل غير كلمة تنسى أو تضيع أو تكفر.

وذلك خاص في معاملة الدَّين كما ذكرنا آنفًا ولا علاقة له بباقي الأمور الحياتية، بل يقبل بشهادة المرأة الواحدة الخبيرة في مجالها، وهذا ما نتعامل فيه بالحياة المعيشية، فأي سبب يوضع في تبرير شهادة امرأتين عوضًا عن رجل غير الذي نصت عليه الآية

القرءانية يكون كذبًا وافتراءً وتقوُّلًا على الله ورسوله، فمن هذا الوجه يظهر تهافت الحديث وبطلانه.

أما القول الآخر نقصان الدِّين فهذا القول أبطل من سابقه ؛ لأن الدِّين هو الإيمان بالله واليوم الآخر والرسالة، وهذا حاصل وقائم في نفس المرأة في حالة المحيض والنفاس بشكل لازم فليس عندها شك في ذلك أو نقصان.

وكل ما في الأمر أن الله تبارك وتعالى قد أسقط عنها فعل الصلاة عندما تكون في حالة المحيض أو النفاس وذلك بسبب فيزيولوجي ليس أكثر، وأما ما قيل من اضطراب في نفس المرأة وهي بحالة المحيض أو النفاس فهذا شيء طبيعي لعلاقة النفس بالجسم بشكل يؤثر كل واحد منهما بالآخر، ولكن لا علاقة لذلك بالجانب الواعي عند المرأة أي التفكير والعقل فهي مسؤولة عن تصرفاتها بشكل تام غير معذورة في أي سلوك مخالف للشرع أو القانون أو الآداب أو العادات يصدر منها.

وتستطيع المرأة وهي في حالة المحيض أو النفاس أن تقوم بعباداتها من حج وذكر وتلاوة ودراسة وتعليم ومشاركة المسلمين في كل شيء سوى الصلاة من العبادات، واجتناب الجماع مع الرجل لكي لا يتعرضا للأذى، وهذه الأخيرة لم يقل أحد: إن هذا الاجتناب لغير ذلك ويقوم بتوظيفها مثل ما فعل بالمسألتين السابقتين [الشهادة وترك الصلاة].

كما أنه يجب علينا أن ننتبه إلى أمر مهم، وهو أن المرأة حين تنقطع عن الصلاة حين تكون حائضًا فإنما هي هنا تمتثل لأمر الله تعالى لها بذلك، وهي بهذا تطيع ربها فيما أمرها به أي تقوم بفعل الطاعة لله وهي لا شك ستجزى ثوابًا على هذه الطاعة فأين نقصان دينها في هذا؟

فلذا يجب محاربة هذا القول وإنكاره وعدم ترسيخه في المجتمع، فالنساء هنَّ أمهات وعمات وخالات وأخوات وبنات، وهنَّ مقابل الذكور في كل شيء، وما

ينطبق على أحدهما ينطبق على الآخر، لا فرق بين ذكر وأنثى إلا بالتقوى والعلم والعمل والفائدة للمجتمع، فالأحسن منهما هو الأحسن للمجتمع.

قال رسول الله: « خيركم خيركم لأهله » ابن ماجه 1967.

30 . عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: قَدِمْنَا الشَّامَ فَأَتَانَا أَبُو الدَّرْدَاءِ فَقَالَ: أَفِيكُمْ أَحَدٌ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ فَقُلْتُ: نَعَمْ أَنَا. قَالَ: فَكَيْفَ سَمِعْتَ عَبْدَ اللَّهِ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى). قَالَ: وَأَنَا وَاللَّهِ هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– يَقْرَؤُهَا وَلَكِنْ هَؤُلاَءِ يُرِيدُونَ أَنْ أَقْرَأَ وَمَا خَلَقَ. فَلاَ أُتَابِعُهُمْ. م، ج3/ 824، خ 4944.

فالحديث واضح الاختلاف على وجود كلمة [وما خلق] أو عدم وجودها.

فالصحابي أبو الدرداء والراوي علقمة وصاحب القراءة عبد الله، يصرحون بعدم وجود كلمة [وما خلق] قبل جملة [الذكر والأنثى] وحلف على ذلك أبو الدرداء بأنه هكذا سمع النبي يقرؤها أي: دون كلمة [وما خلق] !.

وإذا فتحنا الآن المصحف على سورة الليل من جزء عمَّ نجد السورة على الشكل التالي: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى**﴾ [الليل: 1– 3].

فنجد كلمة [وما خلق] مثبتة في المصاحف في مشارق الأرض ومغاربها، فما قول علماء المسلمين بهذا الحديث؟

1– هل يقولون بالنسخ؟ المعروف أن النسخ إزالة للشيء وليس إثباتًا وموضوعنا هنا ثبوت كلمة وهي غير ثابتة في قراءة عبد الله. هذا جانب للمسألة، أما الآخر فإن النسخ لا يكون إلا في آيات الأحكام الطلبية على افتراض وجود النسخ في القرءان، وهذه الآية ليست طلبية وإنما هي نص خبري والخبر لا يُنسخ، مما يؤكد بطلان القول بالنسخ.

2- هل يقولون: إن ذلك اختلاف تلاوات؟ فإن من المعلوم أن اختلاف التلاوات يكون بوجود النص كاملًا من حيث الجمل والكلمات ولاختلاف يمكن في طريقة لفظ الكلمة ضمن الأوجه اللغوية المعتبرة في ألسنة العرب، ولا يكون حذفًا للكلمة كلها أبدًا مما يؤكد أن ذلك ليس اختلاف تلاوات!

إذن، لا مفر من القول بأن الحديث المذكور باطل في متنه لتصادمه مع القطعي الثبوت. والقول بغير ذلك يفتح بابًا من الترهات والشبهات، ويكون مبررًا للطعن في صحة ثبوت القرءان كله بشكل قطعي. فعلى العلماء أن يختاروا أحد المسلكين: إما ردّ الحديث والحكم عليه بالبطلان، أو التشكيك بصحة القرءان!

31 . عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ - قَالَتْ: حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّىْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ دَعَا ثُمَّ دَعَا ثُمَّ قَالَ: « يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ جَاءَنِي رَجُلاَنِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ. فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ. قَالَ: وَجُبِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ. قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ ». م، ج7/ 2189، خ 3172.

الملاحظ من الحديث أن السحر للنبي كان في عقله وذلك بعملية التخيل لوجود أشياء هي غير موجودة، والعكس صحيح، وهذا السحر في العقل يتصادم بشكل صريح مع مقام النبوة ؛ لأن النبي معصوم عن أي شيء يصيب عقله من تخريف وهلوسة وهذيان وجنون وغير ذلك من الأمراض التي تصيب العقل، وهذا الحفظ الرباني هو ضرورة لازمة لحفظ مادة الوحي من الضياع أو المسحور لا يؤخذ منه شيء

لفقدانه أهلية التبليغ وعدم الثقة بعقله وحكمه على الأشياء.

فلذا كان الكفار يحاربون النبي ودعوته من خلال محاولة سحب الثقة منه، وذلك باتهامه بالسحر ممارسة ووقوع ذلك عليه. قال تعالى: ﴿**إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلًا مَّسْحُورًا**﴾ [الإسراء: 47].

﴿**فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ**﴾ [المدثر: 24].

﴿**وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**﴾ [ص: 4].

فالكفار هم الذين اتهموا النبي بصفة الساحر الكذاب، وهم الذين وصفوه بالرجل المسحور، وفعلوا ذلك كله ليشككوا في دعوته بأنه رسول الله حقًا وصدقًا.

ولكن فما بال المسلمين يصفون نبيهم العظيم بذلك. سبحانك هذا بهتان عظيم.

32 . قَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – « فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ قُلْتُ فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ. فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا. فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ. فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهْي خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ. فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي. ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِي، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ» م 162، خ 349.

الملاحظ من خلال تحليل الحديث ما يلي:

1. أن الله عندما فرض خمسين صلاة هل كان لا يعلم أن الناس لا يطيقون ذلك؟.

2. النبي محمد لا علم عنده بمقدرة الناس ولا دخل له بذلك وإنما هو ذاهب آيب بين الله عز وجل وموسى عليه السلام!.
3. النبي موسى أرحم وأعلم من الله عز وجل ومن النبي محمد بحال الناس!.
4. كأن الله لا يعلم أو يسمع حتى يحتاج النبي محمد إلى الرجوع إليه!.
5. النبي محمد ليس عنده قناعة بالفرائض الخمسة؛ لأنه استحيا من الله عز وجل بطلب التخفيف مرة أخرى بعد المرات الماضي، وهذا يدل على أنه ما زال يستكثر الفرائض !.
6. كأن تشريع الله عز وجل لعدد فرائض الصلاة كان بشكل تعسفي وارتجالي!.

والصواب أن ما ذكرته آنفًا هو باطل، فالله سبحانه وتعالى عليم حكيم رحيم بالناس، والنبي محمد صلى الله عليه وآله كذلك هو رحيم بالناس ويعلم حالهم، وليس كما صوره الحديث.

فالله عندما يشرع شيئًا فهو يشرعه بعلم وحكمة وعدل والتشريع كان للنبي محمد متصفًا بالرحمة والرأفة وليس بالآصار والأغلال ؛ مما يؤكد بطلان هذا الحديث الإسرائيلي وعدم تماسكه منطقيًّا لتصادمه مع الثوابت الإيمانية القطعية.

33 . عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: « **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ** » م 20 / 32، خ 392.

من المعلوم بالضرورة أن الناس لهم كامل الحرية في الإسلام أو عدمه.

قال تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ**﴾ [البقرة: 256].

وقال: ﴿**وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء**﴾ [الكهف: 29].

فالقتال في الإسلام لم يشرَّع لإدخال الناس إلى الإسلام وقهرهم على ذلك، وإنما شُرِّعَ لرد العدوان ولرفع الظلم عن الناس وتركهم أحرارًا تحت مظلة الحرية والعدل ليختاروا ما يشاؤون. ومن هذا الوجه لا يصح أي حديث فيه الأمر بقتال الناس وإجبارهم على القول بلا إله إلا الله؛ لأن ذلك العمل يتصادم مع النصوص القرءانية القطعية الدلالة، كما أنه يسلب الإنسان حقه في ممارسة حريته في الاعتقاد.

34 . زعم محمود أنه سمع عتبان بن مالك الأنصاري يقول: قَالَ رَسولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم–: « **فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ** ». قَالَ مَحْمُودٌ: فَحَدَّثْتُهَا قَوْمًا فِيهِمْ أَبُو أَيُّوبَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– في غَزْوَتِهِ الَّتِي تُوُفِّي فِيهَا وَيَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهِمْ بِأَرْضِ الرُّومِ، فَأَنْكَرَهَا عَلَيَّ أَبُو أَيُّوبَ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: مَا قُلْتَ قَطُّ. خ 1185.

إن إنكار أبي أيوب للحديث راجع إلى أن النجاة من النار بشكل قطعي لا يكفيه الاعتقاد فقط دون الانقياد لأوامر الله واجتناب نواهيه فهما شرط لا بُدَّ منه ؛ لأن دخول الجنة أمر مرتبط بالعمل الصالح واجتناب الإثم والمعاصي.

قال تعالى: ﴿**ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: 32].

فالموحد لله عز وجل لا بُدَّ له من العمل الصالح حتى ينجو من النار، وإلا فلا بُدَّ أن تطوله النار على قدر ذنوبه وظلمه وهذا تحقيق للعدل والحكمة.

35 . « **التَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ وَالتَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ** » خ 1203، م 322/ 106.

أصل هذا الحديث كما جاء في البخاري ومسلم أن رسول الله خرج في مرض وفاته على المسلمين أثناء الصلاة، وكان يؤمهم أبو بكر، فلما رآه المسلمون أخذوا يصفقون في الصلاة للفت انتباه أبي بكر حتى يرجع ويفسح المجال للنبي كي يؤمهم في الصلاة

كعادته. فقال لهم رسول الله: إن التصفيق للنساء، يا أيها الناس إذا انتاب أحدكم في الصلاة شيء فليسبح - سبحان الله -.

فيبدو أن الرواة فيما بعد أثناء تناقلهم للحديث فهموا أن التصفيق للنساء إنما هو في الصلاة، والتسبيح للرجال فقط ففسروا الحديث حسب فهمهم فقالوا: التسبيح للرجال، والتصفيق للنساء.

والصواب أن الرسول أنكر فعل التصفيق في الصلاة من المسلمين، وقال مستنكرًا: إنما التصفيق للنساء: بمعنى أنه من عادة النساء والجواري، أمَّا إذا انتاب أحدكم شيء في الصلاة - والخطاب للذكور والإناث - فليسبح.

وهذا شيء طبيعي لعدم وجود فرق بين صلاة الرجل وصلاة المرأة، كما أن التصفيق هو من اللهو والعبث وهذا الفعل يتنافى مع الصلاة التي يجب فيها الخشوع والتدبر، فالقول: سبحان الله في الصلاة للتنبيه والتحذير وما شابه ذلك إنما هو من جنس الصلاة من حيث إنها ذكر وتسبيح، والقول: سبحان الله هو ذكر وتسبيح، فلا يكون عملًا خارجًا عن أعمال الصلاة، بل هو من أعمالها، بخلاف التصفيق فهو عمل ليس من أعمال الصلاة وهو من جنس اللهو والعبث، ومن عادة الجاهليين أثناء صلاتهم التصويت بشكل منكر وقبيح مع التصفيق قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ [الأنفال: 35].

والتصدية: هي التصفيق والمكاء: هو الصوت العالي الشنيع.

فلذا يجب حذف التصفيق من الصلاة وعدم تدرسيه للنساء بأنه حكم شرعي خاص لهنَّ وإزالة هذه العادة الذميمة الجاهلية وإرجاع التسبيح لله مكانه من حيث إنه ذكر وتسبيح ضمن ذكر وتسبيح.

36 . عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ في

الجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – بِصِيَامِهِ حَتَّى فُرِضَ رَمَضَانُ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: « **مَنْ شَاءَ فَلْيَصُمْهُ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ** » خ 1893، م 1126.

- قدم النبي المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء. فقال: « **مَا هَذَا** ». قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بني إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى. قَالَ: « **فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ** ». فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ. خ 2004، م 1130.

من خلال المقارنة بين النصين نلاحظ أن النص الأول جعل صيام يوم عاشوراء معروفًا في الجاهلية، والرسول أمر بصيامه منذ كان في مكنة واستمر ذلك إلى ما بعد الهجرة إلى المدينة حتى فرض صوم رمضان، فخير رسول الله بين صومه وتركه.

أما النص الآخر فقد جعل صوم عاشوراء من أعمال اليهود والرسول أخذه عنهم وذلك في المدينة، ولم يكن يصومه قبل ذلك. إذن هناك احتمالان لا ثالث لهما وهما:

الأول: أن يكون النصان كذبًا وافتراءً.

الثاني: أن يكون أحد النصين كذبًا وافتراءً والآخر صادقًا وصحيحًا.

37 . عن أبي هريرة: عن النبي قال: « **خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – القرءان، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ القرءان قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، وَلاَ يَأْكُلُ إِلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ** » خ 4713، أي: يقرأ القرءان كله قبل أن ينتهي سرج دابته!

وهذا الحديث باطل، وذلك من أوجه:

1. القرءان لم ينزل على داود وإنما نزل على نبينا محمد.
2. افتراض أن الراوي ذكر القرءان بدل الزبور ناسيًا أو واهمًا، كيف يمكن أن يقرأ داود الزبور كله بوقت قصير لا يذكر؟ وإن تم ذلك فعلًا فليس في الأمر مدح وميزة ؛ لأن القراءة بهذه السرعة قطعًا ينتفي عنها التدبر والخشوع، ومن

يفعل ذلك لا يُمدح. ولذلك نهى رسول اله عن قراءة القرءان كله في أقل من ثلاثة أيام.

38 . عن أبي لبابة قال: إن النبي **نَهَى عَنْ قَتْلِ جِنَّانِ الْبُيُوتِ، فَأَمْسَكَ عَنْهَا**. خ 3313.

جِنَّانَ: أي: الأفاعي وسُمِّيت كذلك لأنها تختفي وتختبئ بحيث لا يراها أحد.

فالحديث ينهى عن قتل الأفعى إذا ظهرت في البيت، وجاءت أحاديث أخرى تطلب أن نخاطب الأفعى ونعطيها مهلة ثلاثة أيام للخروج دون عودة وإلاَّ قتلناها بعد ذلك، وهذا الإمهال إنما هو لاحتمال أن تكون من الجن الذين يسكنون البيوت!.

ولن أناقش صحة أن الأفعى هي من الجن أو لا؟ كما أني لن أناقش فكرة الجن الأشباح أنفسهم.

وإن ظهرت أفعى في البيت فعلى الإنسان أن يتصرف حسب الحديث كما يلي:

1. يعطيها مهلة ثلاثة أيام.
2. يغادر البيت إلى الشارع أو الفندق أو ينزل ضيفًا عند أحد أقاربه وأصحابه؛ لأنه ترك بيته مفروشًا لتتمتع به السيدة الأفعى ثلاثة أيام.
3. بعد انتهاء العقد السياحي مع الأفعى يأتي إلى البيت فإن وجدها يقوم بقتلها، وإن لم يجدها تكون انصرفت هي من تلقاء نفسها وتكون قد وَفَّت بالعقد ولم تغتصب البيت من أصحابه.
4. إذا لم يستطع مغادرة البيت فليس له إلا أن يبيت معها، فإذا قامت الأفعى بلدغه هو أو أحد أفراد أسرته ضمن الأيام الثلاثة فيعني ذلك أن هذه الأفعى ليست هي من الجن، وإنما هي أفعى سامة، حقيقية، فيقوم بقتلها فورًا، ولكن بعد فوات الأوان، ويكون قد دفع الثمن غاليًا وذلك لاغتيال عقله

والتصديق بأمثال هذه الأخبار الباطلة والإهمال للأحاديث التي أمرت بقتل الأفعى والعقرب وذلك لاجتناب أذاهما.

39 . يروى عن يحيى الكندي عن الشعبي وأبي جعفر: **فِيمَنْ يَلْعَبُ بِالصَّبِيِّ إِنْ أَدْخَلَهُ فِيهِ، فَلاَ يَتَزَوَّجَنَّ أُمَّهُ، وَيَحْيَى هَذَا غَيْرُ مَعْرُوفٍ، لَمْ يُتَابَعْ عَلَيْهِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِذَا زَنَى بِهَا لَمْ تَحْرُمْ عَلَيْهِ امْرَأَتُهُ**. خ 5105.

قال الإمام ابن حجر العسقلاني شارح صحيح البخاري:

(والقول الذي رواه يحيى هذا قد نسب إلى سفيان الثوري والأوزاعي وبه قال الإمام أحمد، وزاد: وكذا لو تلوَّط بأبي امرأته أو بأخيها أو بشخص، ثم ولد للشخص بنت، فإن كُلًّا منهنَّ تحرم على الواطئ لكونها بنت أو أخت من نكحه) كتاب النكاح تحت شرح الحديث السابق.

ولن أناقش هذا الحكم وإنما أترك ذلك للأخ القارئ ليتأمل بِمَ كان اهتمام علماء وأئمة المسلمين؟ وكيف حفظت مثل هذه الأحاديث في أعظم كتاب – عند من يعتقد به – بعد كتاب الله ويُدَرَّسُ لطلاب العلم ويعدُّ مرجعًا لا غنى عنه أبدًا.

40 . عن أنس بن مالك – حديث الإسراء بطوله – إلى قوله: «**حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**»خ 7517.

وهذا الوصف باطل قطعًا ؛ لأن الذي قام بفعل الدنو والتدلي ليس هو الله سبحانه وتعالى ؛ لأنه منزه عن ذلك ولأنه أحد صمد قيوم، والقرءان قد صرح بشكل قطعي الدلالة على أن الذي قام بذلك الفعل هو جبريل عليه السلام قال تعالى: ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى، وَهوَ بِالْأُفُقِ الأَعْلَى، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾ [النجم: 4 – 10].

وسُئلت السيدة عائشة عن المراد بهذه الآيات؟ فقالت: هو جبريل رآهُ رسول الله بصورته الحقيقية.

41 . عن عبد الله بن عمر قال: سمعت النبي يقول: « **إِنَّمَا الشُّؤْمُ في ثَلاَثَةٍ: في الفَرَسِ وَالمَرْأَةِ وَالدَّارِ** » خ 2858.

من المعلوم أن الإسلام حارب فكرة التشاؤم والتطير، وذلك لأنها أفكار انهزامية لا تمت إلى الحقيقة بأي شيء وهي أفكار جاهلية بالية لذلك استدركت السيدة عائشة على عبد الله بن عمر كعادتها في ذلك وردت هذا الحديث من هذا المنطلق.

42 . عَنْ أَبِي ذَرٍّ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – لأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: « **تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ** ». **قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ:** « **فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنَ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ)** » خ 3199، م159.

من الواضح من قراءة النص أنه تركيبة غير موفقة صدرت من جهة جاهلة، وذلك من عدة أوجه:

أولًا: من المعلوم أن الشمس لها نظام ومسار تدور وتسير بموجبه فهي ما إن تغرب من مكان إلاّ وتكون بالوقت نفسه تشرق على آخر ولا تغيب عن الأرض أبدًا، ولا تخرج عن مسارها.

ثانيًا: إن الشمس من المخلوقات التي لا تملك عقلًا ولا إرادة، وبالتالي فهي لا تسجد سجود العاقل الواعي وهي غير مكلفة ومسؤولة حتى يُقْبَلَ منها السجود أو يرفض.

ثالثًا: إن إقحام النص القرءاني في الحديث لا مبرر له، خاصة أن النص يتكلم عن وضع الشمس الحالي من الجريان ومآلها من الاستقرار، فهي لم تصل بعد إلى مستقرها وإنما هي في حالة الجري.

43 . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم–: « **يُهْلِكُ النَّاسَ هَذَا الحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ** ». قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: « **لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَزَلُوهُمْ** » خ 3604، م 2917.

واضح أن الحديث وُضِعَ لمصلحة الأمويين ولاستقرار ملكهم، وجعل الناس تخضع لهم وذلك بالحد الأدنى وهو الموقف السلبي الذي عبر عنه الحديث بالاعتزال، وذلك بمعنى أنه إذا لم تكن معنا فلا تكن ضدنا واتركنا نسوِّي الأمور ونصل إلى مصالحنا بمعرفتنا!

فمتى كان موقف المؤمن من المنكر والاستبداد الذي يُهلِكُ الناس موقفًا سلبيًّا، موقفًا غير مسؤول، موقفًا يتصف بالانهزامية والجبن..؟

44 . كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَلَغَ مُعَاوِيَةَ وَهْوَ عِنْدَهُ فِي وَفْدٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ، فَقَامَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِنْكُمْ يَتَحَدَّثُونَ أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلاَ تُؤْثَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَأُولَئِكَ جُهَّالُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَالأَمَانِيَّ الَّتِي تُضِلُّ أَهْلَهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ: « إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ، لاَ يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلاَّ كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ، مَا أَقَامُوا الدِّينَ » خ 3500.

وواضح أيضًا في هذا الحديث عملية الوضع لمقصد سياسي، وذلك من خلال حمية معاوية وغضبه عندما سمع أن هناك من يحاول أن ينشر ويبشر بانتقال المُلْك من قريش إلى قحطان، فسرعان ما تمَّ محاربة هذا الإعلام المعارض بإعلام ضده، ولا بُدَّ للمصداقية للخبر من الناحية الشرعية كون الأول قد تم نسبه إلى النبي، فلا مناص من التشكيك بالخبر وصحته الإتيان بنص مرفوع إلى النبي، وهذا ما فعله معاوية تمامًا رغم أن حديث الملك القحطاني قد أورده البخاري تحت رقم 3517، ومسلم تحت رقم 2910.

ومع ذلك كعادة العلماء لا يربطون النصوص ببعضها ولا يقومون بعملية النقد للمتن من خلال الظروف السياسية التي قيلت بها ولها فيقعون بهذا التناقض العجيب.

45 . عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ (لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم –: « ادْعُوا فُلاَنًا ». فَجَاءَهُ وَمَعَهُ الدَّوَاةُ وَاللَّوْحُ أَوِ الْكَتِفُ فَقَالَ: « اكْتُبْ لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ». وَخَلْفَ النبي – صلى الله عليه وسلم – ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا ضَرِيرٌ. فَنَزَلَتْ مَكَانَهَا (لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) خ 4594، م 1898.

الملاحظ من دراسة النص أن الآية نزلت وانتهت وقد كتبها الكاتب في اللوح كما في روايات أخرى، فتدخل ابن أم مكتوم وكان جالسًا خلف النبي، وقال معترضًا: يا رسول الله أنا ضرير، فسرعان ما تم التعديل والاستدراك ونزلت جملة (غير أولي الضرر) ليتم تلافي القصور في النص. وأمر رسول الله بوضعها بعد جملة (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) وفعلًا قام الكاتب بحك النص المكتوب ليوسع للجملة الجديدة مكانًا، والحك ما زال موجودًا في اللوح، كما في روايات أخرى.

فالسؤال المطروح هو: إذا كان الرسول لم يرَ وينتبه لوجود ابن أم مكتوم وأنه أعمى ومعذور، فهل الله سبحانه وتعالى غفل عن هذا حتى نزل النص وانتهى، وبعد اعتراض واستدراك ابن أم مكتوم وتذكر الله سبحانه ذلك فعدَّل في النص؟

والجواب قطعًا بالنفي فالله سبحانه وتعالى لا ينسى شيئًا كما أخبر عن نفسه ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾ [مريم: 64]، ولا يغفل عن أي أمر؛ لأن ذلك يتعارض مع صفات الألوهية. فمن هذا الوجه يكون الحديث باطلًا ومنكرًا في متنه.

46 . عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: « **تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ. وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ**

وَسَقَطُهُمْ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابٌ أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطٍ قَطٍ قَطٍ. فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا » خ 4850، م 2846.

من المعروف أن النار هي شيء مكاني ووضع الرجل فيها يعني الدعس وهذا ما أفاده الحديث، وعندما يدعس الله برجله النار تنزوي على بعضها وتقول: قط قط قط، بمعنى: امتلأت واكتفيت.

وهذا الكلام باطل وذلك لوصف الله عز وجل بصفة المخلوق المحدود وأن له رِجْلًا ولا حاجة إلى تأويل النص إلى معانٍ لا يدل عليها النص، كما انه لا يصح الإيمان بالنص لفظًا دون معنى ومضمون،خاصة أن النص هو نص آحاد وليس بمتواتر.

47 . عن جبير بن عبد الله قال: كنا جلوسًا ليلة مع النبي فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: « **إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ** » خ 4851، م 633.

هذا النص يتناقض مع مقومات الألوهية بشكل قطعي وواضح نحو:

أولًا: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103].

فعملية الإدراك لذات الله وصفاته مستحيلة في الواقع؛ لأن الإدراك لشيء منها هو إمكانية الإدراك للكل،وإذا تم ذلك انقلب الوضع إذ يصبح المحدود العاجز مدركًا للأزلي الصمد وهذا شيء مستحيل؛ لأنه لو تمَّ لانتفى عن الله صفة الأزلية والصمدية وبالتالي انتفت ألوهيته.

ثانيًا: إن الأمر القابل للرؤية الجزئية ممكن أن يتطور إلى الإحاطة بالشيء المرئي مع التطور المعرفي للأدوات، فالشيء الذي يُرمى ممكن أن يُدْرَكَ، والشيء الذي يستحيل إدراكه يستحيل رؤيته ابتداءً.

ثالثًا: إن تغير قوة الرؤية عند الإنسان وازدياد قوتها لا ينفي عنها صفة العجز والاحتياج مهما بلغت من القوة فإنها تبقى محدودة ولن تصبح عينًا أزلية صمدية.

فهذا النص منكر وباطل في متنه لما مرّ معنا من تصادمه مع الثوابت الإيمانية.

48 . قال النبي: « **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ** ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: « **اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ** ». **ثُمَّ قَرَأَ (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) إِلَى قَوْلِهِ: (لِلْعُسْرَى)**. خ 4925، م 2674

إن أول شيء يلاحظه الدارس للنص هو عدم وجود ترابط منطقي بين السؤال والجواب وإقحام الآية القرءانية في النهاية.

- السؤال هو: ألا نتكل على المكتوب؟ وذلك لأن المفهوم من الكلام الأول أن الأمر قد انتهى والحساب قد تمَّ، وتصنف الناس في الجنة والنار أزلًا قبل خلق الخلق!.

وإذا كان الأمر كذلك فلا معنى لأن أعمل الخير وأدع الشر.

- فكان الجواب: اعملوا فكل ميسر لما خلق له. فالجواب جاء ليثبت الإجبار بقوله: (ميسر لما خلق له) أي: من كان مكتوبًا في النار فإنه سوف يعمل بعمل أهل النار لا محالة، ومن كان مكتوبًا في الجنة فإنه سوف يعمل بعمل أهل الجنة لا محالة، وهذا المعنى جاء في روايات كثيرة غير هذه.

أما قراءة الآية في آخر الحديث فإنها إقحام في النص دون علم وذلك لتتم تركيبة الحديث وإعطاؤه مصداقية قرءانية.

مع العلم أن النص القرءاني المذكور يناقض الحديث بشكل واضح، وذلك كونه

جعل الجنة والنار تحت متناول الإنسان بقوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**﴾ [الليل: 5-7].

فالعطاء والتقوى والتصديق أفعال يملك الإنسان أن يفعلها أو أن لا يفعلها وكون الأمر كذلك مما يدل على أن مقعده من الجنة أو مقعده من النار إنما هو مرتبط باختيار الإنسان لأحد الطريقين وليس أمرًا مفروضًا عليه من أية جهة؛ لأن ذلك لو تم لانتفى التكليف عن الإنسان وبَطُلَ الثواب والعقاب وانتفت صفة العدل والحكمة عن الله عز وجل ؛لأن الخلق المشاهد يصبح مهزلة وعبثًا وهذا منزه الله سبحانه وتعالى عنه.

فالتيسير في الآية إنما هو بعد اختيار الإنسان وعمله سواء أكان خير أم شرًا ! مما يدل على أن الأمر لم يحدد بعد والحساب لم يتم والطريق إلى الجنة وإلى النار موجود على حد سواء﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا**﴾ [الكهف: 29].

49 . عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ قَالَ: « **هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا** ». قُلْنَا: لاَ. قَالَ: « **فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلاَّ كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا – ثُمَّ قَالَ -: يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ فَمَا تُرِيدُونَ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا. فَيُقَالُ: اشْرَبُوا. فَيَتَسَاقَطُونَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ**

فَاجِرٍ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا – قَالَ –: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَلاَ يُكَلِّمُهُ إِلاَّ الأَنْبِيَاءُ فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ. فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا....». خ 7439، م 183.

لا بُدَّ من تحليل النص لإثبات بطلانه إلى بنودٍ وهي:

1. لم يكن الله موجودًا في ساحة الاجتماع.
2. يأتي الله متخفيًا في صورة غير الصورة التي يعرفون.
3. يقوم الله بالمزح والضحك مع المؤمنين عندما يقول لهم: أنا ربكم وهو متخفٍّ بصورة لا يعرفونها.
4. عندما ينكره المؤمنون يقول لهم: كيف تعرفونه وهل يوجد علامة مميزة أو متفق عليها بينكم؟ فيقولون: نعم الساق. فيقوم الله بكشف ساقه وعندما يراها المؤمنون يعلمون أنه الرب ولكن متخفٍّ بصورة أخرى غير الأولى فيسجدون له.

هذا ما يقرِّره الحديث وهو ظاهر البطلان والإنكار والقبح تعالى الله عز وجل عمّا يقول الظالمون. فالله حي قيوم أحد صمد متصف بصفات الجلال والعظمة ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: 11]. ﴿**وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ [الأنعام: 91].

50 . عَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – أَنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهِمُّوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ،

وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، لِتَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ – قَالَ: وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكْلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا – وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ.

فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ – وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ – وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ. قَالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ – وَيَذْكُرُ ثَلاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ – وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا.

قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ – وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسَ – وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ. قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا – صلى الله عليه وسلم – عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي فَيَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ – قَالَ –: فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ ».

قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: « فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ – قَالَ: – فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ – قَالَ –: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ ».

قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: « فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي

مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ – قَالَ – فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ – قَالَ –: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ » خ 6886.

الملاحظ في الحديث أن الله له دار وحُجَّاب والذي يريد أن يدخل إليه يستأذن أولًا فيقوم الحاجب بإخبار الله عز وجل عمن استأذن، ويرجع فيخبر بالإذن، فيدخل النبي إلى دار الله فإذا رآه سجد له إلى ما شاء الله أن يسجد، ثم يأمره الله بالرفع من السجود وعرض طلبه.

وهذا الحديث مثل الذي سبق منكر وباطل لتصادمه مع الثوابت الإيمانية.

51 . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » خ7494، م 758 – 168.

وهذا الحديث باطل أيضًا في متنه؛ لأن الله بائن عن خلقه ويستحيل أن يتم اتصال أو حلول بالمخلوق من قبل الخالق؛ لأن ذلك ينفي ألوهيته، والقول بالنزول الذاتي دون اتصال أو دخول أو حلول إنما هو قول باطل وهراء لا يصدر من مخمور.

والذي يؤمن بنزول الله إلى السماء بذاته يلزم عليه أن يؤمن بصفة الدنو والتدلي والتخفي وتغيير الصورة من شكل إلى آخر وله دار يختفي بداخلها عن خلقه بحيث لا يرونه إلا إذا دخلوا عليه وله ساق يكشفها وهي أهم شيء في ذات الله وكذلك الرِجْلُ التي يدعس بها على النار...إلخ، فيفتحون على أنفسهم بابًا من الهراء والوهم والتصورات التي لا يقول بها إلا حشاش ذهب عقله.

بيان موجه لعباد الإسناد والعنعنة
أصحاب المَثناة (الصحاح والسنن)

المثناة: هي كل ما اسْتُكْتِب من كلام الناس يزاحمون بها كتاب الله (القرءان) فهي مثل التلمود اليهودي الذي افتراه اليهود وزاحموا به التوراة.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بقرءان غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: 15].

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: 51].

ينهى النبي عن كتابة حديثه، ويَعُدُّ ذلك مثل كتابة التلمود اليهودي بجانب التوراة.

اقرؤوا أحاديث النبي التي يقول فيها:

1. (الحلال ما أحلَّ الله في كتابه، والحرام ما حرَّم الله في كتابه، وما سكتَ عنه فهو مما عفا عنه) ابن ماجه 3358، الدار قطني والحاكم والبيهقي والبزار والطبراني.
2. (أطيعوني مادُمتُ فيكم، فإذا ذُهِبَ بي فعليكم بكتاب الله، أحلُّوا حلاله وحرِّموا حرامه) مسند أحمد 6381، وصححه الألباني في الصحيحة تحت رقم 1472.

3. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم– فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: « مَا هَذَا تَكْتُبُونَ ». فَقُلْنَا: مَا نَسْمَعُ مِنْكَ. فَقَالَ: « أَكِتَابٌ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ ». فَقُلْنَا: مَا نَسْمَعُ. فَقَالَ: « اكْتُبُوا كِتَابَ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ وَأَخْلِصُوهُ أَكِتَابٌ غَيْرُ كِتَابِ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَوْ خَلِّصُوهُ ». قَالَ: فجَمَعْنَا ما كَتَبْنَا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ، قُلْنَا: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ أَنَتَحَدَّثُ عَنْكَ؟ قَالَ: « نَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنِّي وَلاَ حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». الإمام أحمد.

4. قال: قال رسول الله: «إن بني إسرائيل كتبوا كتابًا واتبعوه وتركوا التوراة».

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ إِذَا حَدَّثَ عَن رَسُولِ الله يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ، فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا حَدَّثَ قَالَ: إِذَا سَمِعْتُمُونِي أُحَدِّثُ عَن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَجِدُوهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ حَسَنًا عِنْدَ النَّاسِ فَاعْلَمُوا أَنِّي قَدْ كَذَبْتُ عَلَيْهِ. سنن الدارمي: 593.

5. عن أبي سعيد الخدري، أن النبي، قال: « لا تكتبوا عني شيئًا سوى القرءان، من كتب عني شيئًا سوى القرءان فليمحه ». صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

6. عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما قال: «من اقتراب – وفي رواية أشراط – الساعة: أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار، ويفتح القول ويخزن العمل، ويقرأ بالقوم المَثناة ليس فيهم أحد ينكرها. قيل: وما المَثناة؟ قال: ما استكتب سوى كتاب الله عز وجل».

قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» 6 / 774: وهو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، يرويه عنه عمرو بن قيس الكندي، رواه عنه جمع رفعه بعضهم وأوقفه بعضهم، وهو في حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال بمجرد الرأي،

أخرجه الحاكم (4 / 554) وأورده الهيثمي في «المجمع» (7 / 326) مرفوعًا عن عبد الله بن عمرو، وقال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

قلت: لعله عند الطبراني من طريق أخرى غير طريق الكندي هذا، وإلا فالهيثمي واهم في حشره إياه في جملة (رجال الصحيح) ! ثانيًا: الأوزاعي عن عمرو بن قيس السكوني قال: خرجت مع أبي في الوفد إلى معاوية، فسمعت رجلًا يحدث الناس يقول: «إن من أشراط الساعة..» الحديث. قال: فحدثت بهذا الحديث قومًا وفيهم إسماعيل بن عبيد الله، فقال: أنا معك في ذلك المجلس، تدري من الرجل؟ قلت: لا، قال: عبد الله بن عمرو.

أيضًا، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (13 / 593 - المدينة).

وقال الحاكم: «صحيح الإسناد ». ووافقه الذهبي.

ثالثًا: معاوية بن صالح قال: أخبرني عمرو بن قيس الكندي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص قال: فذكره موقوفًا بلفظ: «كل كتاب سوى كتاب الله» أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» 15 / 165.

قال الألباني: (**فائدة**): هذا الحديث من أعلام نبوته - صلى الله عليه وسلم - فقد تحقق كل ما فيه من الأنباء، خاصة منها **ما يتعلق بـ (المثناة) وهي كل ما استكتب سوى كتاب الله**...

- **ونهى أبو بكر الصديق عن رواية الحديث وأمر بالتمسك بكتاب الله.**

روى الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ قال: ومن مراسيل ابن أبي مليكة أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافًا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئًا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه.

• **قال عمر بن الخطاب: حسبنا كتاب الله. أخرجه مسلم.**

الدِّين كمل بشهادة القرءان وهذا هو غاية تبليغه - صلى الله عليه وسلم - قال النووي: «وأما كلام عمر - رضي الله عنه - فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره؛ لأنه خشي أن يكتب - صلى الله عليه وسلم - أمورًا ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها؛ لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها فقال عمر: **حسبنا كتاب الله**، لقوله تعالى: ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾ وقوله: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ فعلم أن الله تعالى أكمل دينه فأمن الضلال على الأمة وأراد الترفيه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه » النووي على مسلم ص 1041.اهـ.

- الحديث دليل على كمال الدِّين وبلوغه لكل الناس؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - أقر عمر على قوله: «حسبنا كتاب الله» عندما صمت ولم يعد لطلبه مرة ثانية رغم أن الأمر مصيري والسكوت عن البيان في مقام وجوبه مع نفي العوائق والموانع لا يجوز، خاصة من نبي.

- وقام عمر بن الخطاب بحرق مادة حديث النبي المكتوبة ونهي عن روايتها، قال زيد بن يحيى: حدثنا عبد الله بن العلاء قال: سألت القاسم أن يُملي عَلَّي أحاديث فمنعني، وقال: إن الأحاديث كثُرت على عهد عمر، فناشد الناس أن يأتوه بها، فلما أتوه بها، أمر بتحريقها، ثم قال: **مَثناة كمثناة أهل الكتاب**. الذهبي - سير أعلام النبلاء - الجزء: (5) - رقم الصفحة: (59).

عن أبي سلمة: سمعت أبا هريرة يقول: ما كنا نستطيع أن نقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى قُبِض عمر.

- قال: ثم يقول أبو هريرة: أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي؟ أما والله إذا لأيقنت أن المحفقة ستباشر ظهري، فإن عمر كان يقول: اشتغلوا بالقرءان

فإن القرءان كلام الله، ولهذا لما بَعث أبا موسى إلى العراق قال له: إنك تأتي قومًا لهم في مساجدهم دوي بالقرءان كدوي النحل، فدعهم على ما هم عليه، **ولا تشغلهم بالأحاديث**، وأنا شريكك في ذلك.

عن عبد الله بن العلاء قال: سألت القاسم يملي عليَّ أحاديث فقال: إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها، فلما أتوه بها أمر بتحريقها، ثم قال: **مَثناة كمثناة أهل الكتاب؟** قال: فمنعني **القاسم يومئذ أن أكتب حديثًا**. محمد بن سعد - الطبقات الكبرى - الجزء: (5) - رقم الصفحة: (188).

- **ورد عن علي بن أبي طالب:**

عن الحارث الأعور قال: مررت في المسجد وكان الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أوَقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إنها ستكون فتنة » قال: قلت: فما المخرج؟ قال: « كتاب الله فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل وليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى - أو قال: العلم - من غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخلق من كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم ينته الجن إذ سمعته - حتى قالوا: إنا سمعنا قرءانا **عجبًا** يهدي إلى الرشد، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر ومن حكم به عدل، **ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم** »أخرجه الترمذي. جامع الأصول.

- وورد عن السيدة عائشة استنكارها حديث أبي هريرة أو ابن عمر (**شر الثلاثة ابن الزنى) فقالت: حسبكم القرءان (ولا تزر وازرة وزر أخرى)**.

- **كتاب أغاليط المؤرخين:**

لمؤلفه الشيخ الطبيب «محمد أبو اليسر عابدين» المفتي العام لسورية بين عام 1954، وعام 1963.

ورد فيه: قال ابن حجر في كتابه (لسان الميزان) في فصول المقدمة ما نصه:

قال الإمام أحمد بن حنبل: ثلاثة كتب ليس لها أصول وهي: المغازي والتفسير والملاحم.

قلت (أبو اليسر): ينبغي أن يضاف إليها الفضائل. فهذه أودية الأحاديث الضعيفة والموضوعة، إذ كانت العمدة في المغازي على مثل الواقدي، وفي التفسير على مثل مقاتل والكلبي، وفي الملاحم على الإسرائيليات، وأما الفضائل فلا تحصى، كم وضع الرافضة في فضل أهل البيت وعارضهم جهلة أهل السنة بفضائل معاوية، بدؤوا بفضائل الشيخين (أبي بكر وعمر) وقد أغناهم الله وأعلى مرتبتهما عنها.

قلت (أبو اليسر): ومن جملة ذلك مغازي ابن إسحاق......... قال مالك: وما ابن إسحاق، إنما هو رجل من الدجاجلة أخرجناه من المدينة.

وابن إسحاق هو صاحب السيرة الذي اختصرها ابن هشام واشتهرت باسمه، والنتيجة أن كل من التفاسير والملاحم والسير والمغازي والفضائل كلها لا أصل لها ولا سند، وإنما هي من وضع الوعَّاظ أو فقهاء السلطة أو الكذابين أو دسًّا من اليهود.

– وقلت (سامر إسلامبولي): أضيف لما سبق ما يُسَمَّى بالناسخ والمنسوخ في القرءان، وأسباب النزول للأحكام التشريعية، ومعظم كتب الأحاديث المنسوبة للنبي عند السنة والشيعة، فكل ذلك كذب ودس وافتراء ينبغي أن ننزه علوم القرءان منها، وكذلك معظم تاريخنا، وعدم تدريسهم للمسلمين وحذفهم من كتب التراث المعتمدة وتجميدها في بطون الكتب الصفراء.

فهل أنتم منتهون يا عُبَّاد الإسناد والعنعنة عن الشرك مع كتاب الله؟

انتهوا خيرًا لكم واتركوا تلمودكم والمَثناة التي افتريتموها مع كتاب الله.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37].

أهم إساءات المسلمين لنبيهم العربي محمد الخاتمي من خلال إثبات الرواية والحديث له

وهذه الأمور التي سوف نذكرها وهي ليست للحصر، وإنما نموذج كلها لها روايات تثبتها يعرفها عباد المثناة ومن عنده ثقافة تراثية بالحد الأدنى، وهذه الروايات هي التي أمدت «سلمان رشدي» بمادة قصته (آيات شيطانية)، وهي التي دفعت الرسام الدانمركي لرسم الرسومات ومخرج الفلم المسيء للنبي والإسلام، وهكذا هي وراء كل مسيء للإسلام.

- اتهام النبي محمد أنه حاول أن ينتحر ثلاث مرات.
- وصفوه بالمسحور.
- اتهموه بالكذب والتقول على الله.
- اتهموه بالإرهابي والمرعب.
- اتهموه بأنه لا يحسن تدبر الخطاب القرءاني الذي نزل بلسان عربي مبين.
- جعلوه شريكًا مع الله في التشريع.
- نفوا عنه التعامل مع الأحداث بشكل سنني.
- نسبوا إليه مباركته لاستبداد الحاكم واستعباده للناس.
- نسبوا إليه رجم الزاني المحصن وقتل المرتد عن دينه وبتر أيدي السارق.
- نسبوا إليه أنه يُملي على الله أمره ويشفع للناس ويعلم الغيب.

طريقة حوار السلفيين وتحليل عقليتهم

السلفية ليس اسم لجماعة معينة، وإنما هي طريقة تفكير ماضوية آبائية توجد في معظم ملل أهل الأرض دينيين أو لا دينيين.

(طريقة حوار السلفين):

1. ﴿**قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى**﴾ [طه: 51].
2. ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: 170].
3. من قال بقولك؟
4. من معك على هذا القول؟
5. أنت أفهم من السلف؟
6. لماذا لم يقل السلف بقولك؟
7. أنت تفكر بعقلك!
8. أنت ضال !
9. الله يهديك !
10. أنت تنفِّذ مؤامرة غربية صهيونية استشراقية!
11. أنت تريد هدم الدِّين وتدمير الإسلام !
12. أنت غير مسلم في حقيقتك ولا تصلي ولا تصوم!
13. هذا القول والرأي ليس لك يوجد من سبقك فيه!

14. أنت مجادل وتفلسف الدِّين وتعقلنه!
15. ممكن يكون كلامك صواب ومنطقي، ولكن لا نأخذ به لأن السلف لم يقل به!
16. أنت تميع الدِّين.
17. أنت تريد تعرية المرأة ونشر الإباحية والرذيلة.
18. أنت تريد إفساد أخلاق المجتمع.
19. أنت تدعو إلى الإلحاد بشكل مبطن.
20. أنت زنديق منافق عليم اللسان أضلك الله على علم.
21. أنت ترفض القرءان من خلال رفض حديث النبي.
22. أنت تفلسف الأمور لا فرق بين السنة والحديث كله من رسول الله نلتمس.
23. أنت تفرق بين مقام النبي، ومقام الرسول، ومقام البشر، وهذا كلام فارغ، فكل ذلك مجتمع بشخص واحد هو النبي محمد.

(تحليل لعقلية السلفي)

1. لا يستخدم عقله قط.
2. لا يثق بمقدرته الفهمية.
3. لا يملك الحرية في التفكير.
4. يهتم بالأشخاص وليس بالأفكار.
5. ثقته بالناس مهزوزة دائمًا.
6. يختبئ وراء الجمع ويخشى الانفراد.
7. يعيش في الماضي ولا يستطيع مجابهة الحاضر.
8. ينغلق على نفسه ليحميها من تأثير الحاضر.
9. نظرته للناس عدوانية.
10. تعامله مع الناس استعلائي.
11. إقصائي ولا يقبل التعايش.
12. عنده قابلية ليتحول إلى إرهابي.
13. هو مشروع تدميري ثقافي للمجتمع.
14. ترعاه الدول الاستكبارية عن بُعد وخفية؛ لأنه تربة خصبة لجلب الاحتلال وسرقة خيرات البلاد واستعباد الشعوب.
15. عنده اكتئاب شديد في نفسه يؤدي لكراهيتها فيوجه كراهيته خارجًا حتى لا يقتل نفسه.

16. يعيش بشكل انفرادي أو مع من مثله وينعزل عن النشاط الاجتماعي ولا يشارك به.
17. مكروه من قبل المجتمع ويبرر ذلك بمفهوم طوبى للغرباء ليدعم نفسه.
18. يعاني من كبت جنسي شديد غالبًا.
19. مضطرب في نفسه أمام المدنية والتطور، فهو يحرم مثلًا التصوير بكل أنواعه ويتصور ويشاهد التلفاز وينظر للنساء فيه دون غطاء للرأس أو غيره بشهوة وشراهة جنسية.
20. فاشل غالبًا في علاقاته الأسرية مع زوجته وأولاده.
21. يعيش في بيته باضطراب شديد وقلق غالبًا؛ لأنه غير مقبول من زوجته وأولاده أو إخوته.
22. معظم أولاد السلفيين يخرجون عن طريقة أبيهم ويرفضونها.
23. يشترك المرض السلفي مع مرض الاكتئاب النفسي بأن كلاهما تفكير ماضوي.
24. تفكيره ذري جزئي لا يستطيع التفكير الكلي الشمولي.
25. تفكيره مبعثر فوضوي، لا يستطيع استحضار الأفكار الكلية وفهم الجزئية على ضوئها.
26. تفكيره أحادي وجامد.
27. ....

وهذا يوصلنا إلى أن ملة السلفية (السنة و الشيعة) هي فيروس مرضي وبائي قاتل لشخصية الإنسان ومدمر للمجتمع، ومشروع لجلب الاستعمار لنا، وتربة خصبة للظلم والفقر والتخلف، وهي من الأسباب الرئيسية في الإساءة للدين والنبي والقرءان، وسبب رئيس في إلحاد كثير من الشباب المسلم.

من أهم الأخطاء التي وقع المسلمون بها

1. غياب مفهوم حق المشاركة في الحكم.
2. دمج الدِّين بالدولة أو فصله عنها.
3. غياب السلام والعدل والحرية والتعايش بين فئات المجتمع على مختلف وجهات النظر.
4. اعتقادهم بتعدد مصادر التشريع الإلهي المنزل.
5. خلطهم بين مصطلح السنة ومصطلح الحديث والنظر لهما بالمنظار نفسه.
6. تعاملهم مع الحديث مثل تعاملهم مع كتاب الله عز وجل من حيث التشريع والقداسة.
7. اعتقادهم أن الحديث مصدر شرعي له صلاحية الاستقلال في التشريع.
8. الخلط بين الحكمة ونتاج الحكمة من الأحاديث والنظر إليهما على حد سواء.
9. النظر إلى أنفسهم بأنهم أهل الجنة فقط من دون الناس.
10. النظر إلى الناس نظرة تسخير لهم في كل ما تقدموا من علوم وتقنية.
11. النظر إلى الدنيا نظرة إلى العذاب والسجن والشدة.
12. يتعاملون مع الخبر الظني مثل الخبر القطعي دون تفريق بينهما.
13. يتعاملون مع القرءان بشكل سطحي وظاهر وجزئي.
14. عدم تحملهم للمسؤولية وفقدان الحس الاجتماعي.
15. إهمال الجانب الاجتماعي والإنساني بفهمهم للإسلام.

16. التعامل مع الواقع من منطلق التصورات وليس من منطلق السنن والقوانين.
17. عدم وجود أصول للفقه الشرعي يقوم على الأحكام الكلية والمقاصد الشرعية.
18. جمودهم على الأشكال في التطبيق مع إغفالهم للمضمون والمصلحة من الأمر.
19. حركة المسلمين الثقافية والعلمية هي حركة باتجاه الوراء.
20. تلقيهم للعلوم الكونية من آفاق وأنفس تلقٍّ سلفي.
21. التقمص للتاريخ أثناء دراسته وسحب أحداثه إلى الحاضر.
22. موت صفة البحث العلمي عندهم وضيق صدرهم بالحوار وقمع الرأي الآخر.
23. نظرتهم إلى الأفكار أحادية الجانب وخلطهم في الاستخدام بين كل من:

[الحق، الصواب]، [الخطأ، الضلال]، [الحرام، الممنوع]، [الهدى، الصواب]، [الممكن، المستحيل].

24. إلزام المسلمين إلى يوم الدِّين بفهم المجتمع الأول للإسلام.
25. أخذوا من كتاب الله بضع مئات من الآيات وأغفلوا الآلاف وسحبوا صفة الكتاب كله على هذه المئات فقط.

نماذج من نقد كتابي «تحرير العقل من النقل» وكتابي «القرءان من الهجر إلى التفعيل»

1 . كتاب: «أسباب الانحراف في القراءة المعاصرة للسنة النبوية».

المؤلف: **أ.د محمد زين العابدين رستم**

أستاذ الحديث المشارك في جامعة السلطان سليمان كلية الآداب بني ملال المغرب.

اكتفيت بنقل نقده لي دون سائر النقولات الأخرى التي تناولت كثير من الباحثين مثل الأستاذ جمال البنا رحمه الله، وقد أتى النقد من النوع السردي الوعظي، وليس دراسة وتدبر ونقد علمي قرءاني.

- عندما ألف د. أحمد البغدادي كتابه عن: «تجديد الفكر الدِّيني» الذي انتقد فيه أحاديث وردت في صحيح الإمام البخاري، ذيَّل عنوان الكتاب بقوله: «دعوة لاستخدام العقل».

ويقول سامر إسلامبولي في مقدمة كتابه: « تحرير العقل من النقل، وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم»: «...والذي يجب أن نعرفه أولًا ونبدأ منه الحوار، أن العقل موجود في الواقع قبل النقل، فالنقل نتاج لتفاعل العقل مع الواقع؛ مما يؤكد هيمنة العقل وسيادته على النقل...».

ووظيفة العقل عند هؤلاء العقلانيين بالنسبة للحديث النبوي، هي القيام» بعملية الفرز»، وذلك - كما يقول سامر إسلامبولي-: « حسب الأدوات المعرفية الجديدة فيُحتفظ بالصواب، ويُستبعد الخطأ».

وعملية الفرز للتراث حسب سامر تقوم على «استبعاد الأوهام والأخطاء، وطرح القداسة عن أي شيء في التراث على صعيد الأصول والفروع من سائر العلوم، «فكل شيء يخضع لعملية الفرز، وما قام عليه البرهان أنه صواب يستمر بالتواصل، ويبقى كتاب الله ثابتًا مستمرًا...».

وينتهي سامر القرءاني العقلاني إلى أن «مادة الحديث النبوي مادة تاريخية لا قداسة لها أبدًا، وصفة الوحي الإلهي التشريعي منتفية عنها، وذلك لأنها نتيجة تفاعل النبي العظيم مع النصّ القرءاني حسب معطيات واقعه، وحسب الأدوات المعرفية الزمكانية المتوافرة حينئذ، وهي لذلك غير ملزمة للمجتمعات اللاحقة أبدًا، ومنْ يقول بغير ذلك يكون إنسانًا يُغمض عينيه عن الحقيقة!

فالحديث النبوي المنسوب قد أصابه التحريف زيادة ونقصانًا، فمنْ يقول بأنه وحي فهو يعتقد أن مادة الوحي قابلة للتحريف، وبالتالي لا مانع عنده من ضياع بعض من الوحي! وربما الذي ضاع أكثر من الذي بقي! فكيف نُلزم بعضنا بوحي محرَّف؟ بوحي قد ضاع جزء منه؟ كيف يكون الحديث عند فئة وحيًا، وعند الفئة الأخرى التي ترفضه لعلةٍ بسنده أو متنه حسب أصولهم؛ كذبًا وافتراءً؟ كيف يكون الحديث مصدرًا تشريعيًّا وهو مُختلَف فيه، وليس محلّ تسليم من الجميع به؟».

ويخْلص سامر بعدُ إلى أن «علم مصطلح الحديث كذبة وخدعة كبيرة! فهو ليس علمًا أصلًا سواء تعلّق ذلك بالسند أو المتن، فالنتيجة واحدة: الضياع للمسلمين، وعندما جعل المسلمون مادةَ الحديث النبوي وحيًا ومصدرًا تشريعيًّا أُصيبوا بالتخلف والانحطاط وابتعدوا عن المنهج الرباني المتمثل بالقرءان ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً**﴾ [الفرقان:30] فالنص القرءاني قد احتوى الشرع الإسلامي كاملًا كما أخبر الرب تبارك وتعالى بذلك ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً** ﴾ [المائدة:3]، وكما أمر رسوله أن يقول: ﴿**قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ** ﴾ [الأنعام: 151]،

فالقرءان هو المصدر الوحيد للتشريع الإلهي، وما سواه من أحاديث نسبت للنبي أو للأئمة أو للفقهاء أو غيرهم في أي زمان ومكان، فهي مادة فقهية لا قداسة لها أبـدًا، وغيرُ مُلزمةٌ لأحد، وهي محاولة زمكانية مرتبطة بالأدوات المعرفية السائـدة حينئذ لفهم النص القرءاني صَلُح بها حالهم وارتضوها لمجتمعهم، أما نحن فقد قال الربّ جل شأنه ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[البقرة:134] فمادة الحديث وأقوال الأئمة والفقهاء وغيرهم على مختلف الأطياف مادة فرّقت المسلمين وألقت العداوة والبغضاء بينهم، ووقعوا فيما وقعَ فيه أهل الكتاب من الغلو والتطرف وصار لسان حالهم يردد (**ولن ترضى عنك الشيعة ولا السنة حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى**) أما النص القرءاني فهو حبل الله المتين الذي يوحّد المسلمين على كلمةٍ سواء».

• ولقد اعتنى المعاصرون من العقلانيين بنقد أرفع كتاب مجموع في السنة وهو صحيح البخاري وصنوه صحيح مسلم، من جهة الانتصار للعقل كما يزعمون، «لأنهما – كما يقول سامر– محل تسليم عند المسلمين وهم يعدون كتابيهما أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجلَّ، فإذا كان في البخاري ومسلم هذا الكمُّ من الأحاديث المردودة متنًا، أو مشكِلة في دلالتها وهي ليست للحصر، فما بالكم بغيرها من الكتب سواء عند السنة أم الشيعة؟».

• وممَّا صعُب على العقلانيين العرب من المعاصرين، فهمُه واستيعابه، جملةٌ من الأحاديث الصِّحاح التي فيها ذكْرٌ، لقضايا لا يستقل العقل البشري بمفرده بإدراك كنهها، بل لا بُدَّ أن ينضم إلى ذلك إيمان راسخٌ، وتصديق يقيني بتحقق وقوعها وحصولها، فمن أمثلة ما ردُّوا من هذه الجهة، قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غرُبت الشمس: أتدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يُؤذن لها، يُقال لها: ارجعي من حيث جئتِ، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: «والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم».

يقول سامر إسلامبولي: « من الواضح من قراءة هذا النص أنَّه تركيبةٌ غير موفَّقة صدرت من جهة جاهلة، وذلك من عدة أوجه: أولًا: من المعلوم أن الشمس لها نظام ومسار تدور وتسير بموجبه، فهي ما إن تغرب عن مكان إلا وتكون بالوقت نفسه تشرق على آخر، ولا تغيب عن الأرض أبدًا...ثانيًا: إن الشمس من المخلوقات التي لا تملك عقلًا ولا إرادة، وبالتالي فهي لا تسجد سجود العاقل الواعي، وهي غير مكلفة ومسؤولة حتى يقبل منها السجود أو يرفض......».

• ويُبرز القرءانيون أنفسهم لعامة الناس على أنهم المطهِّرون للسنة مما أُلصق بها، وأنهم حقًّا هم الذين يحبون النبي صلى الله عليه وسلم، ويذودون عن سيرته الخرافة والأسطورة والباطل، يقول سامر إسلامبولي مخاطبًا قارئه، بعد أن قدَّم أدلة- بزعمه- على الإعراض عن الذي سماه المحدثون حجية السنة: «..لقد ذكرتُ لك ما ذكرت حتى تعلم الغث من السمين، وتميِّز من يضع السم في العسل، وحتى لا تتأثر بعد قراءتك لهذا البحث بدعايتهم وضجيجهم...واتهامهم لمن يحب الله ورسوله، ويأمر بالالتزام بما أنزل الله، ويتمسك بالوحي القرءاني، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بأنهم قوم قرءانيون ينكرون الحديث، ولا يحبون النبي العظيم. ويهولون الأمر على الناس، ويحركون مشاعرهم، ويمنعونهم من العلم والدراسة والتفكير».

ويبالغ سامر إسلامبولي في الانتصار للقرءانيين، فيقول مقذعًا في القول، معيِّرًا أهل الرواية والتحديث: «... ماذا يريد عُبَّادُ الأسانيد منا؟ هل يريدون أن ننتسب ونتمسك بالأشخاص....نعم إننا قرءانيون ولنا الشرف بذلك الانتساب، ولينتسب عباد الأسانيد لمن شاؤوا من المرجعيات والأصنام؟..».

• **ومن فتاوى سامر إسلامبولي التي خالف فيها النصوص والإجماع، القول بوجوب صلاة الجمعة على الرجال والنساء، والقول بأنه لا تشترط الطهارة للصلاة على الميت، وجواز غسل القدمين أو مسحهما في الوضوء، ووجوب الصيام على الحائض والنفساء، وإباحة حضن الجنين في غير رحم والدته، وجواز تزويج المسلمات**

برجال أهل الكتاب، وغير ذلك مما يغيِّر شريعة الله التي جاء النبي صلى الله عليه وسلم ببيانها للناس.

• درجت أغلب هذه القراءات المعاصرة للسنة النبوية، على إهمال الاعتداد بالأسانيد، ولو كانت صحيحة في الطبقة العليا من الثقة والجلالة، والإتقان والمعرفة بهذا الشأن، بل إن تلك الأسانيد صارت عند سامر إسلامبولي- كما سبق بيانه- مسبَّة وعارًا على المشتغلين بتنقيد الأخبار، وتفتيش الآثار.

• ترى القراءة الجديدة للسنة النبوية أن النص الحديثي الموجود اليوم بأيدينا، ليس هو سنة النبي صلى الله عليه وسلم، كما نطق بها محمد بن عبد الله قبل خمسة عشر قرنًا قد خلت، وإنما هي» الدِّين الجديد الذي اخترعه الفقهاء خلال تاريخنا الطويل«.

2 . كتاب: مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين وروايات الأخباريين
الأستاذ الدكتور: أكرم ضياء العمري

• ومن أمثلة ذلك أيضًا محاولة سامر إسلامبولي: «تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم»،....فهو ينتقد أحاديث الصحيحين دون أن يفهم منهج المحدثين في التصحيح والتضعيف، وكيفية الخروج من التعارض الظاهري بالجمع إذا أمكن وإلا فالترجيح، ثم القول بالنسخ عند توافر شروطه.

3 . كتاب: دعوى تعارض الآيات القرءانية مع أحاديث الصحيحين التي تفسرها دراسة نقدية. المؤلف: الدكتور علي صالح علي مصطفى الخطيب

لم أنقل نقده لأنه لم يأت بشيء جديد اعتمد الأسلوب ذاته وبعض الأمثلة التي تناولها غيره في النقد.

وهذه أمثلة وليس للحصر عرضتها لتعريف القارئ سطحية الناقدين والمتصدرين للبحث والتعليم في الأمة الإسلامية، ويعلم قوة الفكر الذي نعرضه وصواب المنهج القرءاني الذي نعتمده في دراستنا.



لمحة عن المؤلف:

سامر بن محمد نزار إسلامبولي

تولد: دمشق، سورية، 1963 م.

باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي.

عضو في اتحاد الكُتَّاب العرب.

نُشر له مقالات في مجلة العالم، ومجلة إسلام 21، ومجلة شباب لك، والأسبوع الأدبي، والوقت البحرينية، والمثقف.

صدر للمؤلف عن دار ليفانت للدراسات الثقافية والنشر 2019

1. علمية اللسان العربي وعالميته
2. تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لخمسين حديث من البخاري ومسلم
3. اليهودية انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي
4. مفهوم السنة غير الحديث ويليه غطاء رأس المرأة أو شعرها حكم ذكوري وليس قرءانيًا
5. دراسة نقدية لمفاهيم أصولية (الآحاد، الإجماع، النسخ)
6. ظاهرة النص القرءاني تاريخ ومعاصرة. (رد على كتاب: النص القرءاني أمام إشكالية البنية والقراءة)
7. القرءان بين اللسان والواقع
8. ميلاد امرأة (رواية نفسية واجتماعية)
9. أفكار فلسفية وفتاوى أزهرية (مجموعة قصص قصيرة)
10. مفاهيم ثقافية
11. نبي الإسلام غير نبي المسلمين
12. دراسة إنسانية في الروح والنفس والتفكير

13. القرءان من الهجر إلى التفعيل
14. حوارات ثقافية
15. الانتحار الفكري
16. مشروع ثقافي راشدي للنهضة
17. رؤية قرءانية في مواضيع اجتماعية (الميراث، النكاح، التعدد، الطلاق، لباس المرأة، ملك اليمين)
18. قراءة نقدية لكتاب التفكير للنبهاني
19. علم الله وحرية الإنسان، دمشق - دار الأهال، 1994 م
20. المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، دمشق - دار الأوائل، 1998 م
21. الإلوهية والحاكمية، دمشق - دار الأوائل، 1998 م

عنوان الباحث:

السويد

البريد الإلكتروني: **s.islambouli@gmail.com**

موبايل: **0046734233031**

إن الإنسان الذي يعطي السيادة للنقل يكون بهذا العمل قد أعطى السيادة للعقل، ولكن ليس لعقله، وإنما لعقل من سبق؛ لأن النقل نتاج للعقل لا محالة، ويكون بهذا العمل قد أعطى لمن سبقه في الوجود – السلف– قيادة زمام أموره والتفكير عنه لحل مشكلاته وتحقيق مصالحه، ولا أدري كيف يقوم الأموات في الواقع المعاصر بالتفكير والتخطيط عوضًا عنا؟.

وهذا الذي ذكرته هو ما جرى في الواقع، فالمسلمون لا يعيشون واقعهم إلا من الجانب الجسدي فقط، مع تجميد الجانب العقلي؛ مما أدَّى إلى توقُّف التطور الفكري والعلمي على الأصعدة كلها، ودبَّت الحياة في الآباء وعادوا إلى الحياة من خلال تقمُّص الأبناء لعقل الآباء، فلذلك نرى في حياتنا المعيشية رجال السلف يتحرَّكون بيننا من خلال نمط التفكير والنظام الذي تقمَّصه الأبناء، وقديمًا قيل: (مَنْ خلَّف مَا مَاتَ)، وهذا معنى المثل في الواقع المشاهد.

فالعقل أساس للنقل، كما أنه أساس للمسؤولية والتكليف، فمَنْ لا عقل له لا حياة له.



سامر بن محمد نزار إسلامبولي

ولادة دمشق 1963، سوري الجنسية، مقيم في السويد

باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي

عضو في اتحاد الكتَّاب العرب في سورية منذ عام 2008

بلغت مؤلفاته حوالي عشرين كتاباً من أهمها:

• دراسة إنسانية في الروح والنفس والتفكير • علمية اللسان العربي وعالميته. تقديم الدكتور مازن الوعر.

• تحرير العقل من النقل • القرآن من الهجر إلى التفعيل • اليهودية إنغلاق فكري وإرهاب اجتماعي.

القصص

• ميلاد امرأة (قصة نفسية واجتماعية) • أفكار فلسفية وفتاوى أزهرية. مجموعة قصص قصيرة

المؤتمرات التي شارك فيها

• مؤتمر حقوق الإنسان الذي أقامته جمعية التجديد الثقافية البحرينية في عام 2010 في البحرين عنوانها: الحريات وحقوق الإنسان • ندوة الملتقى الثاني لكُتّاب التنوير في مركز الدراسات الإسلامية في دمشق عام 2006

• ألقى محاضرات في المراكز الثقافية.

مقالاته المنشورة في الدوريات والصحف

• مجلة العالم تصدر في لندن، مجلة إسلام 21 تصدر في لندن • مجلة شباب لك تصدر في دمشق، جريدة الوقت البحرينية • جريدة المثقف البحرينية • جريدة الأسبوع الأدبي التي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق.

منتدى الباحث سامر اسلامبولي: https://www.facebook.com/groups/170302883083402

الصفحة الرسمية: http://cutt.us/TroyV الإميل: s.islambouli@gmail.com موبايل: 0046734233031



مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر

الإسكندرية – مصر

www.levantcenter.net

